The Islamic UniversityofGaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Arts
Master History



الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغـزة
شئون البحث العلمي و الدراسات العليا
كــــليـــــــــــــــة الآداب
ماجستير/تاريخ

الحياة العلمية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال كتاب"إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ" لابن حجر العسقلاني

Scientific Achievements in Egypt and the Levant in the Eighth and Ninth Centuries A.H. through the book "Inbaa Al-Ghmr Bi AnbaaAlomr" forIbn HajarAl-Asqalani

إِعدَادُ البَاحِثِة

عايشة حسن حماد أبوعطيوي

إِشرَافُ الدُكتُور

غسان محمود أحمد وشاح

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلبات الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي التاريخ والآثار بِكُليةِالآداب فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

يوليو 2019م_ذو القعدة/1440هـ

إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحياة العلمية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال كتاب"إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ " لابن حجر العسقلاني

Scientific Achievements in Egypt and the Levant in the Eighth and Ninth Centuries A.H. through the book "Inbaa Al-Ghmr Bi AnbaaAlomr" forIbn HajarAl-Asqalani

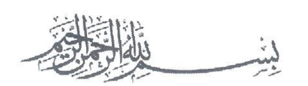
أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	عايشة حسن أبو عطيوي	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة

The Islamic University of Gaza

عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

الرقم ...... ج س غ/35/ Ref

التاريخ ......2019/08/07م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة **الباحثة/ عايشة حسن حماد ابوعطيوي** لنيل درجة الماجستير في **كلية الآداب**/ برنامج **التاريخ** وموضوعها:

الحياة العلمية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال كتاب "إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ" لابن حجر العسقلاني

Scientific Achievements in Egypt and the Levant in the Eighth and Ninth Centuries A. H. through the Book "Inbaa Al-Ghmr Bi Anbaa Alomr" for Ibn Hajar Al-Asqalani

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 5 ذو الحجة 1440**هـ الموافق **2019/08/07**م الساعة الثانية **مساءً**، في **قاعة اجتماعات كلية الآداب** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	**مناقشاً داخلياً**	....
د. حسام الدين عباس الحزوري	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح **الباحثة** درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

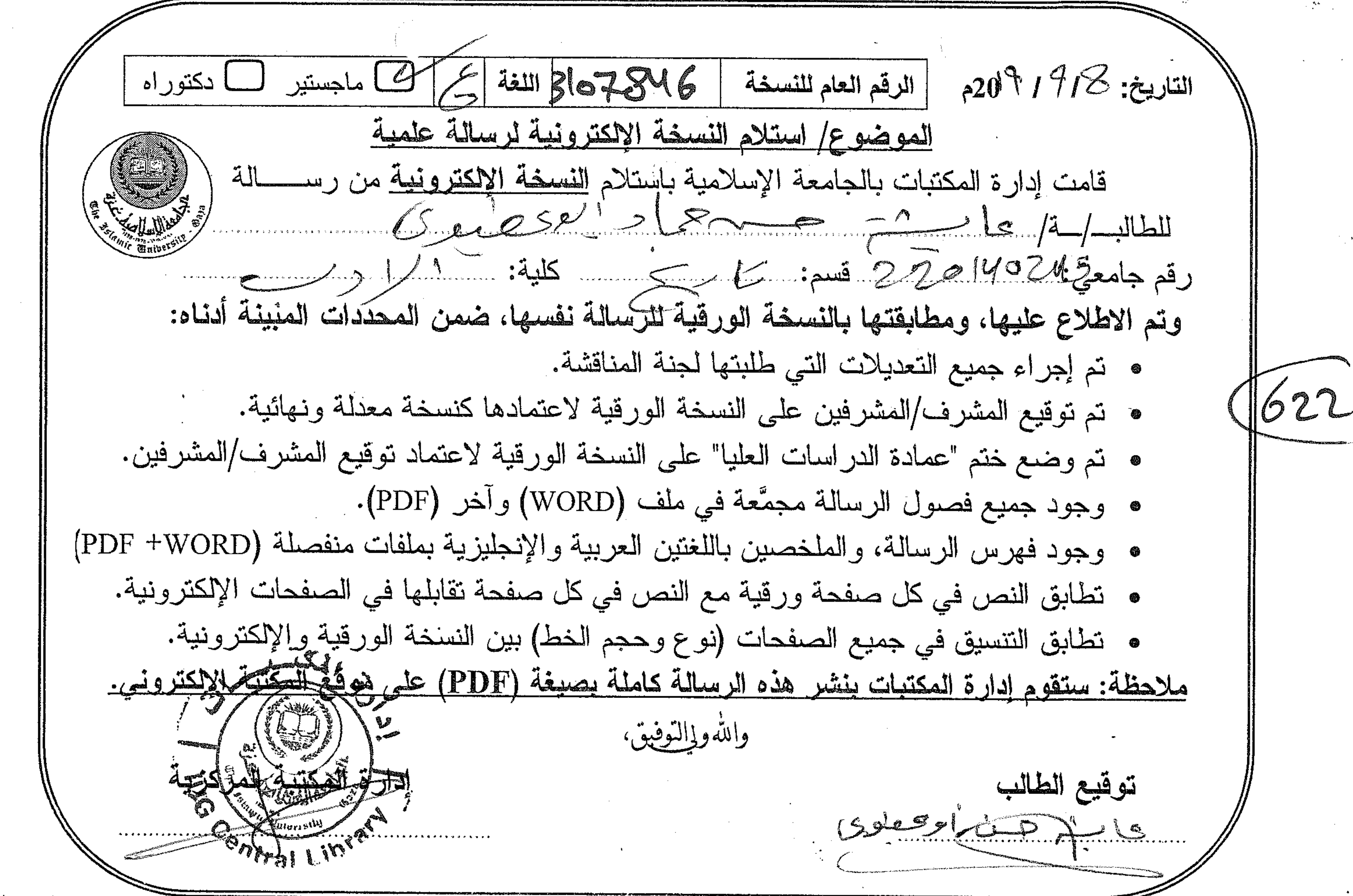
والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين

public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps



الرقم العام للنسخة	3107846	اللغة	ع	ماجستير ☑ دكتوراه ☐

التاريخ: 8/9/2019م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسـالة

للطالب/ـة/ عائشة حسن حماد العصيري

رقم جامعي: 220140245 قسم: تاريخ كلية: آداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب | **إدارة المكتبة المركزية**

622

الملخص

يعد كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر، موسوعةً تاريخيةً مهمةً؛ لما يشمله من معلوماتٍ حضاريةٍ عن مصر وبلاد الشام، فكان كتابه أشمل المصادر الموثوقة؛ لما يحتويه من إنجازات دولة المماليك الحضارية في مختلف الميادين، الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والإدارية والعمرانية.

لقد اهتم العلامة ابن حجر العسقلاني بتوضيح الإنجازات العلمية والفكرية في الفترة التي عاشها، حيث ترجم للعديد من العلماء الذين ساهموا في صنع الحضارة في مختلف العلوم الدينية والعربية والعقلية، ولم يغفل عن الترجمة للنساء ودورهن في المساهمة في الحركة العلمية، وكشف لنا عن أهم المراكز العلمية السائدة في العصر المملوكي، ونوه إلى أسباب ازدهار العلوم في بلاد الشام ومصر في العصر المملوكي.

يتناول البحث استخلاص الجوانب العلمية وإبرازها، ونوضح الدور الفاعل للعلماء من رجال ونساء ممن كان لهم أثر مهم في الحياة العلمية، وبيان الحضارة الإسلامية وازدهارها في العصر المملوكي.

قُسِمَ البحث إلى ثلاثة فصول ومبحث تمهيدي، حيث يتناول **المبحث التمهيدي:** التعريف بالمؤلف وسيرته الذاتية والعلمية وأشهر مؤلفاته وأهم المناصب التي تقلدها، و نبذة عن كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر ومنهجه في الكتابة، فتحدث **الفصل الأول:** أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية في مصر والشام، واهتمام السلطة المملوكية وتشجيعها للعلم والعلماء، و دور المرأة في الحركة العلمية، هجرة العلماء الوافدين إلى مصر والشام في الفترة التي عاشها المؤلف، كما تطرقنا في **الفصل الثاني:** أهم المراكز العلمية في مصر والشام من المدارس والكتاتيب والمساجد والبيمارستانات و المراكز الصوفية (الخوانق والزوايا والأربطة)، وتناول **الفصل الثالث:** النتاجات العلمية للحركة العلمية في مصر والشام من العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية

Abstract

The book "Inbaa Al-Ghmr Bi AnbaaAlomr" is a history encyclopedia for the civilization information in both Egypt and the Levant. It is considered one of the most important sources of reliable information, because it contains the achievements of the Mamluk civilization in various fields, social, economic, scientific, administrative and architectural.

Imam Ibn HajarAl-Asqalani was interested in clarifying scientific and intellectual achievements in the period he lived. He wrote the biographies of many scientists who contributed to the creation of religious and intellectual civilization. He also wrote the biographies of women and their role in contributing to the scientific movement. He also explained the reasons for the development of science in the Levant and Egypt in the Mamluk period.

This study attempts to draw and highlight the scientific aspects in that period, and clarify the active role of scientists, men and women, who have an important impact in scientific life, in order to refute the claim of some researchers that the Mamluk era was characterized by intellectual stagnation and lack of creativity.

This study is divided into three chapters and an introductory section. The introductory section introduces the author, his biography, his job positions and a synopsis about his book "Inbaa Al-Ghmr Bi AnbaaAlomr" and its writing methodology.

The first chapterexplains with the main scientific centers in Egypt and the Levant in that period such as schools, religious schools and mosques, hospitals and the centers of Sufism (Khanqahs, Zawayas and Arbita).The second chapter discusses the scientific outputs of the scientific movement in Egypt and the Levant such as religious sciences the sciences of Arabic language, and intellectual sciences. The third chapter explains the most important factors of the development of scientific movement Egypt and Levantsuch as the authority’s interest and encouragement to the movement of scientists and science, and the role of women in the scientific movement, the migration of scientists coming to Egypt and Levant during the period of the author.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[البقرة286]

اْلإِهدَاْءُ

إلـى الطـلـبـة المجــدّيــن ...

إلـى العـــلـمــاء العــامــليــن ...

إلى الــدعــاة المخلــصيــن ...

إلى المرابطين المحتسبين ...

إلـى الأســرى الصـــابــريــن ...

إلى الظاهرين على الحق بأرض فلسطين ...

إلى أرواح الشهداء الميامين ...

شكرٌ وتقديرٌ

بكل التقدير والعرفان، وأسمى آيات الشكر أتقدم إلى الدكتور الفاضل غسان محمود وشاح المشرف الأول على الرسالة، والذي لم يبخل علينا بعلمه وجهده ووقته، وكان نعم الناصح الأمين، فجزاه الله عنّي وعن طلبة العلم خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر والتقدير لكل من:

الدكتور / حسام الدين عباس الحزوري.

الدكتور / إبراهيم أحمدأبو شبيكة.

لتفضلهما بمناقشة بحثي هذا، وإبداء رأيهما فيه؛ ليزداد البحث قيمة وإشراقاً فيما يبديانه من ملاحظات، كما أتقدم بالشكر للدكتور القدير علي عبد الحافظ العزوز لما قدمه من مساعدة وتوجيهات قيمة، أفادتني في اتمام الرسالة .

إلى جامعتي الغَراء حاضنة العلم والعلماء الجامعة الإسلامية .

والشكر والتقدير إلى الأساتذة الكرام في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية الغرّاء .

فبارك الله فيهم جميعاً ، وجزاهم الله عنّا خير الجزاء

الباحثة

عايشة حسن أبو عطيوي

فهرس المحتويات

الاختصارات

الكلمة	الرمز
تاريخ الوفاة	ت
الجزء	ج
دون مكان النشر	د.م
دون تاريخ النشر	د.ت
دون طبعة	د.ط
دون ناشر	د.ن
طبعة	ط
التاريخ الميلادي	م
التاريخ الهجري	هـ
قسم	ق

المقدمة

المقدمة:

تعد كتب التراجم كنز تراثي بما تحويه من معلومات تاريخية وحضارية مهمة، وبما تصوره عن أحوال الشعوب والأمم، بحيث تحفظ للأمة جهودها العلمية وانجازاتها الثقافية.

ومن أمثلة ذلك كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني، حيث يعد هذا الكتاب ضمن المؤلفات التي تؤرخ للحضارة والتاريخ، فهو كتاب حضاري يستعرض الجوانب الحضارية عند الشعوب، فقد تميز ابن حجر في اعتماده على التأريخ بالحدث والترجمة معاً، و أفاض في ذكر ما يتعلق بمصر والشام من حوادث ومعلومات حضارية، وهو يتناول الفترة التي وقعت بين سنة (773 - 850 هـ)(1372-1449م).

حيث تطرق الكتاب إلى الجوانب الحضارية من إدارية وإجتماعية وإقتصادية وعلمية، فقد ذكر المؤسسات التعليمية التي تعددت بمصر وبلاد الشام، وما خرجته من علماء ومفكرين، كما ترجم للعديد من العلماء وما خلفوه من مؤلفات ضخمة بكل المجالات، والتي ساهمت في إثراء المكتبة العربية، كذلك ترجم للعديد من النساء اللاتي برزن في العصر المملوكي، ووضح دورهن في الحياة العلمية، وكما أوضح دور السلاطين في تشجيع العلم والعلماء.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة الحالية إلى الآتي:

- قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع في كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ رغم أهميته.
- أهمية المعلومات الحضارية،لاسيما الجانب العلمي منها، والواردة في كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر عن مصر والشام، وضرورة دراستها واستخراجها.
- إبراز أشهر العلماء وما تركوه من مؤلفات ضخمة في مختلف العلوم.
- الكشف عن المؤسسات التعليمية التي انتشرت في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي.
- توضيح دور السلاطين في دعم الحركة العلمية في مصر وبلاد الشام.
- بيان أهمية دور المرأة كمعلمة ومتعلمة، وما أسهمته في الحركة الفكرية في المجتمع المملوكي.
- تسليط الضوء على هجرة العلماء وطلبة العلم من كافة أنحاء العالم نحو مصر وبلاد الشام؛ حيث الإستقرار السياسي، ونمو الحركة العلمية.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مؤلف كتاب "إنباء الغمر بأبناء العمر"، ومصادره، ومنهجه في إعداد هذا الكتاب.
- استخراج الجوانب العلمية والثقافية في مصر والشام من خلال كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني.

منهج الدراسة:

منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

- **الحد الزماني:** يتناول الأحداث التي وقعت بين سنة (773 هـ - 850 هـ)(1372-1449) وهي الفترة التي عاشها الإمام ابن حجر العسقلاني.
- **الحد المكاني:** مصر وبلاد الشام.

تقسيمات الدراسة

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومبحث تمهيدي، وثلاثة فصول وخاتمة وجاءت التقسيمات على النحو التالي:

اشتملت **المقدمة** على نبذة مختصرة عن الموضوع وسبب اختيار الموضوع وأهميته وعرض لأهم مصادرومراجع البحث، فتناول **المبحث التمهيدي** والذي بعنوان"**ابن حجر العسقلاني سيرته وكتابه**"، تحدثت في المطلب الأول عن اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ونشأته ومولده ووفاته، أما المطلب الثاني ذكرت شيوخه وتلاميذه وأشهر مؤلفاته وأهم المناصب التي تقلدها وثناء العلماء عليه، وتحدثت في المطلب الثالث عن منهج ابن حجر العام في كتابه.

وتناول**الفصل الأول** والذي بعنوان"**أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية مصر والشام كما يصورها كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر**"، فتحدثت في المبحث الأول اهتمام السلطة وتشجيعها للعلم والعلماء، كما أوضح المبحث الثاني دور المرأة في الحركة العلمية، وبين المبحث الثالث هجرة العلماء الوافدين إلى مصر والشام.

وتحدث**الفصل الثاني** والذي بعنوان" **أهم المراكز العلمية في مصر والشام كما يصورها كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر**"، وقسم إلى ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول عن المدارس والكتاتيب، وذكر المبحث الثاني المساجد والبيمارستانات، أما المبحث الثالث فتحدث عن المراكز الصوفية (الخوانق والزوايا والأربطة).

وشمل**الفصل الثالث**"**النتاجات العلمية للحركة العلمية في مصر والشام كما يصورها كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر**"، وقسم إلى ثلاثة مباحث، فذكر المبحث الأول عن العلوم الدينية،أما المبحث الثاني عن علوم اللغة العربية، وتناول المبحث الثالث عن العلوم العقلية.

الدراسات السابقة

اطلعت الباحثة على العديد من الدراسات السابقة ومنها :

1. الأهتومي، حمود: رسالة ماجستير بعنوان الحياة العلمية في القاهرة في القرن الثامن الهجري من خلال الكتابات التاريخية لابن حجر العسقلاني" المتوفي سنة 852هـ، صنعاء 2014م. تناولت الدراسة الحياة العلمية من خلال جميع كتب ابن حجر العسقلاني التاريخية، وكذلك اقتصرت على مدينة القاهرة في القرن الثامن الهجري؛ مما دفعني لتسليط الضوء نحو كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر، واستخلاص الجوانب العلمية في مصر وبلاد الشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

2.البركاني، غازي: رسالة ماجستير بعنوان أثر الوافدين على النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة في تاب الإصابة لابن حجر العسقلاني دراسة تاريخية حضارية، جامعة أم القرى 2018م.

3. عز الدين، محمد: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط1، دار اقرأ للنشر والتوزيع، لبنان، (1404هـ - 1984م)، فهو يتناول ويشرح منهجية ابن حجر العسقلاني وأسلوبه في الكتابة في كتبه.

تحليل لأهم المصادر التاريخية

لقد اطلعت الباحثة إلى مجموعة من المصادر التاريخية، التي لها علاقة بالموضوع، وتم الاعتماد عليها لإكمال بعض الجوانب التي لم يوضحها المؤلف، وفيما يلي تعريف لهذه المصادر:

- كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزي(ت845هـ/ 1441م)

يعد من أهم كتب تاريخ مصر وجغرافيتها، قدم لنا معلومات غزيرة عن المراكز العلمية في عصره من جوامع ومدارس وخوانق، وقد استفدت من هذه المعلومات في الفصل الأول.

- كتاب(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي (ت874هـ/ 1499م)، حيث تناول تاريخ مصر، و أفادنا في ترجمة للعديد من العلماء وما أنجزوه من مؤلفات، وسير حياتهم في العصر المملوكي، وأفادني في الفصل الثالث والثاني في الترجمة للعلماء بالعصر المملوكي .

- كتاب(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) للسخاوي(ت902هـ/1497م)، يعد من كتب التراجم التي أفادتنا بحيث ترجم فيه للعلماء والقضاة والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والوزراء والملوك، واستعنت به في الترجمة للعلماء في الفصل الثاني والثالث.
- (كتاب الدارس في تاريخ المدارس) للنعيمي (ت927هـ/ 1520م) قدم لنا معلومات عن المراكز العلمية في العصر المملوكي، وأفادني في الفصل الثالث والأول.

ولقد استفدت من هذه المصادر، بحيث أغنت المادة العلمية، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المصادر.

الفصل التمهيدي

التعريف بابن حجر العسقلاني ومنهجيته في كتابه "إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ"

المبحث الأول:

التعريف بالإمام ابن حجر العسقلاني

أولاً: اسمه

هو أَحمدُ بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد[1]، اختلف المؤرخون في اسم جده الرابع، فأحياناً يتم تقديم أحمد على محمود كما في كتاب الدرر الكامنة في ترجمته لعم والده فقال "عُثْمَان بن مُحَمَّد بن عَليّ بن أَحْمد بن مَحْمُود"[2]، وفي ترجمته لنفسه في كتاب رفع الإصر[3]، وفي خطبته في كتاب إنباء الغمر[4]، وقد أدرك ابن حجر الاضطراب في نسبه فقال يقرأ طرداً أو عكساً[5].

نرجح بأن جده الرابع هو أحمد، ولقد أثبت السخاوي في نسب شيخه حيث قال "هذا هو المعتمد في نسبه"[6]،و ما أثبته الإمام ابن حجر من خلال الترجمة التي ترجمها لنفسه في كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر[7].

ثانياً: نسبه وكنيته ولقبه وشهرته

أما نسبه فهو كناني القبيلة، عسقلاني[8] الأصل ، حيث قال الحافظ ابن حجر"رأيت بخطه أنه كِنانيٌّ النسب وكان أصلهم من عسقلان" [9].

فهو ينتمي إلى عائلةٍ فلسطينيةٍ كانت تسكن في مدينة عسقلان، نقلهم صلاح الدين لما خربها سنة (587هـ/1191م) في حربه مع الفرنجة،ثم استقروا في مصر، حيث ولد ونشأ وتوفى[10].

---

(1) ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (ج1/ 414)؛ السخاوي، الجواهر والدرر(ج101/1)؛ الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع(ج87/1)؛ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب(ج270/7).

(2) ابن حجر(ج262/3).

(3)ابن حجر(ص62).

(4)ابن حجر (ج3/1).

(5) السخاوي،الجواهر والدرر(ج101/1).

(6) المصدر السابق (ج101/1).

(7) ابن حجر(ص62).

(8) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت حبرين،الحموي،معجم البلدان(122/4).

(9) ابن حجر،المجمع المؤسس(ج196/3)؛ابن حجر،إنباء(ج3،1)؛السخاوي،الجواهر والدرر(ج103/1).

(10) ابن حجر،المجمع المؤسس(ج196/3)، رفع الإصر(ص62)؛ السخاوي، الجواهروالدرر(ج103/1)؛الأصبهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي(ص288).

كنيته ولقبه

لقب الإمام ابن حجر بشهاب الدين[1]، بينما كُنِيَ " أبا الفضل"وذلك تشبهًا بقاضي مكة "أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النُّويري"[2]،حيث كناه أبوه بذلك لقوله " تركني ولم أكمل أربع سنين وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيْء ولا يتحققه، وأحفظ عنه أنه قال :"كنيت ولدي أحمد أبا الفضل"[3].

وكذلك كناه شيخه الزين العراقي، والبهاء العلاء بن المغلي وغيرهما "أبا العباس"، كما كني "أبا جعفر"[4] ولكن كنية والده هي التي اشتهر بها.

شهرته

اشتهر شيخنا بابن حجر، واختلف بأنه اسم أم لقب، فقد قيل أنه لقب لبعض آبائه[5]، وذهب البعض بالقول بأن نسبه إلى آل حجر، وهم قوم يسكنون الجنوب الأخرعلى بلاد الجريد وأرضهم قابس[6].والأرجح أنه لقب لبعض آبائه حسب ما ذكره السخاوي.

ثالثاً:مولده ونشأته

ولد الإمام ابن حجر في شعْبَان سنة(773هـ/1372م) بِمصْر، في منزل يقع على شاطئ النيل[7].

ولقد اختلفت المصادر في تحديد يوم ولادته، حيث ورد في كتاب البدر الطالع[8]، ونظم العقيان[9]، وشذرات الذهب[10]، بأنه في الثاني عشر من شعبان، بينما ذكرت مصادر أخرى أنه في الثاني

---

(1) السخاوي،الجواهر والدرر (ج102/1)؛ **ابن تغري بردي**،النجوم الزاهرة(ج354/14)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج270/7).

(2)ابن حجر،إنباء(ج117/1)؛ السخاوي،الجواهر والدرر (ج101/1).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (ج117/1).

(4) السخاوي، الجواهر والدرر (ج102/1).

(5) المصدر السابق (ج105/1).

(6) ابن العماد، شذرات الذهب(ج270/7).

(7) ابن حجر،إنباء الغمر (ج3/1)، رفع الإصر (ص62).

(8) الشوكاني(ج88/1).

(9) السيوطي (ج45/1).

(10) ابن العماد (ج270/7).

والعشرين كالنجوم الزاهرة[1]، والجواهر والدرر[2]، والضوء اللامع[3]، وذكر في لحظ الألحاظ بأنه في الثالث عشر من شعبان[4].

ونستنتج مما سبق بأن مولده ينحصر بين الثاني عشر والثاني والعشرين ، من شهر شعبان.

رابعاً: نشأته

كان أبوه يهتم بتعليمه منذ صغره فاصطحبه في زيارة معه إلى القدس[5]؛ لسماع صحيح البخاري وعمره سنتان[6]، ثم مات أبوه في رجب سنة سبع وسبعون، وكانت أمه ماتت وهو طفل[7]. وهكذا أصبح وحيداً و يتيماً.

فكان والده أوصي من يرعاه، حيث أوصى أبو بكر بن علي بن أحمد بن محمد الخروبي، فكان تاجرا كبيراً و أحد أعيان العصر،ووصفبالتواضع والإحسان إلى الفقراء[8]، فاهتم به ورعاه،وحج معه وجاوره، وصلى بالناس التراويح في رمضان بالحرم الشريف وكان عمره اثنتي عشر سنة[9]. ومن هنا بدأت علامات التدين والنبوغ عند الإمام ابن حجر.

كما كان لأخته دور كبير في الاعتناء به، وهي ست الركب فقد كانت قارئة، وأعجوبة في الذكاء حيث قال الحافظ ابن حجر" هي أمي بعد أمي أصبت"[10].

على الرغم من عدم دخول ابن حجر الكتاب (المكتب) حتى أكمل خمس سنين[11]، إلا أن علامات نضجه المبكر وتميزه كانت واضحة، فقد وهب سرعة الحفظ، حيث أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد [12]، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين عند الصدر السفطي[1]، كما أنه حفظ

---

(1)ابن تغري بردي(ج33/15).

(2) السخاوي(ج104/1).

(3) المصدر نفسه(36/2).

(4) المكي،(ص211).

(5) السخاوي، الجواهر والدرر(ج12/1).

(6) ابن حجر، رفع الإصر(ص62).

(7) ابن حجر،إنباء الغمر(ج306/1)؛ الدرر الكامنة(ج583/1).

(8) ابن حجر، إنباء (ج306/1)؛رفع الإصر(ج62/1)؛السخاوي، الجواهر(ج121/1).

(9)ابن حجر، إنباء(ج1/ 261)؛رفع الإصر(ص62)؛ الدرر الكامنة(ج538/1)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج36/2).

(10) ابن حجر،إنباء الغمر(ج302/3).

(11) ابن حجر،رفع الإصر(ص62)؛ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ(ص211).

(12) ابن حجر، رفع الإصر(ص62)؛ السخاوي، الضوء اللامع (ج36/2)؛ السخاوي، الجواهر والدرر(ج121/1).

كتب مثل العمدة في الأحكام، والحاوي الصغير، وألفية العراقي، ومختصر ابن حاجب[2]، وكان يحفظ الصحيفة من الحاوي مرتين الأولى تصحيحاً والثانية قراءة في نفسه ثم يعرضها حفظاً في الثالثة[3].

وكان مولعاً بالأدب والشعر،فقد قال الشعر والنثر وكتب فيه وطارح الأدباء[4]، واهتم بأنواع العلوم كالفقه والعربية والحساب والقراءات حتى بلغ أعلى المراتب،وحبب إليه النظر في التواريخ وأيام الناس[5].

ثم تخصص في مجال الحديث الشريف، فَأقبل عَلَيْهِ سَمَاعاً وَكِتَابَةً وتخريجاً وتعليقاً وتصنيفاً[6]،حيث قام برحلاتٍ عديدةٍ لسماع الحديث الشريف من الشيوخ، يقول تلميذه السخاوي : " وحبب الله إليه الحديث، وأقبل عليه بكليته، وطلبه من سنة(793هـ/1391م)"[7].

وهكذا كانت حياة ابن حجر حافلة بطلب العلم منذ صغره فقد نشأ في أسرةمتعلمة، تشجعه على العلم، كذلك إقباله على التعليم و تعلمه على يد كبار العلماء في عصره، كل ذلك أسهم في تكوين شخصية ابن حجر فأصبح عالماً يخدم دينه ووطنه .

خامساً: وفاته

أصيب الإمام ابن حجر بمرض على إثره توفي في ليلة السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة لسنة (852هـ/1449م) ، فبكي عليه الناس، وكانت جنازته حافلة حيث تسابق الناس على حمل نعشه وكان السلطان الظاهر أبوسعيد جقمق [8]ممن حمله[1]، وصلى عليه الْخَلِيفَة المستكفي بالله الثالث أبو الربيع[2]، وَدفن بالقرافة[3].

---

(1) ابن حجر،رفع الإصر(ص62)؛ السخاوي،الضوء اللامع(ج36/2).

(2) السخاوي، الجواهر والدرر(ج124/1)؛السخاوي، الضوء اللامع (ج36/2).

(3) السخاوي،الجواهر(ج123/1).

(4)ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ (ص212).

(5) ابن حجر، رفع الإصر(ص63)؛السخاوي، الجواهر والدرر(ج125/1)؛ ابن فهد المكي ، لحظ الألحاظ (ص212).

(6) السيوطي، نظم العقيان(ج45/1).

(7) الضوء اللامع(ج37/2)، الجواهر والدرر(ج122/1– 123)؛ابن حجر، الدرر الكامنة(ج538/1)؛ ابن حجر،رفع الإصر(ص62)؛السيوطي،نظم العقيان(ص46).

(8)جقمق العَلائي الظاهري، سيف الدين، أبو سعيد(ت 857 هـ / 1453م): من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز. ولي أعمال في دولتي الملك المؤيد شيخ، والظاهر ططر، إلى أن كان (أتابك) العساكر في دولة الأشرف برسباي، وفي (سنة 841 هـ)استمر جقمق أتابك ومدبرا للدولة في عهد العزيز بن الأشرف، وقام بعض =

ويدلل ذلك على عظم قدره عند السلطان و الناس وطلاب العلم؛ نتيجة لإنجازاته الفكرية وعلمه الواسع وتخرج العديد من طلبة العلم على يديه.

المماليك فخلعوا العزيز، وولوه السلطنة وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من ملوك الشراكسة، ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (ج2/ 160)،الزركلي،الإعلام للزركلي(ج2/132).

(1) السخاوي،الجواهر والدرر(ج1193/3).

(2) هو أَبُو الرّبيع، سُلَيْمَان بن المتَوَكل على الله مُحَمَّد بن المعتضد بِاللَّه، بُويِعَ بالخلافة بعد موت أَخِيه [دَاوُد] بِعَهْد مِنْهُ إِلَيْهِ عام(845هـ)؛ فَأَقَامَ فِي الْخلَافَة، إِلَى توفي في ثَانِي الْمحرم (855هـ)، ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (ج1/ 260).

(3) السخاوي، الجواهر(ج1195/3)؛ الشوكاني،البدر الطالع(ج92/1)؛ابن فهدالمكي،لحظ الألحاظ(ص215).

المبحث الثاني:

أشهر شيوخه وتلاميذه وأهم مؤلفاته والمناصب التي تقلدها وثناء العلماء عليه

أولاً:شيوخه وأساتذته

تتلمذ الإمام ابن حجر على يد كبار عصره في مختلف العلوم، وكان كل شيخ يختص بعلم محدد، فقد خاض ابن حجر من أجل طلب العلم رحلات عديدة إلى الشام ومصر والحجاز واليمن، فقد أكثر من المسموع وأخذ عن الشيوخ والأقران، فاجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره حتى بلغ مكانة عالية في العلم[1].

أورد ابن حجر عدد من شيوخه في المجمع المؤسس، وكذلك ذكر السخاوي، ومن أهم شيوخه:

برهان الدين التنوخي[2]: أخذ عنه القراءات وعلو سندها، حيث قرأ عليه بالسبع روايات، وكذلك **زين الدين العراقي**:شيخ الحديث بالدّيار المصرية، تعلم عنه في مجال علوم الحديث ومتعلقاته[3]، ولازمه عشر سنين، وقرأ عليه الكثير من المسانيد وشهد له بالحفظ[4]، كما أذن له في تدريس علوم الحديث[5].

أبو الحسن نور الدين الهيثمي: أخذ عنه الإمام حفظ المتون واستحضارها[6]، أما**سراج الدين البلقيني:** فأخذ عنه سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، فلازمه وحضر دروسه الفقهية وقرأ عليه الكثير من الكتب الفقهية[7]، كما أذن له في الإفتاء والتدريس[8].

ابن الملقن: تعلم منه كثرة التصنيف و كان يحضر دروسه الفقهية[9]، ولازمه حتى أذن له بالإفتاء والتدريس، وقرأ عليه الكثير من الكتب منها الروضة[10]،أما العلامة **عز الدين بن جماعة** : أخذ عنه علوم كثيرة[11]، و**الفيروز أبادي أبو طاهر:** فتتلمذ على يديه وتعلم منه حفظ اللغة والاطلاع

---

(1) السخاوي، الجواهر والدرر(ج37/2).

(2) ابن حجر، المجمع المؤسس(ج35/2)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج37/2)، الجواهر والدرر(ج140/1).

(3) السخاوي، الجواهر والدرر(ج104/1)؛الشوكاني، البدر الطالع(ج88/1)؛ **ابن تغري بردي**،النجوم الزاهرة(ج34/13).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر(ج277/2)؛ السخاوي، الجواهر والدر(ج121/1).

(5) السخاوي، الضوء اللامع(ج38/2)؛ الجواهر والدرر(127/1)؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(6) السخاوي،الجواهر والدرر(ج140/1).

(7) ابن حجر،إنباء (ج107/5)السخاوي، الضوء اللامع(ج37/2)؛ الجواهر والدرر(ج140/1)؛ابن فهدالمكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(8) السخاوي، الجواهر والدرر(ج129/1)؛ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(9) ابن حجر،المجمع المؤسس(ج305/2)؛ابن فهدالمكي،لحظ الألحاظ(ص212).

(10) السخاوي،الضوء اللامع(ج37/2).

(11)ابن فهدالمكي، لحظ الألحاظ(ص212)؛ابن حجر،إنباء (ج240/7)؛ السخاوي، الجواهر والدرر(ج138/1)؛السخاوي، الضوء اللامع(37/2).

عليها[1]، حيث لازمه وتدارس معه كتابه القاموس[2]،أما الشيخ **يحيى العجيسى المغربى:** فقد أخذ عنه علم النحو[3].وهكذا فقد اجتمع لابن حجر العديد من الشيوخ والعلوم مالم يجتمع لأحد من أهل عصره[4].

ومن الواضح بأن ابن حجر تلقى العلم على يد عددٍ كبيرٍ من الشيوخ، وكل شيخ يختص بعلم محدد، فهذا أدى إلى بروز الرجل الموسوعة، الذي لا يختص بعلم معين، فقد اشتهر ابن حجر بالعديد من العلوم الدينية والعربية والعقلية، فساهم ذلك في ظهور الإمام عالم عصره.

ثانياً: تلاميذه:

اشتهر ذكر ابن حجر في وقته، فارتحل إليه طلبة العلم من كافة المذاهب،ومن كافة الأعمار من علماء وطلبة؛ وذلك ليقرؤوا عليه ويسمعوا منه، حيث أنه كان يقسم أوقاته للطلبة،وهذا يدل على علمه الواسع ومكانته العلمية الرفيعة[5]، و تحدث عن ذلك تلميذه السخاوي قائلا: "وأملى مَا ينيف على ألف مجْلِس من حفظه واشتهر ذكره وَبعد صيته وارتحل الْأَئِمَّة إِلَيْهِ وتبجح الْأَعْيَان بالوفود عَلَيْهِ وَكَثُرت طلبته حَتَّى كَانَ رؤوس الْعلمَاء من كل مَذْهَب من تلامذته، وَأخذ النَّاس عَنهُ طبقَة بعد أُخْرَى..."[6].

أهم تلاميذه:

خرَج ابن حجر العديد من طلبة العلم والذين أصبحوا علماء عصرهم فمن أشهرهم:

- تقي الدين محمد بن فهد المكي وهو مؤلف كتاب لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ[7].
- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو مؤلف كتاب الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام لابن حجر، حيث كان يلازمه في مجلسه، حتى كان لا يفوته، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه ومروياته[8].

---

(1) السخاوي،الضوء اللامع(37/2).

(2) ابن حجر، المجمع المؤسس(ج550/2).

(3)**ابن تغري بردي**،النجوم(ج14/16).

(4) السخاوي، الضوء اللامع(ج37/2).

(5)**ابن تغري بردي**، المنهل الصافي(ج19/2)؛ السخاوي،الجواهر والدرر (ج62/9)؛السخاوي، الضوء اللامع(39/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج271/7).

(6) الضوء اللامع(ج39/2).

(7) السيوطي، نظم العقيان(ج170/1– 171)؛السخاوي، الجواهر والدرر (ج316/1).

(8) السخاوي،الجواهر والدرر (ج12/1–13)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج40/2)؛ السيوطي، نظم العقيان(ص152)؛ابن العماد، شذرات الذهب(77/7).

- يوسف بن تغري بردي حضر على الإمام ابن حجر واشتغل بفقه الحنفية وهو مؤلف كتاب النجوم الزاهرة [1]
- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام[2].

تهافت العديد من طلاب العلم وأن يرتحلوا من بلدانهم لكي يدرسوا على يد الإمام ابن حجر العسقلاني، فهذا يدل على عظم ثقافته وشهرته العلمية، و مركزه العلمي الرفيع.

ثالثاً: مؤلفاته:

كان الإمام ابن حجر من العلماء الذين يكثرون المطالعة،وارتحاله من أجل طلب العلم؛ وبالتالي تعددت مؤلفاته، وتناولت مواضيع كثيرة ومتنوعة من علوم القران والفقه وأصوله والتاريخ واللغة والأدب والشعر فكانت له دواوين[3]، وانتشرت مؤلفاته في كل مكان ولاقت إقبالاً من الطلاب على حيازتها؛فاستفاد من كتبه طلاب العلم والعلماء[4]، حتى تهادت الملوك كتبه، وزادت مؤلفاته على مائه وخمسين تصنيفاً[5]،وذكرها السخاوي بأنها تبلغ مائتي وخمسين مؤلفاً[6].

بدأ في حدود سنة (796هـ/1394م) في التأليف حيث كانت أول مؤلفاته كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري[7].

ففي **أصول الحديث**(شرح الترمذي) وهو كتاب مشهور، وكتاب(إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة)، وفي **علوم القراءات**(أسباب نزول القرآن)، وفي **الفقه**(بلوغ المرام في أدلة الأحكام)، وفي كتب **الفهارس**(فهرست المقاصد العليا في فهرسة المرويات)، **أما كتب التراجم والرجال**(الإصابة في تمييز الصحابة) و(لسان الميزان)، وفي **علوم اللغة والأدب**(كتاب تقريب الغريب الواقع في البخاري)، ومن مؤلفاته في **التاريخ** (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، (وإنباء الغمر بأبناء العمر)، وفي **التخريج**(التلخيص الجبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير)،(الدراية في تلخيص تخريج الهداية)[8].

---

(1) الحنبلي،شذرات الذهب (ج317/7).

(2) السيوطي، حسن المحاضرة(474/1).

(3) السخاوي، الضوء اللامع (ج138/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج271/7).

(4) السخاوي،الجواهر والدرر (659/2).

(5) السخاوي، الضوء اللامع(38/2)؛الشوكاني،البدر الطالع(ج89/1).

(6) السخاوي،الضوء اللامع(38/2).

(7) السخاوي،الجواهر (ج259/2)؛ابن العماد،شذرات الذهب(ج271/7).

(8) السخاوي، الجواهر والدرر (ج659/2-685)؛السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص46- 50)؛ابن فهدالمكي،لحظ الألحاظ(ص213-214)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج271/7-273).

تصنيفاته المتعددة بمختلف العلوم كالحديث والفقه والقراءات والتراجم وعلوم اللغة العربية، فهذا يدل على علمه الواسع، كذلك ساهمت مؤلفاته في شهرته و قدوم العديد من الطلاب والعلماء لأخذ العلم عنه والدراسة على يديه، وأصبحت مؤلفاته المتنوعة مرجع للعديد من طلاب العلم، فبذلك ساهم إذكاء الحركة الفكرية والعلمية.

رابعاً:المناصب التي تقلدها:

تقلد ابن حجر العديد من المناصب المهمة في الدولة المملوكية ومنها:

1 . **القضاء:** ولي قَضَاة الْقُضَاة بالديار المصرية، في محرم سنة (827هـ/1424م)[1]، ثم أعيد للقضاء وعزل وتولى ذلك تكرارا إلى أن عزل نفسه، حيث كره هذا المنصب[2].

2. **الإملاء**[3]:عقد مجلس الإملاء[4]، حيث جددها بعد أن انقطع الناس عنها فترة من الزمن[5]، وخدم بخانقاة بيبرس[6] نحو عشرين سنة[7]، وبالمدرسة الجمالية الجديدة[8]،ويقدر ما أملاه أكثر من ألف مجلس[9].

---

(1) ابن حجر، رفع الإصر(ص46)؛السيوطي،نظم العقيان (ص46)؛ابن فهدالمكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(2)ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج20/2)؛الحنبلي،شذرات الذهب(ج270/7)؛ابن فهدالمكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(3) وهو من وظائف العلماء قديما خصوصا الحفاظ من أهل الحديث في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة وهو المستحب كما يستحب أن يكون في المسجد لشرفهما، وطريقهم فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ويذكر التاريخ ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث وآثارا ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له وقد كان هذا في الصدر الأول فاشيا كثيرا ثم ماتت الحفاظ وقل الإملاء. الكتاني الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص 159).

(4) ابن حجر، رفع الإصر(ص46).

(5) السخاوي، الجواهر(ج581/2).

(6) تقع بشارع باب النصر بالجمالية، وتعد أقدم خانقاه في القاهرة، بدأ بيبرس في بنائها في عام(1307م) وأنهى بنائها في عام سلطنته(1309م)،المقريزي،المواعظ والاعتبار (3/ 179-181).

(7)ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج20/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج270/7).

(8) ابن حجر، رفع الإصر(ص64).

(9)السيوطي، حسن المحاضرة (ج364/1).

3. **التدريس:** تولى العديد من الوظائف الدينية كتدريس الحَدِيث بالشيخونية[1]، وبجامع القلعة[2]، وبالجمالية[3]،و مشيخة البيبرسية[4]، وتدريس فِقْه الشافعية بالمؤيدية[5] وبالشيخونية [6]، وبالخروبية البدرية بِمصْر[7] والشريفية الفخرية[8]والصالحية النجمية[9] والصلاحية[10]، وانتفع به طلاب العلم فحضروا دروسه، وقرأ عليه غالب علماء مصر[11].

---

(1) تقع خارج القاهرة بالقرب من جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمريّ في سنة (756هـ/1355م)، قرر بها دروساً عدّة، منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، ودرساً للحديث النبويّ، ودرساً لإقراء القرآن بالروايات السبع، وقرر لكلّ درس مدرّساً وعنده جماعة من الطلبة، وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوّف. المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج3/ 185).

(2) يوجد بقلعة الجبل بالقاهرة، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة (718هـ/1318م)، وكان جامع قديم فهدمه، وعمره وعمل فيه من الرخام الفاخر الملوّن، وبنى فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة، وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضاً برسم صلاة السلطان. المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج3/ 61).

(3) بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجماليّ، وجعلها مدرسة للحنفية عام (730هـ/1330م)، وخانقاه للصوفية، وولى تدريسها ومشيخة التصوّف بها الشيخ علاء الدين عليّ بن عثمان التركمانيّ الحنفيّ، وتعدّ من أجلِّ مدارس القاهرة، ولها عدّة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها، وتخريبهم أوقافها، وتعطل منها حضور الدرس والتصوّف، وأصبحت منزلاً يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه. المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج3/ 149).

(4) وهي خانقاه تقع بشارع باب النصر بالجمالية، وتعد أقدم خانقاه في القاهرة، بدأ بيبرس في بنائها في عام(1307م) أنهى بنائها في عام سلطنته(1309م)، أغلق السلطان الناصر محمد الخانقاه وأزال اسم بيبرس من طرازها بعد القبض على بيبرس وقتله ثم أعيد فتحها بعد عشرين سنة من غلقها، المقريزي،المواعظ والاعتبار (3/ 179-181).

(5) هي جامع ومدرسة بجوار باب زويلة من داخله، أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري، فنذر للّه تعالى إن تيسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجداً لله عز وجلّ، ومدرسة لأهل العلم. المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج3/ 63).

(6) ابن حجر، رفع الإصر(ص64)؛ السيوطي،نظم العقيان(ص46)؛ابن فهدالمكي، لحظ الألحاظ(ص212).

(7) أنشأها ناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسي عام(758هـ/1357م)، و دُرس فيها مادة الفقه للشافعية، درس فيها المعلم سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقينيّ، وهي مدرسة صغيرة،المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج3/ 148).

(8) تقع في القاهرة، وقفها الأمير في الدولة الأيوبية الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة عام (612هـ/1215م) وهي من مدارس الفقهاء الشافعية.المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج3/ 122).

(9)هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب هاتين المدرستين، ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة في سنة (641هـ). المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج3/ 123).

(10) السخاوي،الضوء اللامع(ج39/2).

(11) ابن العماد، شذرات الذهب (ج270/7).

4. **المشيخة:**تولي مشيخة البيبرسية[1]، ومشيخة الصلاحية بجوار مشْهد الإِمَام الشَّافِعِي[2].

5.**وظيفة خزن الكتب:**كان مسئولا عن خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية،ورغب شيخُنا في مباشرتها بنفسه، فعمل لها فهرسين، فهرس على الحروف في أسماء التصانيف، وآخر على الفنون[3].

6.**الخطابة والإفتاء:**تولى الإمام ابن حجر الإفتاء بدار العدل[4]، كما تولى الخطابة بجَامِع الْأَزْهَر ثمَّ بِجَامِع عَمْرو[5]، حيث كانت خطبه لها تأثير في نفوس الحاضرين[6].

تقلد الإمام ابن حجر العديد من المناصب، لم يأتي من فراغ، بل نتيجه لعظم قدره ونبوغه في العلوم المتنوعة، فلم تغفل الإدارة المملوكية عنه، فاستغلت علمه وقدراته ولتستفيد منه في توليته هذه المناصب المختلفة.

خامساً: ثناء العلماء عليه:

لقد ارتفعت مكانة ابن حجر بين الناس، فقد مدحه كثير من العلماء وطلبة العلم والملوك لتميزه وسعة علمه، حيث أورد تلميذه السخاوي وكتب عنه باباً في ذلك[7]، أما برهان الدين الأبناسي فقال: " الإمام العالم صدر المدرسين مفتى المسلمين.... نظر في العلوم الشرعية وأتقن جدها وحل مشكلها..."[8].

كما شهد له المحب ابن الهائم وقال" بل هو أذكى من رأيته مطلقاً...."، كذلك السيوطي فقد قال:" شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه"[9]، وقال أيضاً" فريد زمانه وحامل لواء السنة في أوانه ذهب هذا العصر ونضاره"[10].

---

(1) ابن حجر، رفع الإصر(ص64)؛ السيوطي،نظم العقيان(ص46)؛ ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج20/2).

(2) السيوطي،نظم العقيان(ص46).

(3) السخاوي، الجواهر والدرر (ج609/2).

(4) هي دار بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام 661هـ، فكان يحضر كل اثنين وخميس للنظر في المظالم، المقريزي،الخطط(ج358/3)

(5) السخاوي،الضوء اللامع(ج39/2).

(6) السخاوي، الجواهر والدرر (ج617،2).

(7) الجواهر والدرر (ج204/1- 208).

(8) السخاوي، الجواهر والدرر (ج265/1- 264).

(9) طبقات الحفاظ(ص522).

(10) السيوطي، نظم العقيان(ص45).

وقال الحنبلي عنه:" انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ومعرفة العالي والنازل وعلل الأحاديث وغير ذلك وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار وقدوة الأمة وعلامة العلماء وحجة الأعلام ومحيي السنة..."[1].

أما ابن تغري بردي(أبو المحاسن) فقد قال عنه: "فإنه كان إمام عصره ..، هذا مع ما اشتمل عليه من العقل والعراقة والسكون والسؤدد والكرم والإكرام وسياسة الخلق وحسن الخلق، والرئاسة الضخمة، والفضل الغزير"[2].

نتيجة لتميز الإمام ابن حجر العسقلاني، بتقدمه بمختلف العلوم؛ فحظي بمنزلة عالية بين علماء عصره، وأثنوا عليه، وأشادوا بعلمه، وارتقي في مرتبة العلماء الذين خلد التاريخ ذكرهم، فهم الذين أثروا المكتبة الإسلامية بالفكر الذي تستند عليه الأمة.

---

(1) شذرات الذهب(ج270/7).

(2) النجوم الزاهرة(ج14/16).

المبحث الثالث:

التعريف بالكتاب ومنهج الإمام ابن حجر

أولاً: التعريف بالكتاب:

يعتبر كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر الذي ألفه الإمام ابن حجر العسقلاني، من أهم كتب الحوليات التي أرخت للحوادث في مصر والشام والعالم الإسلامي في العصر المملوكي، الواقعة من مولده(773هـ- 850هـ)(1449/1372م)[1]، ويقصد بإنباء الأخبار[2]، أما الغمر فتعني الجاهل غير المجرب للأمور ومعناه " أخبار غير العارفين بأخبار عمره"[3].

يحتوي الكتاب على تسعة أجزاء تقع في 3283صفحة، يبدأ بمقدمة ثم يشمل على حوليات تجمع للحوادث والتراجم .

ثانياً: سبب تأليفه:

بين الإمام ابن حجر في مقدمة الكتاب، بأنه ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير(ت774هـ/1373م) حيث انتهى إلى سنة (773هـ/1372م)،كذلك ذيلاً على وفيات ابن رافع (ت774هـ/1373م)[4].

ثالثاً: منهج الإمام ابن حجر العام في كتابه:

تميز منهج ابن حجر في كتاب إنباء الغمربأبناء العمر باعتماده على الحوليات، وبأسلوبه البليغ، وبمصادرته المتنوعة ومثال على ذلك:

1. **الحوليات**

تشمل مجموعة من الحوادث والتراجم ويفصل بينها أحوال الوفيات مثل" ذكر من مات في سنة.."[5]، كما يبدأ بذكر الحوادث في الحولية بكلمة في " في المحرم"[6]، "فيها دخل الناصر[7]"،" وفيه فرقت"[8]، حيث يعرض فيها الأحداث السياسية من أخبار الدول والمعارك التي حدثت في ذلك الوقت، كذلك يتناول الحياة الاقتصادية كأحوال البلاد من غلاء أسعار وأحوال

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(ج5/1).

(2) ابن منظور، لسان العرب(ج162/1).

(3) المصدر السابق(ج242/1).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر(ج5/1).

(5)المصدر السابق (ج16/6).

(6)المصدر السابق (ج1/8).

(7)المصدر السابق (ج1/7).

(8)المصدر السابق (ج1/9).

النيل بنقصانه أو زيادته، وأثره على الحياة الاقتصادية، كمايتناول الحياة الاجتماعية كعمل الاحتفالات مثل الولائم ويوم المولد النبوي، وذكر الترابط الاجتماعي في الدول، ووصف الأحوال الدينية حيث ترجم للعلماء والقضاة، كما ذكر العلوم الدينية بكافة فروعها وتسابق طلاب العلم على تعلمها،واستعرض الحياة الإدارية كالوظائف التي كان يتم تقلدها،واهتم بوصف العمارة في مصر وبلاد الشام كبناء المدارس والمساجد والخوانق في العصر المملوكي في الفترة التي عاشها.

كذلك قد تكون الحولية فيها معلومات كثيرة مثل حولية سنة(803هـ/1401م)[1]، وقد تكون قليلة مثل حولية سنة (850هـ/1447م)[2]، وكذلك المترجم له قد يطول إلى نصف صفحة، مثل ترجمته لأبو الطاهر الفيروزابادي[3]، وقد يقصر إلى نصف سطر مثل "وفي تاسعه صرف ابن شعبان عن الحسبة وأعيد الطويل"[4] ، كما راعى الترتيب في الترجمات من حيث التتابع الأبجدي[5]، وعندما ترجم الرجال بين اسمه ولقبه والكنية واسم الشهرة والنسبة لوطنه والألقاب العلمية، وكذلك ترجم لكل فئات المجتمع من نساء ورجال وسلاطين وأمراء وعلماء وقضاه ومسلمين وأقباط في المدة التي عاشها.

كما راعى تسلسل السنوات الهجرية والشهور والأيام فمثلاً حوادث سنة(804هـ/1402م)، سنة أربع وثمانمائة في المحرم منها[6]، فكتب السنة أرقاما وحروف.

رابعاً: أسلوبه

يتميز أسلوب الإمام ابن حجر بالشعر، وإتقانه لعلوم اللغة وآدابها، فكان لها الأثر الواضح في كتاباته ومثال ذلك:

- تميز أسلوبه بالفصاحة كقوله "وانثال عليه الطلبة"[7]"،و شذر مذر "[8].
- تأثره بالقران الكريم والاقتباس مثل قال الله تعالى "ضعف الطالب والمطلوب"[9].

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج189/4).

(2) المصدر السابق (ج245/9).

(3) المصدرالسابق (ج159/7).

(4) المصدر السابق (168/6).

(5) المصدر السابق (ج16/6).

(6) المصدر السابق (ج1/5).

(7) المصدر السابق (ج250/7).

(8) المصدر السابق (ج349/2).

(9)المصدر السابق (ج175/9).

- الاستشهاد بالأبيات الشعرية،حيث تكون من شعره أو شعر غيره وقد تكون مدح[1]، أو رثاء[2] أو وصف لحياة البلاد.

- كانت انفعالاته واضحة في كتاباته كقوله "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فقال عند ترجمته لملك الحبشة، "لا رحم الله فيه"–"بغرز إبرة "[3].

- استعمل الاختصارات في الحوادث والتراجم مثل اختصار "تمرلنك" ، "اللنك" "فيها طرق اللنك شيراز فحاربه شاه منصور وثبت ثباتا عظيما وأنكأ في عسكر اللنك وهجم على المكان الذي فيه تمرلنك ففر منه واختفى بين النساء"[4].

- كان يضبط و يحرك الأسماء بالكتابة مثل "سريجا" بفتح المهملة وكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة ثم جيم[5].

- يتمتع أسلوبه بالنقد والتحليل للحادثة التاريخية ولم يقبلها كما هي، حيث يفسرها ويبدي رأيه بها، فكان يعرض الرواية ثم يصدر حكما عليها ويذكر الدليل، وذلك لإقناع القارئ.ومثال ذلك عندما عرض قصة الشخص الذي قال للسلطان بأنه رأى الرسول وبشره بالنصر، فعقب ابن حجر بقوله " والذي يظهر لي كذب هذا الرأي" ثم ذكر الدليل على كذبه "وإلا فلو كان صدقا لكان قد انتصر"[6].

وكذلك كان يصدر حكما على المترجم له،فقال عن أويس بن الشيخ المغلي "وكان محبا في الخير والعدل، شهماً شجاعاً عادلاً خيراً"[7].

خامساً: مصادره:

1. كان لخبرة الإمام ابن حجر الواسعة بأحوال الرجال، ولاسيما لكثرة رحلاته واجتماعاته واحتكاكه بهم في وظيفته في الدولة فهذا أثر في كتابته، ومثال ذلك كقوله " لقيته"،وقوله "حدثنا عن ابن أبي النائب بجزأين سمعهما منه بدمشق"[8]،"وقد اجتمعت به كثيراً وغالب

---

(1) ابن حجر، إنباء(ج209/1).
(2) المصدر السابق (ج140/9).
(3) المصدر السابق (ج368/8).
(4) المصدر السابق (ج224/2).
(5) المصدر السابق (ج223/2).
(6) المصدر السابق (ج197/3).
(7) المصدر السابق (ج111/1).
(8)المصدر السابق (ج252/2).

ما أنقله من خطه[1]،كذلك اعتمد على السؤال بالكتابة للاستفسار بمن يثق فيهم من العلماء للحصول على معلومات المجهولة كقوله "كتب إلي بوفاته الشيخ عبد الرحمن البرشكي من تونس"[2].

2. اعتمد ابن حجر على المشاهدة وعلى الروايات الشفوية، حيث يستقي مادته من أقوال العلماء والمحدثين ومن مجالسته للسلاطين ورجالات الدولة المملوكية، ومن ثم توثيق الحادثة التاريخية، كقوله أورد فيه " وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه"[3].

أما المشافهة فيكون ابن حجر غائب عن الحادثة التاريخية، فينقلها من مؤرخين عصره ، ومن المصادر الموثوقة، كقوله عن الرواية التي نقلها عن ابن دقماق " مما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التي كنا نغيب عنها ويحضرها"[4].

3. الإجازات والسماعات كقوله: "وجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين بن الفرات وقد سمعت عليه جملة من الحديث"[5]، وقوله: "ولد سنة ثماني عشرة على ما كتبه بخطه"[6]، وقوله: "وقد حدثنا بالبردة بسماعه من أبي حيان عن ناظمها، وأجاز لي غير مرة"[7]، كقوله: " فرأيت بخط صهره الشيخ علاء الدين الحلبي"[8]
4. اعتماده في تدوين التاريخ على المؤلفات السابقة لإثراء مادته، فقد أوضح ذلك في خطبته "وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه أو وجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي"[9] . ومنهم:

ابن الخطيب الناصرية[10]، صارم الدين بن دقماق،ابن الفرات، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن جحى الدمشقي، الحافظ تقى الدين محمد ابن أحمد بن علي الفاسي، الحافظ صلاح

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج4/1).

(2) المصدر السابق (ج531/3).

(3) المصدر السابق (ج4/1).

(4) المصدر السابق (ج5/1).

(5) المصدر السابق (ج4/1).

(6) المصدر السابق (ج520/1).

(7) المصدر السابق (ج128/2).

(8) المصدر السابق (ج141/1).

(9)المصدر السابق (ج4/1).

(10) هو علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية(774 / 843 هـ)(1372 /1440 م) : مؤرخ، من القضاة، من أهل حلب مولدا، من كتبه " الدر المنتخب في تاريخ حلب " مجلدان، و " سيرة المؤيد " و " تفسير الفاتحة " وغير ذلك. الزركلي، الأعلام (ج5/ 8).

الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي، تاريخ القاضي بدر الدين محمد العيني[1]، الحافظ عماد الدين بن كثير كان عمدته في تاريخ[2].
وكذلك ابن خلكان[3]، شمس الدين الذهبي[4]، محب الدين الحنبلي[5]،العالم البرزالي(ت732هـ/1339م)[6]، المؤيد صاحب حماة[7] و ابن خلدون[8]، تقي الدين الزبيري[1] وابن قاضي شهبة[2].

---

(1) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي(762 / 855 هـ) (1451/1361 م): مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدَّ من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه ، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري) أحد عشر مجلدا، و (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار) مجلدان، في مصطلح الحديث ورجاله، و (العلم الهيب في شرح الكلم الطيب) لابن تيمية، و (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، الزركلي، الأعلام(ج162/7)؛ كحالة،معجم المؤلفين(ج150/12).

(2) ابن حجر،إنباء(ج4/1)، وهو ابن كثير هو الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي(774هـ): فقيه متقن ومحدث و محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة، كتاب "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل" جمع بين كتاب التهذيب والميزان وهو خمسة مجلدات وكتاب "البداية والنهاية" في أربعة وخمسين جزءًا وكتاب "الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن" جمع بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة وله غير ذلك، الذهبي، تذكرة الحفاظ وذيوله (ج1/ 38).

(3) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكيّ الإربلي، أبو العباس(608 / 681 هـ) (1211 / 1282م): من مصنفاته (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ابن حجر، انباء (ج237/1)؛ الزركلي، الأعلام (ج1/ 220).

(4) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثم الدمشقي المقرئ(ت748هـ/1348م): ولي تدريس الحديث بتربة أم الصالح وغيرها، وله من التصانيف: "تاريخ الإسلام" التاريخ الأوسط والصغير و"سير النبلاء" و"طبقات الحفاظ" و"طبقات القراء" و"مختصر تهذيب الكمال" و"الكاشف" مختصر ذلك و"المجرد" في أسماء رجال الكتب الستة و"التجريد" في أسماء الصحابة و"الميزان" في الضعفاء و"المغني" في الضعفاء وهو مختصر نفيس و"مختصر الأطراف" لشيخه المزي و"تلخيص المستدرك" مع تعقب عليه و"مختصر سنن البيهقي" و"مختصر المحلي" وغير ذلك وله معجم كبير وصغير ومختصر بالمحدثين، السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي (ص231)، ابن حجر،إنباء (ج26/1).

(5) محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد المقدسي الصالحي الحافظ شمس الدين أبو بكر المعروف بابن المحب ويعرف أيضا بالصامت لقلة كلامه أبو الطيب. ابن حجر، انباء (ج209/3)؛ المكي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (ج1/ 132).

(6) ابن حجر، انباء(ج143/1)،.

(7) إسماعيل بن علي بن محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا صاحب حماه، ابن الملك الأفضل بن الملك المنصور ابن الملك المظفر بن الملك المنصور(672 / 732هـ)- (1273 / 1331م) برع في الفقه والأصول والعربية والتاريخ والأدب، من مصنفاته "المختصر في أخبار البشر" إلى زمانه و"تقويم البلدان" مجلد، وكتاب "الكُنَّاش" مجلدات، ونظم "الحاوي" وكتاب "الموازين" وغير ذلك. ابن تغري بردي،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (2/ 399)؛ ابن حجر،إنباء (ج457/3)؛حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (1/ 321-322).

(8) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن، ولي الدين أبو زيد الحضرمي الأشهيلي،(732 / 808هـ)(1331 / 1405م)، من مصنفاته (العبر

مما سبق نستنتج تنوعت وتعددت مصادر مادته، مما كان له الأثر في إثراء مادته وشمولها .

وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل) وغيرها،)، ابن حجر،إنباء (ج492/1)؛ابن تغري بردي،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (ج7/ 205)؛ الزركلي،الأعلام (ج3/ 330.

(1) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد(766 / 845هـ)-(1364/ 1441م): عمدة المؤرخين، وعين المحدثين، تقي الدين المقريزي، البعلبكي الأصل، المصري، وصنف كتباً كثيرة من ذلك: إمتاع الأسماع في ما للنبي " صلى الله عليه وسلم " من الحفدة والمتاع، في ست مجلدات، ، وله كتاب الخبر عن البشر، وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك، في عدة مجلدات، يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث إلى يوم وفاته، وله تاريخه الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها، ابن حجر،إنباء (ج13/1)؛ ابن تغري المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (1/ 415-418).

(2)أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقيّ، تقيّ الدين(779 / 851 هـ) (1377 /1448 م): فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها، من أهل دمشق. اشتهر بابن قاضي شهبة لأن أبا جده (نجم الدين عمر الأسدي) أقام قاضيا بشهبة (من قرى حوران) أربعين سنة. من تصانيفه (الإعلام بتاريخ
الإسلام: منتقى تاريخ الإسلام للذهبي وما أضيف إليه من تاريخي ابن كثير وغيرهما) و (المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي) و (مناقب الإمام الشافعيّ) الأعلام للزركلي (2/ 660-61).

الفصل الأول

أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية في مصر والشام من خلال كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر

المبحث الأول:

دور السلاطين في تشجيع العلم والعلماء

اهتم سلاطين المماليك بالعلم والعلماء في مصر والشام،حيث أسهموا في إنعاش الحركة الفكرية والثقافية، من خلال دعمهم للعلماء مادياًومعنوياً، وإنشاء المراكز العلمية التي بها انطلقت صنوف العلوم، لتساهم في تغيير المجتمع المملوكي، ويظهر ذلك الدعم من خلال:

أولاً: الاهتمام بإنشاء المراكز العلمية:

حرص العاملين بالإدارة المملوكية على بناء المؤسسات التعليمية واضحاً من خلال بناء المدارس التي يُدرس بها كافة المذاهب الفقهية، والمكتبات والبيمارستانات والربط والخوانق وإعادة إعمارها، ودعمها مالياً.

ومن مظاهر اهتمام سلاطين المماليك والنواب ورجال العلم والشيوخ بالعلم فقد بنى السلطان الظاهر برقوق(785- 801هـ)(1384-1399م) مدارس منها المدرسة البرقوقية، وقد أشار ابن حجر إليها بقوله"ومن آثاره المدرسة الفائقة بين القصرين لم يتقدم بناء مثلها في القاهرة، وسلك في ترتيب من قرره فيها مسلك شيخون في مدرسته فرتب فيها أربعة من المذاهب وشيخ تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديث وشيخ ميعاد "[1]، وقام الأمير أيتمش البجاسي عام(785هـ/1384م) بإنشاء مدرسة بالقرب من القاهرة[2]، وبنى الشيخ محمد التركستاني عندما نزل إلى بيت المقدس زاوية يتعبد بها ويدرس العلوم الدينية[3]، أما نائب السلطنة بمصر منجك بن عبد الله التركي، فقد ذكر ابن حجر بأنه ساهم في تعمير المدارس والخوانق والخانات والقناطر [4].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(ج53/4).

(2)المصدر السابق (ج128/2).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (ج240/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج520/8).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (ج148/1).

كـان أمـراء المماليـك يتفقـدون أحـوال المـدارس وشـيوخها بأنفسـهم، فقـد ذكـر ابـن حجـر العسقلاني بأنه " نزل الأمير ططر[1] عام(824هـ/ 1421م) في موكب كبير ومعه جمع كثير من الأمراء والخاصكية والمماليك وغيرها فدخل المدرسة المؤيدية"[2].

ومن الواضح أن بناء هذه المؤسسات التعليمة التي أنشأها المماليك نهضت بمستوى العلم وتقدمه في عهدهم، وأسهمت في نشر الثقافة العلمية بين أبناء المجتمع المصري والشامي؛ وبالتالي إتاحة التعليم لكافة الناس، وأدى إلى نمو وازدهار الحركة الفكرية وعمل العديد من العلماء بها في مختلف مجالات الثقافة والعلوم.

ثانياً: دعم سلاطين المماليك للعلماء معنوياً:

نال العلماء مكانة كبيرة عند السلاطين والأمراء في العصر المملوكي، حيث كانوا يشجعونهم ويقربونهم من مجالسهم، فقد كان مستشارين السلطان من العلماء والشيوخ بحيث إذا أشكل على السلطان أمراً فإنه يلجأ إلى العلماء والشيوخ لاستشارتهم.

ذكر ابن حجر العسقلاني بأن السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق كان يستشير العلماء في اختيار الشخص المناسب لمنصب القاضي في الإدارة المملوكية[3]، وكذلك في قضية شخص تجاوز حده بأمور الدين،فقبل أن يصدر بحقه حكماً، فاستشار السلطان الملك المؤيد العلماء في الحكم[4]،وعند مرضه رجع إلى العلماء ليفتوه بحكم جمع الصلاة[5]، وكذلك عقدالأمير الجاي مجلسا بالعلماء في إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقيني وابن الصائغ وآخر بالجواز، وخالفهم الباقون، فانتهى الأمر على ما قاله الجمهور، أما البلقيني فأجاز ذلك[6].

---

(1) هو السلطان الظاهر سيف الدين ططر، ثامن سلاطين المماليك البرجية، حكم مصر عام(821هـ/1421م) ، بقي سلطانا 64يوماً ثم توفى، ثم خلفه ابنه محمد،المقريزي، السلوك(ج255/3)؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين(ج388/3).

(2)ابن حجر،إنباء الغمر (ج413/7).

(3)المصدر السابق (ج48/2).

(4)المصدر السابق (ج222/7).

(5)المصدر السابق(ج352/7).

(6)المصدر السابق(ج39/1).

كذلك كان يجمع العلماء والفقهاء والقضاة ليسألهم عن أسباب الفتن والبلاء ويأخذ برأيهم، فيتم قراءة القرآنوالابتهال إلى الله والتصدق،من أجل فك البلاء[1].

اهتم السلطان الناصر بتأييد العلماء له في الحرب التي كانت بينه وبين الأمير نوروز نائب دمشق، فقد أشار ابن حجر "وكان الناصر قدم تلك الليلة وطلع القلعة واستدعى القضاة والأعيان، ورغبهم فيما لديه ووعدهم بالعدل والجميل فمالوا معه وشجعوه، فتلاحق به العسكر شيئاًبعد شيء،فكان منهم الفقهاء[2]"،وكان الملك الناصر يشارك القضاة في النظر في الشكاوي وفي مظالم الناس[3].

كان لسلاطين المماليك دوراً في تشجيع العلماء من خلال احترامهم وتقديرهم وإكرامهم، حيث ذكر ابن حجر في كتابه عن العالم أبو الطاهر الفيروز أبادي قوله"، ولم يقدر له قط أنه دخل بلداً إلا وأكرمه متوليها وبالغ في إكرامه،...ومنهم الأشرف صاحب مصر"[4]، أما عالم الحديث والقراءات شمس الدين ابن الجزري، فعندما دخل القاهرة، فقد عظمه الملك الأشرف وأكرمه[5]، وكذلك قاضي الديار المصرية ثم الشامية برهان الدين بن جماعة، عندما أراد الاستقالة من منصبه فإن الإدارة المملوكية رفضتاستقالته، وعلى رأسهم السلطان الملك المنصور نزل بنفسه إليه ليرضيه ويناقشه ثم يعيده إلى منصبه[6]، كذلك حرص السلاطين على مشاركة العلماء في الاحتفالات كالمولد السلطاني، وعقدت الاحتفالات بالمولد السلطاني، والقضاة ، وجلسوا على الموائد مع بعضهم ابتهاجاً بذلك[7].

قد كان السلاطين يؤمنون بالعلماء ومحل ثقة السلاطين، و يخضعون لهم روحياً واعتقدوا وقوع الكرامات لهم ومثل ذلك خليل بن عثمان بن عبد الرحمن المصري المقرئ المعروف(بالمشبب)، سمع الأحاديث، وأقرأ الناس بالقرافة، فكان زاهداًمنقطعاً بسفح جبل، و كان للملك الظاهر وغيره فيه اعتقادٌ كبيرٌ، واجتمع معه ابن حجر[8].

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج172/8).

(2) المصدر السابق (ج50/7).

(3) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة(ج217/1)؛ المقريزي،السلوك(ج433/5).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (ج162/7).

(5) المصدر السابق (ج245/8).

(6) المصدر السابق (ج293/2).

(7) المصدر السابق (ج168/8–169).

(8) المصدر السابق (ج58/4).

كان العلماء مقصد وقبلة الأمراء يزورونهم ويتفقدون أحوالهم، فقد كان الملوك يزورون الشيخ شمس الدين القرمي في زاويته[1]، وكذلك أن الرؤساء في الإدارة المملوكية فقد يطلبون مجالسة العلماء وحضور محاضراتهم والاستفادة منها، ومثال ذلك الشيخ محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله أمين الدين الأنفي، فقد كان حسن العشرة ،ويتوافد عليه الناس وطلاب العلم؛ وذلك لأن أسلوبه حسن في الحديث، حتى أن الرؤساء يطلبونه ويحرصون على مجالسته لفكاهة فيه[2].

حظي العلماء بمكانة خاصة وعظيمة عند سلاطين وأمراء الدولة المملوكية فقد لا يرد لهم أمراً، فكان يستجيب الحكام لهم ويقضون حوائجهم، ولا يخالفون أوامرهم، فكان محمد بن خليل بن هلال، عالماً في علوم الحديث، وكان المؤيد يكرمه ويعظمه[3]، حيث ذكر ابن حجر أن الشيخ أكمل الدين البابرتي كان أصحاب المناصب على بابه قائمين بأوامره مسرعين إلى قضاء مآربه[4]، وكذلك أشار ابن حجر بأن القاضي شهاب الدين الباعوني فإن السلطان لايرفض له طلباً[5].

ولعظم قدر العلماء بالنسبة للسلاطين فكانوا لا يترددون من حضور جنازاتهم، ومثال ذلك أكمل الدين محمد بن محمد الرومي البابرتي، مدرس بالمدرسة الساوجية، شيخ بالخانقاه، فقيه عارفا بالنحو والأصول، وله كتاب مشارق الأنوار وكتب بالتفسير، فكانت رسالته لاترد عند الملك الظاهر يبالغ في تعظيمه حتى أنه إذا اجتاز به لا يزال راكباً واقفاً على باب الخانقاه إلى أن يخرج فيركب معه ويتحدث معه في الطريق، وعند موته حضر السلطان والأمراء جنازته وصلى عليه[6].

ثالثاً: دعم سلاطين المماليك للعلماء مادياً:

كان السلطان يعين بنفسه من هو أهل للوظيفة، وكان نصيب العلماء الوظائف العليا في الدولة كبير، فقد تقلدوا الوظائف الإدارية والدينية[7]، وذلك دليل على أهمية العلماء في الدولة وأن صلاح الدولة تكمن بأن يعتلي عرشها العلماء.

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج240/2).

(2)المصدر السابق (ج177/2-178).

(3)المصدر السابق (ج446/7-447).

(4)المصدر السابق (ج181/2).

(5)المصدر السابق (ج127/7).

(6)المصدر السابق (ج181/2).

(7) ابن حجر،إنباء الغمر (ج433/8)؛المقريزي، المواعظ (ج294/4)؛ الشوكاني، البدر الطالع(ج238/2)؛ القلقشندي، صبح الأعشى(ج400/4).

ومما يدلل على ذلك عين السلطان الأشرف الشيخ شهاب الدين أحمد بن صلاح في قضاء الشام[1]. وأشار ابن حجر بأن "أمر السلطان بإحضار القضاة المنفصلين فجلسوا عن يسار السلطان، وجلس كاتبه عن يمينه وبجانبه العينتابي ثم المالكي ثم عبد العزيز الحنبلي، وجلس المشايخ يمنة ويسرة وهم يزيدون على العشرة، ووقعت فوائد ومباحث فظهرت مقادير انحطاطاًوارتفاعاً، فلما كان يوم الختم خلع على القضاة التشاريف على العادة لكنهم كانوا سبعة،.................... خلع فيها على المشايخ وكانوا نحو عشرة[2]" .

وكذلك أشار ابن حجر إلى أن القاضي شهاب الدين أحمد بن ناصر الباعوني، فكان خطيباً وبرع في الشعر والنثر والفقه والنحو والحديث والخط وساهم في حفظ الكتب الفقهية، ففي عهد السلطان الظاهر برقوق تم إكرامه وترقيته وتوليه عدة وظائف تقديراً له فتولى خطابة جامع دمشقومنصب القضاء بدمشق، أما في عهد الناصر فتولى قضاء دمشق وألف كتاباً في التفسير، وتولى في عهد المستعين قضاء الديار المصرية[3] .

حرص سلاطين المماليك على ضمان حياة كريمة للعلماء، وذلك من خلال رصد لهم الرواتب لإعانتهم على أمور حياتهم ومثال ذلك، محمد بن أحمد التلمساني، فقد كان عالماً بالعلوم العربية والأدب والحديث ومدرساً بعد مدارس وله العديد من المؤلفات، فحظي عند الملك الأشرف منزلة رفيعة حيث تولى التدريس بالقاهرة ورصد له راتباً[4]، فقد أشار السيوطي بأنه " صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما، وثلث درهم عن التدريس" ، كذلك يتم توزيع الخبز في كل يوم ستين للمدرس[5].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج433/8).
(2) المصدر السابق (ج106/8-107).
(3)المصدر السابق (ج124/7-127).
(4)المصدر السابق (ج320/1-323).
(5) حسن المحاضرة (ج257/2).

كانت المخصصات العينية والمادية تشمل الطلاب ومرتادي المؤسسات العلمية، مما كان له أثر إيجابي في مساندة طلاب العلم على مواصلة تعليمهم. فقد ذكر ابن حجر العسقلاني بأن السلطان الملك المؤيد أمر عام(819هـ/1417م) الأمير فارس الخازندار[1] الطواشي[2]، بتوزيع مبلغ كبير من الفضة المؤيدية، وتفريقها على الجوامع والمدارس والخوانق، فكان لكل شيخ عشرة دنانير وإردب قمح، ولكل طالب أو صوفي أربعة عشرة مؤيدياً، ومنهم من تكرر اسمه حتى أخذ بعضهم في خمس مواضع، ثم فرق في السؤال مبلغاً كثيراً لكل واحد خمسة مؤيدية، فكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار[3]، وعند انتهاء السلطان الملك الناصر من بناء الخانقاه سرياقوس، فقد فرّق بها ستين ألف درهم فضة، مما شجع الناس في السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات[4]، وفي عام (822هـ/1419م) ذبح السلطان الملك المؤيد بيده مائة وخمسين كبشاً سميناً وعشر بقرات وجاموستين وجملين وفرقها على المؤسسات التعليمية كالجوامع والخوانق والزوايا، وفرق من الخبز نحو من ثلاثين ألف رغيف[5].

فنتيجة لعظم قدر العلم والعلماء في نفس السلطان، وادراكه لفوائده على الناس والمجتمع؛ مما جعله يدعم مجال التعليم ويشجع على القدوم إليه.

رابعاً: اهتمام سلاطين المماليك بالعلم:

كانت مشاركة السلاطين أنفسهم في الحياة العلمية واضحة، فكان الأشرف هيناً ليناً محباً في المال في أهل الخير والفقراء والصلحاء والعلماء مذعناً للأمور الشرعية[6]، وكان الأشرف كثير الإكرام للشيخ العلامة الشيرازي حتى أنه صنف له كتاباً وأهداه له على أطباق فملأها له دراهم، وصنف للناصر كتاباً سماه تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول[7]، وكان

---

(1) مصطلح مملوكي، يتحدث عن خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما، مركب من خزانة، وهي مايخزن فيه المال، كلمة دار هي الممسلك وبذلك الخزندار هو الممسك بالخزان، ، دهمان،محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي(ص68) .

(2) مصطلح تركي، وجمعه طواشيه وهم الخصيان الذين استخدموا في الطباق المملوكية و الحرم السلطاني وكانت لهم حرمة وكلمة نافذة، ويعد شيخهم من أعيان الناس،المقريزي، المواعظ(ج227/4).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (ج204/7)؛ ابن اياس، بدائع الزهور(ج25/2)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج40/14).

(4) المقريزي، المواعظ(ج294/4).

(5) ابن حجر،إنباء الغمر (ج357/7).

(6) المصدر السابق (ج194/1).

(7) المصدر السابق (ج161/7).

الملك الظاهر يقرّب أرباب الكمالات من كلّ فنّ وعلم، ويميل إلى التاريخ وأهله، ومن أقواله أن سماع التاريخ أعظم من التجارب[1].

حرص سلاطين المماليك على حضور مجالس العلم واهتمامهم بها، فكان السلطان يجتمع بالعلماء للدراسة وللنقاش لفهم ما أشكل عليهم من العلوم، فقد ذكر ابن حجر أنه " اتفق أن البخارى لما قرئ حضر السلطان الملك الأشرف وعن يمينه الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي، وعن يساره الهروي ثم الحنبلي ثم شيخ الأشرفية ثم الشيخ يحيى شيخ الظاهرية ثم شيخ الشيخونية قارئ الهداية، ثم صار يحيى يجلس خلف السلطان ليسأله عما يريد فهم معناه من المباحث[2]، وكان كبير الأمراء بمصر الأمير بكلمش العلاي، كان يحب العلماء ويجلس إليهم ويذاكر بمسائل ويتعصب للحنفية جداً[3] .

كما كانت من عادة السلاطين سماع القصص بحيث يقرأ عليه كاتب السر[4] في دار العدل القصص، فقد أشار ابن حجر بأن السلطان الملك المؤيد جلس في الحراقة[5] وبين يديه القضاة والأمراء والمباشرون، وقرأ كاتب السر عليه القصص، واستمر يعمل عنده الخدمة كل اثنين وخميس[6]، وقد كان كاتب السر حمزة بن علي بن فضل الله العدوي، يقرأ على الظاهر الكتب والقصص[7]، كذلك كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يستمع إلى الأحاديث النبوية، فقد سمع عشرين حديث على يد العز بن بدر الدين بن جماعة، عند افتتاح خانقاه سرياقوس، وقد أخذ الملك الإجازة في الحديث الشريف[8]، وكان الملك الناصر حسن بن قلاوون يتميز بطلب العلم وعرف بالذكاء المفرط[9].

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج182/7).

(2) ابن حجر،إنباء الغمر (ج45/8).

(3)المصدر السابق (55/4).

(4)هي وظيفة تختص بقراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها والجلوس بدار العدل لقراءة القصص والطلبات والا ستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور والتحدث بأمور البريد، دهمان، محمد، معجم الألفاض المملوكية(ص127).

(5)هي سفينة حربية كبيرة كانت تحمل أسلحة نارية، دهمان ،أحمد، معجم الألفاظ التاريخية(ص60) .

(6)ابن حجر،إنباء الغمر (ج67/7).

(7)المصدر السابق (ج261/3).

(8) المقريزي، الموعظ(ج294/4).

(9) الشوكاني، البدر الطالع(ج208/1).

فكان هناك اهتمام و إصرار السلطان على حضور العلماء والفقهاء، فقد كانت تعقد مجالس العلمية بحضور السلطان الملك الظاهر برقوق حيث يتدارسون العلوم الدينية. ومثال ذلك القاضي محمد بن أحمد بن علي البساطي المالكي، فقد أصابه مرض الصرع، فكان يحضر مجلس السلطان، حيث يحضر جلسات سماع الحديث، وقد كانت تعقد بعد صلاة العصر، وعندما عوفي فرح السلطان بشفائه، وذكر ابن حجر قائلا:" وحضر معنا مجلساً بالصالحية بأمر السلطان"[1]. فهذا دليل على حب السلطان للعلماء، وأن المجلس لا يكون مكتملاً إلا بهم.

كان السلاطين يشاركون العلماء في تقرير تدريس الكتب بالمدرسة. فقد أشار ابن حجر" رسم بعقد مجلس بعلماء الحنفية بسبب شرط الشيخونية، فأحضرت أربعة كتب وهي الهداية والبزدوي والمفتاح والكشاف، وذكر السلطان للجماعة أن بعض الفقهاء قال له إنه لم يبق أحد يعرف يقرر هذه الكتب، فوقع بينهم الكلام وبدر القاضي الشافعي فقال : يا مولانا السلطان هؤلاء الجماعة هم أعيان العلماء، وليس في الدنيا مثلهم، وما منم إلا من يعرف – يقرر هذه الكتب، فمن ادعى خلاف ذلك فليحضر حتى نسمع كلامه ونرده عليه ، فأعجب السلطان ذلك"[2].

خامساً: أثر معاملة السلاطين للعلماء على العملية التعليمية:

كان لاحتواء السلاطين للعلماء ورعايتهم له أثرٌ كبير على العملية التعليمية، فقد انعكس ذلك على معاملة العلماء لتلاميذهم، حيث كان العالم لا يمل ولا يبخل في تعليم طلاب العلم، ويستقبلهم بوجه سمح، وحتى يأويهم والاهتمام بأحوالهم، فكانت همتهم عالية في تعليم طلاب العلم.

ومثال ذلك عمر بن محمد البالسي الملقن كان يبر الطلبة شديد العناية بأمرهم، يقوم بأحوالهم ويأويهم ويدور بهم على المشايخ ويفيدهم، وكان لا يضجر من التسميع، قرأ عليه ابن حجر الكثير وسمع عليه ومعه[3].

كان لتشجيع العلماء أثره على مواصلة البحث وتأليف الكتب والاهتمام بالقراءة، فكانوا يشترون و يقتنون الكتب ويحرصون على الحصول عليها بخطوط المصنفين[4]، وكانوا يجتهدون في حفظ الكتب حيث نقل ابن حجر عن قول العالم أبو الطاهر الفيروزأبادي قوله" ما كنت أنام

---

(1) ابن حجر ،إنباء الغمر (ج83/9).

(2)المصدر السابق (ج427/8).

(3)المصدر السابق (ج310/4–311).

(4)المصدر السابق (ج293/2).

حتى أحفظ مائتي سطر "[1]، وقد أشار ابن خلدون إلى إقبال أهل الشام ومصر على العلم" فلم تزل موفورة وعمرانها متصلاً وسند التعليم بها قائماً، فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل وفي سائر الصنائع، حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم، أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً بفطرتهم الأولى"[2].

كان العلماء يحرصون على استمرار تلقي التعليم والدراسة لطلاب العلم وعدم اقتصار التدريس في المراكز العلمية، بل كانوا يفتحون بيوتهم للدراسة والعلم.

ومثال ذلك محمد بن محمد الشرمساحي المصري كان وجيهاً عند الرؤساء[3]، وكان بيته يجتمع به العلماء،وطلاب العلم، بحيث يتدارسون علم الحديث والعلوم الشرعية [4] .

سادساً: مكانة العلماء في المجتمع بمصر والشام في العصر المملوكي:

كان للعلماء دور في المجتمع من خلال الاحتماء بهم من ظلم الحكام، وقضاء حوائج الناس ومثال ذلك، محمود بن محمد الأقصراي[5]، مدرس التفسير بالمؤيدية، كانت له اتصالات بالملك المؤيد، فكان قدره كبير عنده، ذكر ابن حجر بأنه "كان فاضلاً بارعاً ذكياً مشاركاً في فنون حسن المحاضرة مقرباً من الملوك، حسن الود، كثير البشر، قائما في قضاء حوائج من يقصده، كثير العقل والتؤدة ، وقد درس في التفسير بالمؤيدية[6].

كذلك كانوا لا يردون لهم شفاعة، فكانوا يستشفعون لبعض من عليهم عقوبة فقد أشار ابن حجر عن الشيخ محمد بن إلياس القونوي "وكان ربما كتب شفاعة إلى النائب، نصها : غلى فلان المكاس أو الظالم أو نحو ذلك " [7].

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج162/7).

(2) مقدمة ابن خلدون(ص247).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر(340/4).

(4)المصدر السابق (341/4).

(5) يعد من أشهر المدرسين في العصر المملوكي(ت825هـ)، فكان يدرس ابن السلطان إبراهيم بن المؤيد علم الفقه، ودرس بعدة مدارس،،وكان يحضر مجلس السلطان المْؤَيد، وله مكانة مميزة عند السلطان الظاهر ططر. ابن حجر، انباء،(ج484/7)؛المقريزي، السلوك(ج70/7).

(6) ابن حجر،إنباء الغمر (ج484/7-485)؛المقريزي، السلوك(ج70/7).

(7) ابن حجر،إنباء الغمر (ج245/2-246).

احتــرم المجتمــع فــي عهــد المماليــك العلمــاء، وقــد لقبــوا بالعديــد مــن الألقــاب مثــل (أوحد العلماء)[1]، (ضخم الرياسة)[2] ،(فاق أهل عصره في ذلك)[3] ،(انتهت إليه رياسة العلم ببلده)،(انتهت إليه مشيخة بلده) [4].

تمتع العلماء في العصر المملوكي بالقوة في قول الحق، وإبداء رأيهم بكل حرية من غير خوف، فكان العلماء يغلظون القول مع الأمراء عند بعض القضايا[5]، فقد أشار ابن حجر إلى أن الشيخ شمس الدين القونوي[6]"وكان شديد البأس على الحكام، شديد الإنكار للمنكر، أمّاراً بالمعروف،قليل المهابة للأمراء والسلاطين والحكام، يغلظ لهم كثيراً"[7].

كما كان لهم دور في السياسة، وفي عزل و تثبيت السلاطين في حكمهم، فقد ساهم القاضي أحمد بن ناصر الباعوني في خلع الملك الناصر فرج بن برقوق عام (815هـ/1413م)[8].

وفي عام(842هـ/1439م) جمع الخليفة المعتضد بالله الثالث القضاة والأمراء، وأشهدهم بأنه خلع السلطان الملك العزيز وتعين بدلاً منه وهو الأمير جقمق حيث أشار ابن حجر بقول الخليفة "أشهدكم أنني خلعت الملك العزيز من السلطنة وصيرت الأمير الكبير جقمق في السلطنة"[9]. فلولا موافقة العلماء والقضاة فلم يتم تعيين السلطان أو خلعه.

وقد كان للعلماء أثرٌ كبيرٌ في المعارك، فلهم وزنهم ودورهم في تشجيع المحاربين في المعارك، حيث شارك العلماء من فقهاء وقضاة بجانب الأمراء في الجهاد في سبيل الله ودفع الغزاة والرباط في بلاد الشام واستطاعوا تحقيق الانتصار على الفرنج في الشام، فكان لهم دورٌ كبيرٌ في حفظ

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج2/358).

(2)المصدر السابق (ج9/174).

(3)المصدر السابق (ج9/240).

(4) المصدر السابق(ج1/71).

(5)ابن حجر،إنباء الغمر(ج2/245-246)؛السبكي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب(ج1/42).

(6) يعد من أشهر العلماء في العصر المملوكي وفقيه حنفي، ولد وتعلم في (قونية) وقدم إلى دمشق (715 - 788 هـ) = (1315 - 1386 م)، وصنف عدة كتب، الفقه وفي أصول الدين وفي البلاغة.ابن قطوبغا، تاج التراجم(ص283)؛الزركلي،الأعلام (ج7/153).

(7)ابن حجر،إنباء الغمر (ج2/245-246).

(8)ابن حجر،إنباء الغمر (ج7/126)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج13/146).

(9)ابن حجر،إنباء الغمر(ج9/39).

البلاد من الأعداء. فعندما أراد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق الاستعداد لمواجهة الفرنج عام (785هـ/1384م)، توجه القاضي الشافعي والفقهاء للتطوع لقتال الفرنج، واستطاعوا بهذه المعركة الانتصار عليهم[1].

سابعاً: مظاهر اهتمام عناصرالمجتمع بمصر والشام في العصر المملوكي بالعلم والعلماء:

حرص أفراد المجتمع في العصر المملوكي على تعليم أبنائهم وفرحهم عند الانتهاء من حضور جلسات والمحاضرات التعليمية الدينية. فقد ذكر ابن حجر " ذكر لي شيخنا الإمام المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: ذكر لي والده – يعني زين الدين ابن ناظر الصاحبية – أنه قال : ما فرحت بشيء أعظم من أني أحضرت ولدي هذا – يعني أحمد المذكور – جميع مسند الإمام أحمد علي البدر بن الرقاق ابن الجوخي أنا زينب بنت مكي أنا حنبل؛ قال شيخنا ابن ناصر الدين: وكان شيخنا زين الدين ابن ناظر الصاحبية من الثقات، قدم القاهرة فحدث بها بالمسند وغيره ، ثم رجع إلى بلده[2] .

كذلك عمل الاحتفالات والولائم عند الانتهاء من كتابة الكتب حيث كان الشيخ محمد بن عبد الدائم بن عيسى بن فارس البرماوي[3] منظومة في أسماء رجالها وشرحها وشرح البخارى في أربع مجلدات، و قد استفاد منه الطلبة فكان كل سنة يتم كتبه من كتب المختصرات وعند الانتهاء من الكتابة يصنع وليمة، ثم استدعاه نجم الدين ابن حجى، فعينه في وظائف كثيرة واستنابه في الخطابة والحكم ونوه به[4].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج127/2).

(2) المصدر السابق (ج239/9).

(3) الشيخ شمس الدين،محمد بن عبد الدائم بن عيسى بن فارس،البرماوي،ولد سنة(763هـ)، يعد من أشهر علماء علماء الحديث، وله عدة مؤلفات في علم الحديث، المصدر السابق (ج162/8).

(4)المصدر السابق (ج162/8).

المبحث الثاني:
دور المرأة في الحركة العلمية

شهد عصر المماليك في مصر والشام بروز عدد من النساء اللاتي تركن أثراً واضحاً في الحياة الفكرية والثقافية، فكان لها دوراً بارزاً في العلم والحضارة والأدب والفن والسلطان والدين.

أولاً: دور المرأة كمتعلمة في المجتمع بمصر والشام في العصر المملوكي:

كانت المرأة معلمة ومتعلمة، حيث حرصت المرأة على أن تتعلم وتترقى في مراحل التعليم حتى تصل إلى مرتبة العلماء فلقبت بالعالمة أو الشيخة، مثل عالمة الحديث فاطمة بنت خليل بن أحمد بن أبي الفتح المقدسية ثم القاهرية(ت838هـ/1435م)، لقبت بالشيخة المسندة، حيث أجاز لها أكثر شيوخ القباني، وحدثت وسمع منها الطلبة وقد تفردت عن بعضهم[1].

كما اهتمت المرأة على أن تتلقى دراستها في البيوت والمساجد ومنهن من ارتحلن في طلب العلم،وشاركن في مجالس السماع في مختلف أنواع العلوم، ولا سيما العلوم الدينية ومنها علوم الحديث والقرآن الكريم مثل فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية الصالحية، أم يوسف عالمة بالحديث(ت803هـ/1401م) أصلها من بيت المقدس، اشتهرت في صالحية دمشق، حدثت بالكثير، وأجاز لها علماء من دمشق ومصر وحلب وحماة وحمص[2].

ولم تكتفي النساء في العصر المملوكي أخذ الإجازة على يد شيخ بل على عدة شيوخ في مصر والشام؛ وذلك لتكتسب الخبرة الكافية والعلم الوافي[3] ؛ لما لذلك من فضل واسع وأجر كبير وللتقرب الى الله، وهذا يدلل على حب المرأة وحرصها لتعلم العلوم الدينية من علوم القرآن والحديث، ومثال ذلك:

ملكة بنت الشرف عبد الله بن العز إبراهيم بن المقدسي ثم الصالحي: أحضرت علي الحجار وعلي محمد بن الفخر ابن البخاري ، وأحضرت علي أبي بكر ابن الرضي، وزينب بنت الكمال وغيرهم ، وأجاز لها ابن الشيرازي وابن عساكر وابن سعد وإسحاق الآمدي وغيرهم وحدثت بالكثير وسمع منها الفضلاء [4].

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج8/365-366)، ابن العماد، شذرات الذهب(ج9/297)؛بن شاهين، نيل الأمل (ج4/371)؛الزركلي، الأعلام للزركلي(ج5/131).

(2) ابن حجر،إنباء الغمر(313-314)؛عاشور، سعيد، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك(ص152).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (ج8/365-366).

(4)المصدر السابق(ج4/184).

فاطمة بنت محمد المقدسية(ت803هـ/ 1401م):فقدأجاز لها أبو نصر ابن الشيرازي ويحيى بن سعيد وآخرون من الشام وحسن الكردي وعبد الرحيم النشاوي وآخرون من مصر ، قرأت عليها من الكتب والأجزاء بالصالحية ونعم الشيخة كانت [1].

ولم تمانع المرأة على أن تتعلم على يد الرجال، حتى أنها رافقت زوجها في دروس العلم، مثل **المحدثة عائشة بنت علي بن محمد الدمشقية**(ت815هـ/1413م):سمعت مع زوجها الحافظ شمس الدين الحسيني من ابن الخباز والمرداوي ومن بعدهما، كما روت الأحاديث[2].

ومما يدل على اهتمام المرأة في التعليم، أنه لا يوجد سن محددة للتعليم، فلم يمنعها كبر سنها من العلم وتعليم طلاب العلم فكانت معطاءة في كل مراحل عمرها، ومحل ثقة العلماء أمثال، **المحدثة زينب بنت محمد بن عثمان الدمشقية**، زاد عمرها على المائة وعشر سنين بإخبار من يوثق به من أهل دمشق، فقرأ عليها بعض أصحابنا بالإجازة العامة عن الفخر بن البخاري وغيره[3].

كان الاهتمام بتعليم المرأة منذ صغرها،حيث يتم تثقيفها بالثقافة الدينية والعلمية ومثال ذلك ابنة الإمام ابن حجر العسقلاني حيث أشار ذلك في كتابه بأن **ابنته رابعة** سمعت الحديث برفقته في سنة خمس عشرة من الشيخ زين الدين ابن حسين بمكة، وأجاز لها جمع كثير من أهل مصر والشام[4] ، وكذلك **عائشة بنت محمد بن قدامة** ولدت عام(724هـ/1324م)، وأحضرت في الرابعة على الحجاز سنة ست وعشرين، وسمعت عليه أربعي الطائي وأربعي الحجار وغير ذلك، وأسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك، وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات والمجازات وتفردت،وممن أجاز لها إبراهيم بن صالح بن العجمي من حلب، والشيخ شرف الدين البارزي من حماة، والبرهان الجعبري من بلد الخليل، وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس، وتفردت بالسماع من الحجار ومن عدة علماء[5].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج313/4-314)؛ أبو داود، سنن أبي داود الأرنؤوط(ص79)؛ تقي الدين، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد(ج390/2)؛ برهان الدين، المقصد الأرشد(ج318/2)؛ نيل الأمل(ج60/3)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج55/9)،الزركلي، الأعلام للزركلي(ج132/2).

(2)ابن حجر،إنباء (ج87/7).

(3)ابن حجر،إنباء الغمر (ج345/3-346)؛المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج258/4)؛السلوك في معرفة الدول(ج66/7).

(4)ابن حجر،إنباء الغمر (ج182/8).

(5)المصدر السابق (ج132/7).

ثانياً: دور المرأة كمعلمة في المجتمع المملوكي:

لم يقتصر التدريس على الرجال فقد كان للمرأة دورها في التدريس، فكانت فاطمة بنت محمد الصالحية أم يوسف، شيخة في مدرسة الصالحية، حيث كان الطلبة يقرؤون عليها الكتب والأجزاء ومن طلبتها ابن حجر العسقلاني[1].

كان طلبة العلم من مشاهير العلماء والمفكرين في عصر المماليك يسعون بجد ونشاط للأخذ والتلمذة على تلك العالمات الحافظات، فقد ساهمن في منح الإجازة للعلماء عن طريق السماع والمشافهة، ويسجل ابن حجر أسماء النساء اللاتي أجزن له، مثل كلثم بنت الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي الدمشقية أم عمر[2]، و ملكة بنت الشرف عبد الله بن العز إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ثم الصالحي[3]، و زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم [4] بن تيمية[5] ابنة أخي الشيخ تقي الدين ، سمعت من الحجاز وغيره ، حدثت زينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية، وكذلك زينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية، وقرأ عليها بعض الشيوخ بالإجازة العامة عن الفخر بن البخاري وغيره [6].وبذلك فساهمت على نشر العلم في المجتمع المملوكي من خلال منح الاجازات للعديد من طلبة العلم.

وتقديراً لمعلماتهم، فقد سجلوا ترجمات لهن وذكروهن في مشيخاتهم وفهرستاتهم ومعاجمهم التي خلدت سِيرهن، حيث ذكرواأسماء الشيخات، وأنواع العلوم التي أخذها طالب العلم عنهن؛ فقد ذكر ابن حجر العسقلاني نسبة كبيرة من شيوخه من النساء، **كالمحدثة مريم بنت أحمد بنابراهيم الأذرعي الدمشقية(ت802هـ/1400م)**، سمعت الكثير من علي بن عمر الواني وأبي أيوب الدبوسي والحافظ قطب الدين الحلبي وناصر الدين بن سمعون، وغيرهم وأجاز لها التقي بن الصائغ وغيره من المسندين بمصر والحجاز وغيره من الأئمة بدمشق ، فخرّج ابن حجر لها معجماً، ويحوي ثلاثة عشر جزءاً في مجلد واحد، وذكر فيه شيوخ المحدثة مريم في السماع

---

(1)ابن حجر ،إنباء الغمر (ج314/4).

(2)المصدر السابق (ج115/5).

(3)المصدر السابق (ج184/4).

(4) تعد من أشهر العالمات بعلم الحديث(ت799هـ) في القرن الثامن، روت الحديث عن بعض أهل العلم، ابن حجر ،انباء(ج345/3)؛ ابن العماد، شذرات(ج358/6).

(5)ابن تيمية (ت 728هـ،/ 1327م)، وهو تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم الخضر، ويعد من أشهر علماء الحنابلة، اشتهر في مجالات عدة منها الفقه والحديث والعقيدة والمنطق واللغة الحساب والجبر. ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج358/1– 362).

(6)ابن حجر ،إنباء الغمر (ج345/3).

والإجازة، حيث عدد إحدى وعشرين شيخة سمعت منهن السيدة مريم وأجزن لها،وقرأ عليها الكثير الحافظ ابن حجر من مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة، ووصفها ابن حجر "ونعمت الشيخة كانت ديانة وصيانة ومحبة في العلم" ، وهي آخر من حدث عن أكثر مشايخها المذكورين (ت 805هـ/1413م)[1].

ولأهمية المرأة في مجال التعليم فقد يسارع الرحالة للأخذ وسماع الحديث من المرأة ومثال ذلك محدثة دمشق **عائشة بنت محمد بن قدامة، المقدسي الأصل أم محمد (ت816هـ/1414م)**، فقد أسمعت صحيح مسلم والبخاري، ومعظم السيرة على جماعة من العلماء، وسمع منها الرحالة فأكثروا، وكان أسلوبها في التدريس سهل، كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع، وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتباً عديدة، وانفردت في آخر عمرها بعلم الحديث[2].

كذلك **المحدثة ست الوزراء، الشيخة أم عبد الله بنت القاضي ابن أبي البركات التنوخية الدمشقية الحنبلية**، ولدت (624هـ/1227م) وقد اشتهرت بعلم الحديث حيث سمعت من والدها ومن أبي عبد الله الزبيدي، وحدثت بدمشق ومصر، وقصدها العديد من طلبة العلم من أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية ليقرؤوا عليها، كما حدث عنها العديد من العلماء و كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع، وقد كانت من الصالحات (ت716هـ/1317م)[3].

ثالثاً: دور المرأة في إنشاء المؤسسات التعليمية في المجتمع المملوكي:

اهتمت بعض النساء وحرصت على إقامة المراكز العلمية كبناء المدارس والأربطة، وذلك لحرصها على استمرار العملية التعليمية، فقد ساهمت نساء السلاطين في تشييد المراكز العلمية حيث أن بركة خاتون بنت عبد الله ، والدة الملك الأشرف ، أنشأت لها مدرسة بالتبانة[4].

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج127/5)؛جمال الدين، أمينة، النساء المحدثات في العصر المملوكي ودورهن في الحياة الأدبية والثقافية(ص9).

(2)ابن حجر،إنباء الغمر (ج132/7)؛تقي الدين، ذيل التقييد في رواة السنن والأحاديث(ج381/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج178/9)؛ الحنبلي، الجوهر المنضد(ج110/1)؛العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ج292/1)؛كحالة، معجم المؤلفين(ج56/5)؛ الزركلي، الأعلام للزركلي(ج241/3).

(3) ابن حجر،إنباء (ج133/7)؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي (5/ 382)، النجوم الزاهرة (9/ 237)،ابن الكثير،البداية والنهاية اث (14/ 90)، المقريزي، السلوك (2/ 521).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (ج48/1)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج125/11)، المنهل الصافي(ج355/3-356)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة(ج6/2).

وقد ساهمت الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير بكتمر الحجازي في إنشاء المدرسة الحجازية(761هـ/1360م)، ويدرس بها المذهب الشافعي و المالكي، كذلك كانت تعقد بها مجالس للبحث في المسائل الدينية، وبها عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً، وبنت بجوار المدرسة مكتباً للسبيل يحوي فيه عدة من أيتام المسلمين، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم، ويوزع عليهم في كل يوم الخبز ويتم كسوتهم، ومبلغاً من الفلوس، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية [1].

كذلك أوقفت أغل خاتون بنت شمس الدين بن سيف الدين القازانية البغدادية، في سنة(755هـ/1354م) المدرسة الخاتونيةوتنسب اليها، ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الجمل، ثم أُكملت عمارتها، ووقفت أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه وقفاً عليها، في سنة(782هـ/1381م)[2].

وقد أنشأت الست تذكار بنت الملك الظاهر بيبرس سلطان مصر فقد شيدت(684هـ/1286م) للشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات البغدادية، رباطاً بجوار خانقاه بيبرس وصار كالمودع للنساء الأرامل وهو المعروف برواق البغدادية، ويعرف نزلائه من النساء بالخير، وفيه شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقهن[3].

رابعاً: مظاهر اهتمام المرأة بالعلوم:

لم يكن دورهن البناء والتشييد والتعمير وفقط، بل ظهرت منهن العالمات النجيبات اللاتي ذاع صيتهن، حيث شاركت المرأة العلماء وساهمت في إغناء الفكر الإسلامي العربي ، ومما يدل على ازدهار هذا العلم في العصر المملوكي، فقد شاركت النساء في مصر وبلاد الشام، فبرزت مجموعة من المحدثات **ومن أشهرهن:**

ست الركب بنت علي بن محمد بن حجر، وكانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء[4] ، وأجاز لها أبوها، ومن مكة: ابن عبد المعطي، ومن المدينة: نور الدين الزَّرْندي، ومن المجاورين:

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج153/1)؛المقريزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(ج230/4-231)؛ السلوك لمعرفة الدول والملوك(ج327/5)؛ ملكاوي،حسن، مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي(ص280).

(2) الحنبلي، الأنس الجليل(ج36/2)؛كرد علي، خطط الشام(ج118/6).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (ج226/3-227)؛ كحالة،أعلام النساء(ج168/1).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (ج302/3).

الكرماني شارح "البخاري"، ومن حلب: محمد، والحسين ابنا عمر بن حبيب، ومن دمشق: محمد بن أحمد بن خطيب المزة، والتقي بن رافع، ومن بعلبك: العماد بن بردِس، ومن تونس: شمس الدين بن مرزوق، ومن مصر: الحافظ زين الدين العراقي، وأبو الفرج ابن الشَّيخة وصلاح الدين بن مسعود وآخرون، وتعلمت الخطَّ ، وحفظت الكثيرَ مِنَ القرآن، وأكثرت مِنْ مطالعة الكتب، فمهرت في ذلك جدًّا، بحيث كان يظنُّ مَنْ يراها تقرأ مِنَ الكتاب أنها تحفظه لجودة استخراجها[1].

الوعظ والارشاد

كما اختصت بعض النساء في الوعظ والارشاد، وتعليمهن القرآن و الحديث، وكانت النساء تقبل على مجالس العلم والدين على يد رجال الدين ومنهم من يذهبن للمسجد؛ وذلك لسماع دروس الوعظ [2]، فقد كان الشيخ شهاب الدين أحمد المصري، كان يعظ النساء[3].

علوم الحديث الشريف والقرآن:

فقد تركت المرأة أثراً كبيراً في مجال العلوم الدينية، ولا سيما علوم الحديث فقد كانت المرأة خير معلمة للحديث النبوي، فقد رحل إليها طلاب العلم من كافة أنحاء العالم الاسلامي، لتلقي العلوم ومن أشهر المحدثات في مصر والشام في العهد المملوكي:

المحدثة زينب بنت قاسم بن عبد الحميد بن العجمي، سمع منها بعض شيوخ (ت775هـ/1374م)[4]، والمحدثة عائشة بنت محمد بن عبد الهادي،آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتهما مائة سنة (ت816هـ/1414م)[5]، والمحدثة فاطمة بنت أحمد بن محمد، سمعت على جدها لأمها جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب، وأجاز لها المزي وجماعة وحدثت بحلب نقل من غادي(ت 813هـ/1411م)[6] ، والمحدثة ملك بنت إبراهيم بن خليل بن محمود البعلية ثم الدمشقية، سمعت بعناية أخيها من ابن أمية ومن بعده وحدثت معه ، سمع منها الإمام ابن حجر العسقلاني منها وسمعت قراءته (ت 815هـ/1413م)[7]، والمحدثة رقية بنت العفيف عبد السلام بن محمد، حدثت بالإجازة عن شيوخ مصر، والشام كالختني وابن المصري وابن سيد

(1) الجواهر والدرر (ج114/1-115).
(2)ابن حجر،إنباء الغمر (ج229/7)؛(ج161/9).
(3)ابن حجر،إنباء الغمر (ج161/9)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج112/2).
(4)ابن حجر،إنباء (ج85/1).
(5) المصدر السابق(ج133/7).
(6) المصدر السابق (ج256/6-255).
(7) المصدر السابق (ج82/7).

الناس من المصريين والبندنيجي والمزي من الشاميين (ت 581هـ/1186م)[1]، والمحدثة ستيتة بنت الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، أسمعها أبوها من حسن بن عمر الكردي وحدثت (ت776هـ/1375م)[2]، والمحدثة ست الكل بنت أحمد بن محمد بن الزين القسطلانية ثم المكية حدثت بالإجازة عن يحيى بن فضل الله ويحيى بن المصري وابن الرضي وغيرهم من الشاميين والمصريين(ت 803هـ/1401م)[3]، والمحدثة ست القضاة بنت عبد الوهاب، حدثت بالإجازة عن القاسم بن عساكر وغيره من شيوخ الشام وعن علي الواني وغيره من شيوخ مصر ، وخرج لها صلاح الدين أربعين حديثا عن شيوخه(ت 801هـ/1399م)[4]، والمحدثة زينة بنت أحمد بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يونس الموصلية ، سمعت من عيسى المطعم وابن النشو وغيرهم ، وحدثت بالكثير (ت779هـ/1378م)[5]، والمحدثة فاطمة بنت أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري أم الحسن بنت أبي العباس بن الرضي الإمام ، سمعت من جدها الرضي وحدثت (ت779هـ/1378م)[6]،والمحدثة خديجة بنت أحمد بن الطنبا المعروف أبوها بابن الحلبة سمعت من العماد البالسي وابن مشرف وهدية بنت عساكر وغيرهم ، وحدثت، ماتت بحلب في رجب(ت779هـ/1378م)[7]، والمحدثة أمة العزيز بنت الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حضرت على عيسى المطعم وغيره ، وسمعت من الحجار وجماعة وحدثت(ت785هـ/1384م)[8]، والمحدثة هبة بنت أحمد بن محمد بن سالم بن صصرى ، ولدت سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة وأحضرت على ست الوزراء في الثالثة من صحيح البخاري ، وحدثت ، ماتت في شهر رمضان(ت786هـ/1385م)[9]،والمحدثة ششك بنت محمد بن الشيخ علي التركماني ، سمعت من عبد الله بن علي الصنهاجي وحدثت(ت788هـ/1386م)[10]، والمحدثة عائشة بنت الخطيب عبد الرحيم بن بدر الدين بن جماعة ، اخت قاضي القضاة برهان

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج7/85).

(2)المصدر السابق (ج1/117).

(3)المصدر السابق (ج4/276).

(4)المصدر السابق (ج4/60).

(5)المصدر السابق (ج1/252).

(6)المصدر السابق (ج1/255).

(7)المصدر السابق (ج1/251).

(8)المصدر السابق (ج2/145).

(9)المصدر السابق (ج2/185).

(10)المصدر السابق (ج2/236).

الدين ، سمعت علي الواني وغيره وحدثت(ت788هـ/1386م)[1]، والمحدثة عائشة بنت السيف أبي بكر بن عيسى بن منصور بن قواليج الدمشقية ، روت عن القاسم بن مظفر والحجار وغيرهما وحدثت ، ماتت في شوال (ت793هـ/1391م) [2]، والمحدثة فاطمة بنت عمر بن يحيى المدنية تعرف ببنت الأعمى ، أجاز لها الدشتى والقاضي والمطعم ونحوهم ، وحدثت بمصر (ت793هـ/1391م)[3]، والمحدثة فاطمة بنت تقي الدين الجعبري ، حضرت على أسماء بنت صصري وسمعت من ابن الرضي، وحدثت بدمشق(ت795هـ/1393م)[4] ، والمحدثة آمنة بنت علي بن عبد العزيز الدمشقية ، حضرت على أسماء بنت صصري وعبد الله بن أبي التائب وغيرهما وحدثت (ت 798هـ/1396م)[5].

علم السياسة والفن

كان للمرأة دوراً مهماً في عالم السياسة فشاركت الرجل، حيث يستعان بها كعامل استخباراتي، وترشد الأمراء إلى الطريق الآمنة الخالية من الجيوش المعادية، وترصد مكان العدو وتحركاتهم؛ وهذا يدل على أن المرأة في هذا العصر بأنها محل ثقة وانه يعتمد عليها في هذا المجال وأنها لها باع طويل في مجال السياسة، فقد ذكر ابن حجر:" بأن صاحب مصر أخبرته امرأة بأمر تمرلنك وحذرت منه، وتعلمه أنه توجه إلى قرى باغ ليشتي بها ثم يعود في الصيف إلى بغداد ثم إلى الشام، فوصلت المرأة إلى دمشق فجهزها بيدمر صخبة قريبة جبريل..."[6] .

أما **أم السلطان الأشرف بركة خاتون:** فقد تميزت برجاحة عقلها وسداد رأيها، فعندما حجت في سنة(770هـ/1369م) ، توجهت في أبهة عظيمة، وقد تسابق الأمراء والخاصكية والخدام لخدمتها، وفرقت بالحرمين الشريفين أموالاً كثيرة، وارتفعت مكانة الأمير جاي بسبب زواجه من أم السلطان الأشرف، حيث تولى الأتابكية، وظل يتميز بسمو منزلته حتى توفيت عام(778هـ/1377م) التي أنشأتها فكانت من أعظم نساء عصرها خيراً، وديناً، وبراً، وجمالاً، وكرماً[7].

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج240/2).

(2)المصدر السابق (ج90/3).

(3)المصدر السابق (ج93/3).

(4)المصدر السابق (ج193/3).

(5)المصدر السابق (ج300/3).

(6)المصدر السابق (ج212/2).

(7) ابن حجر، الدرر الكامنة(ج6/2)؛ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج355/3-356)، النجوم الزاهرة(ج125/11).

بينما وصف ابن حجر خديجة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين زوج قاسم البشتكي، وكانت توصف بعقل ورئاسة[1].

كانت المرأة محل اهتمام وسماع والانتصار لها، فعندما اشتكت امرأة إلي السلطان الظاهر سيف الدين برقوق عام (783هـ/1382م) ، استجاب لها وأعطاها حقها، فقد سجل ابن حجر بأنه تأخر القاضي كمال الدين كاتب السر عن الخدمة بسبب تغيظ السلطان عليه في من أجل امرأة تظلمت من وقف عليها بدمشق استبدل في غيبتها، ثم حضرت إلى دمشق فرفعت الأمر لأحد نواب الحكم فحكم لها باسترجاعه ، فأمر السلطان كاتب السر أن يكتب لها بتسليم الوقف ، فتأمل ما بيدها فوجده لا ينفذ تسليمها ذلك فتباطأ في كتابة المرسوم، فلما سأله عن سبب البطء قال : ليس معها حق، فغضب عليه وانزعج عليه ، فنزل داره – وراسل يستعفي[2] .

أما في مجال الفن والغناء، فقد أطلق لفظ المغاني على الرجال والنساء، فكانت هذه الضريبة يؤدوها المغنيين إلى خزينة الدولة، وهو عبارة عن مال كثير مقرر على المغاني من رجال ونساء ويؤدونه كل سنة إلى الخزانة[3]، وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة ما كان أحد يقدر يعمل عرساً حتى يغرم قدر عشرين إلى ثلاثين مثقالاً ذهباً وكانوا بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها ولو إلى زيارة أهلها إلا أن أخذ الضامن منها رشوة فقد كانت المغنيات اذا أرادت الغناء فتدفعه إلى الضامنة[4]، وقد كانت المغنية تغني في الحفلات والأعراس بحيث يجتمعن النساء للغناء، فكانت تعقد الولائم [5].

ومن أشهر الفنانات في العصر المملوكي:

دنيا بنت الأقباعي

هي مغنية من دمشق، اشتهرت في تميزها في الغناء؛ مما جعل الملك الناصر حسن في استدعائها وتكريمها، وكما حظيت عند الملك الأشرف بمكانة خاصة، فكان لها أثراً كبيراًفي إسقاط

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج24/8).

(2)المصدر السابق (ج125/9).

(3) ابن حجر، إنباء الغمر (ج16/2)؛ المقريزي،السلوك لمعرفة دولة الملوك(ج295/2)؛ كرد علي،خطط الشام (ج64/5).

(4) ابن حجر، إنباء الغمر (ج191/1).

(5)المصدر السابق (ج126/2).

مكس المغاني، فقد استجاب السلطان لطلبها، بالرغم من معارضة البعض في ذلك[1]، فهذا له دورٌ كبيرٌ في تشجيع الغناء في الدولة المملوكية.

خوبي العوادة

تعد واحدة من رموز الطرب والغناء في مصر المملوكية، اشتهرت بجمالها وحسن طلتها وكانت سلطانة للطرب في عصرها، وكانت فائقة فِي ضرب الْعود فاشتراها بكتمر الساقي بِعشْرَة آلَاف دِينَار مصرية وَيُقَال أَنه لم يدْخل مصر لَهَا نَظِير وَلما مَاتَ بكتمر فِي طَرِيق الْحجاز فبلغها كسرت عودهَا ثمَّ بَاعهَا النَّاصِر لبشتاك بِستَّة آلَاف دِينَار فَدخلت عَلَيْهِ وَمَعَهَا من الْأَمْتِعَة أَضْعَاف ذَلِك فَلم تحظ عِنْده وَيُقَال أَنه زَوجهَا لبَعض مماليكه(ت740هـ/1340م)[2].

اتفاق المولدة

وقد نشأت عند ضامنة المغاني، حيث تعلمت ضرب العود على يد علي العجمي، فتفوقت فيه وتميزت بصوتها الجميل؛ فنتيجة لذلك قدمتها الضامنة لبيت الناصر، فحظيت عند السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر(743-726هـ/1326-1343م) حيث شغف بها وتزوجها وقد أنجبت منه، وأغدق عليها من نفيس الجواهر والحلي والعطايا[3].

كما اشتهرت في القرن الثامن بدمشق فرحة بنت المخايلة المغنية المعروفة بالحضرمية وهي التي كانت مع عرب آل مِرا يوم وافوا دمشق لحرب التتار، فكانت تغني للجنود من الهودج[4].

وهناك من النساء من وصفت بالخير والصلاح، فمنها، صالحة أو زينب بنت صالح بن رسلان البلقيني، وهي والدة القاضي علم الدين صالح، وكانت موصوفة بالخير؛ وعاشت نحو الستين[5]، وكان لنساء السلاطين دور في البر والإحسان، حيث أن شيرين الرومية خوند والدة الملك الناصر فرج، كانت كثيرة المعروف والبر في شؤونها بعد سلطنة ولدها[6].

فكانت المرأة محل اهتمام ولها مكانة اجتماعية كبيرة، بحيث يحضر الناس جنازتها ويحرصوا على ذلك، فقد أشار ابن حجر أن زينب بنت القاضي زين الدين البسطامي ، والدة

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (ج252/1).

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة(ج218/2).

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج149/10)؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك(ج35/4)؛موسى،محمد، المختار المصون من أعلام القرون(ص33)؛ بن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول(ص133).

(4) كرد علي، خطط الشام(ج97/4).

(5) ابن حجر، إنباء الغمر (ج84/8).

(6)المصدر السابق (ج164/4-165).

القاضي صدر الدين المناوي ، كانت مقيمة بجامع الحاكم ، ماتت في المحرم، ومشى الناس في جنازتها من هناك إلى المصلى الذي بالقرب من جامع المارداني لأجل ولدها[1] .

وعلى هذا الأساس لعبت المرأة دوراً بارزاً في الساحة العلمية، ومن ثم فإن ذلك الدور عزز من مكانة المرأة في مختلف المجالات، فقد ساهمت المرأة بنشر العلم فكانت الأم والأخت التي هي تعلم أخيها وعائلتها، فقد كان للأسرة دور كبير في ازدهار العلم.

فمثلاً عمر بن محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ثم الصالحي الحنبلي زين الدين ابن الحافظ شمس الدين وهو ابن أخت المسندة فاطمة بنت عبد الهادي حدثنا عن زينب بنت الكمال[2].

وكانت العائلة بأكملها متعلمة فنلاحظ من تلقت العلم على أبيها مثل سارة بنت علي بن عبد الكافي السبكي، أسمعت من أحمد بن علي الجزري وزينب بنت الكمال وغيرهما، وسمعت على أبيها، وتزوجها أبو البقاء فلما مات تحولت إلى القاهرة ثم رجعت إلى دمشق في أيام سري الدين وكان صاهرها، ثم رجعت إلى القدس ثم إلى القاهر، فسمعنا منها قديماً ثم في سنة موتها، ماتت بالقاهرة بعد مرض طويل وقد جاوزت السبعين[3]، وأما من تعلمت على يد جدها كفاطمة بنت تقي الدين الجعبري ، حضرت على أسماء بنت صصري وسمعت من ابن الرضي وكان المزي جد أمها، وحدثت بدمشق[4].

فتُبين لنا أن الأم كان لها دورٌ كبيرٌ في هذا العصر، فربت أسرتها تربية تقوم على الثقافة الراسخة، والعلم الأصيل، وأول تلك المسارات التي ساهمت فيها المرأة في سبيل النهضة الحضارية والعلمية.

فقد أثبتت المرأة بأنها قوية تجابه المجتمع من أجل الارتقاء بنفسها علمياً، كذلك ساهمت بنشر القيم الإسلامية والحفاظ على الدين وحفظ النساء والمجتمع من المفاسد، فقد كانت واعظة وتلتزم بالحضور إلى المساجد،والخروج من أجل العلم أصبحت سمة هذا العصر، وأن لاتوجد قيود على المرأة في الخروج من بيتها لتلقي العلم وأمور دينها.

بناء على ماسبق يمكن القول برهنت المرأة في هذا العصر بأنها خير قائدة ومعلمة، وتحملت مسؤولية نشر العلم وتعليم المجتمع، لدرجة أنه لم يتردد الرجال لتلقي العلوم على يديها ولاسيما العلوم الدينية وبعضهم يفتخر بذلك، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنه عصر انفتاح ولا توجد قيود على المرأة. فأثبتت المرأة بأنها مجتهدة، وليست راكنة تعتمد على الرجال بل تبذل قصارى جهدها و تزاحم الرجال من أجل دراستها وعلمها.

---

(1)ابن حجر، إنباء الغمر (ج226/3).

(2)المصدر السابق(ج311/4).

(3)المصدر السابق (ج102/5).

(4)المصدر السابق (ج193/3).

المبحث الثالث:

هجرة العلماء إلى مصر والشام

لقد كان عصر المماليك وخصوصًا القرن الثامن والتاسع الهجري، من أزهى العصور علميًا وثقافيًا؛ ذلك لأنّ هذا العصر قد اتصف بكَثرَة العلماء الذين خرجتهم الأمّة، تاركين للأجيال القادمة تراثًا ضخمًا في مختلف فنون المعرفة، فكان لهم أثرٌ واضحٌ على الحركة العلمية.

أصبحت مصر والشام محورًا لنشاط علمي كبير في مختلف المجالات وذلك نتيجة؛ ما أصاب العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري من تخريب وتدميره للكتب والمؤلفات، وقتل للعلماء والمفكرين على أيدي المغول في العراق[1]، وعلى أيدي المسيحيين في الأندلس[2]، فغدت مصر والشام، مقصد العلماء الوافدين والمعلمون و طلبة العلم من بغداد و غرناطة وبلاد الأندلس، فأصبحت هي المجال الوحيد للنشاط الفكري والثقافي، كما أن إحياء الخلافة العباسية في مصر على أيدي المماليك هيأ لمصر والشام لأن تقود البلاد الإسلامية سياسياً؛ وبالتالي أصبحت تمتلك القيادة الفكرية والعلمية، فأضحت مركزًا للنشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي[3].

اعتنى سلاطين المماليك في مصر والشام بالعلماء والمثقفين ورحبوا بهم واستقبلوهم، فتم توفير لهم رعاية مجانية من مأكل ومسكن، بحيث احتوت المدن الكبرى على مساكن لاستقبال الطلاب الوافدين[4].

لذلك توافد العديد من العلماء من المشرق والمغرب إلى مصر والشام؛ مما كان له أثرٌ على ازدهار الحياة العلمية في ذلك الوقت.

تمثلت رعاية العلماء الوافدين من قبل السلطة المملوكية، في توليتهم في مؤسسات الدولة المملوكية مثل المدارس، أو المستشفيات أو في المناصب العليا في الدولة المملوكية كالقضاء، و تم رصد

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج275/3–277)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج60/7)؛ المقريزي، السلوك(ج386/1)؛ البهيجي، إيناس،تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية (ص220)؛ الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الاسلامي عصر المماليك(ص256).

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام(ج246/27)؛ الزيدي، مفيد، موسوعة(ص256).

(3) عبود،مارون، أدب العرب مختصر تاريخ نشأته(ص41)؛ البهيجي، إيناس،تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية(ص220)؛الزيدي، مفيد، موسوعة(ص256).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر(55/4)؛ الشاعر، محمد، الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك(ص133).

لهم الرواتب، فتخرج على يد العلماء الوافدين العديد من طلبة العلم، الذين ساهموا في نشر العلم والدين بين أبناء المجتمع المملوكي[1].

وقد تفاعل العلماء الوافدين و تبادوا ثقافيا بينهم وبينعلماء الشام ومصر، حيث عقدت مناظرات بين العلماء المهاجرين والعلماء المصريين[2].

أولاً: العلماء الوافدون من العراق إلى مصر والشام في العصر المملوكي:

تفاعل العلماء العراقيين مع الحركة العلمية في مصر والشام، حيث شاركوا في علوم القرآن وعلوم الحديث و اللغة العربية والتدريس والقضاء، وصنفوا العديد من المؤلفات في كافة العلوم وتخرج على أيديهم طلبة العلم والعلماء، **فمن أشهرهم:**

- **أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي:** نزيل دمشق،ولد ببغداد ونشأ بها، وقرأ بالراويات وسمع من مشايخها، ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس، ودرس القراءات بدمشق وانتفع به طلاب العلم وخرج لنفسه معجماً وله عدة مصنفات منها "شرح الترمذي" و"شرح علل الترمذي" و"شرح قطعة من البخاري"و"طبقات الحنابلة"[3].

- **القاضي عز الدين عبد العزيز البكري المقدسي البغدادي الحنبلي:** ولي قضاء القدس، ثم ولي تدريس الحنابلة بالمدرسة المؤيدية في مصر، ثم ولي قضاء الشام، ثم ولي القضاء بالديار المصرية، ثم أعيد إلى قضاء دمشق، وكان اختصر المغني وضم إليه مسائل من المنتقى لابن تيمية من مختصرات الحنابلة[4].

- **شمس الدين الزركشي محمد بن سعد الدين البغدادي:** نزيل القاهرة ، مهر في القراءات وشارك في الفنون وبرع في الشعر، وله قصيدة في العروض استحسنها القاضي مجد الدين الحنفي ويقال إنه شرحها، ونظم العواطل الخوالي ست عشرة قصيدة على ستة عشر بحراً ليس فيها نقطة[5].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(ج144/1).

(2)المصدر السابق (ج24/9).

(3) ابن حجر،إنباء(ج42/1-43)؛ الدرر(ج151/1)؛ ابن فهد المكي،ذيول تذكرة الحفاظ(ص367)؛ السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ(ص243).

(4)ابن حجر،إنباء (ج194/9-196).

(5)المصدر السابق (ج262/6).

– **جلال الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد التستري الأصل ثم البغدادي:** نزيل القاهرة، وقد اشتغل بالفقه على مذهب الحنابلة، ولي تدريس الحديث ببغداد ومدارس الحنابلة كالمستنصرية والمجاهدية، وصنف في الفقه وأصوله «الوجيز في الفقه» في ستة آلاف بيت، وأرجوزة في الفرائض مائة بيت، وله مختصر ابن الحاجب ومدائح نبوية، وكان يدرس الناس ببغداد، ثم خرج من بغداد بسبب المغول فوصل إلى دمشق فبالغوا في إكرامه، وكان يكتب الشعر والنثر، ثم قدم القاهرة وعين في تدريس الحنابلة بمدرسة الظاهر برقوق وكان قد امتدحه وكتب في مدح مدرسته، وحدث بالقاهرة بجامع المسانيد لابن الجوزي سماعه له بإسناد نازل إلى مؤلفه، كان يحضر مجلس السلطان المؤيد الذي يعقد كل أسبوع(1).

– **شهاب الدين أحمد بن عمر البغدادي الجوهري:** ، قدم من بغداد، ثم دمشق ثم القاهرة وكان محبا للعلم والعلماء، صنف الجوهر والمذاكرة الحسنة، قرأت عليه سنن ابن ماجه بجامع عمرو بن العاص، وقرأت عليه قطعة كبيرة من طبقات الحفاظ للذهبي وقطعة كبيرة من تاريخ بغداد للخطيب، صنف (الأحاديث العوال من تهذيب الكمال في أسماء الرجال) مجلدان منه(2).

– **شرف الدين عبد المنعم بن سليمان الشيخ البغدادي**: ولد ببغداد واشتغل بها، ثم انتقل إلى القاهرة، وتفقه ومهر وأفتى، وقد درس للحنابلة في مدرسة المنصورية و أم الأشرف وعمل بالجامع الأزهر في التدريس و الإفتاء(3).

– **غياث الدين محمد بن محمد الواسطي ثم البغدادي:** مدرس بالمدرسة المستنصرية(4)، ودرس وأفتى وبرع في الفقه و الحديث والأدب والعربية، وشارك في الفنون وشرح المصابيح للبغوي وخَرج لنفسه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً، كما شرح منهاج البيضاوي والغاية القصوى له، وحدث بمكة وبيت المقدس ودمشق و كان بارعاً في علمي المعاني والبيان له شعر حسن مِنْهُ

---

(1) ابن حجر، إنباء(ج6/ 196– 197)؛ رفع الإصر(ص87)؛السخاوي، السلوك(ج286/3)؛الضوء(ج157/4)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج175/13)؛ السيوطي، حسن المحاضرة(ج482/1)؛ ابن العماد(ج147/9)؛ابن شاهين، نيل الأمل(ج181/3).

(2) ابن حجر،إنباء(ج18/6)؛تقي الدين، ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد(ج362/1)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج55/2)؛الزركلي، الأعلام(ج187/1).

(3) ابن حجر، إنباء(ج247/5–248)؛ السخاوي، السلوك،(ج273/2)؛السيوطي، حسن المحاضرة(ج482/1)؛ ابن المبرد الحنبلي، الجوهر المنضد(ج71/1–72)؛ ابن العماد، شذرات(ج103/9).

(4)أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام (1233م) في بغداد، وألحق بها مستشفى ودار للقرآن والحديث ومكتبة، ويدرس بها كافة العلوم الدينية والعقلية والطبيعية ولاتزال بعض مبانيها قائمة في بغداد. ابن المستوفي، تاريخ اربل(ج656/2)؛ ابن العماد، شذرات(ج343/5).

قصيدة سَمَّاهَا عدَّة الوحيد وعمدة التَّوْحِيد، وفي أربعينه أوهام وأسقاط رجال من الأسناد، رحل من العراق بسبب تخريب المغول للمدينة، فدخل الشام وحدث بها وكتبوا عنه من نظمه [1].

- **شرف الدين حمد بن محمد الشيخ المسند التكريتي:** نزيل القاهرة، وأجاز له العديد من العلماء، وتكاثر عليه الطلبة ولازموه، فكان عالماً بالحديث، قرأ عليه العديد من طلاب العلم ومنهم الإمام ابن حجر العسقلاني، وقد أشار ابن حجر إلى علمه "ولم يبق بعده بالقاهرة من يروي عن أحد من مشايخه لا بالسماع ولا بالإجازة بل ولا في الدنيا من يروي عمن سميت من مشايخه المذكورين رحمه الله تعالى"[2] .
- **الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي:** ومهر في فنون الحديث أسماءً ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه، له عدة مؤلفات منها: شرح سنن الترمذي والقواعد الفقهية، وطبقات الفقهاء، واللطائف في الوعظ، وشرح قطعة كبيرة من البخاري وشرح الأربعين للنووي في مجلد، وعمل وظائف الأيام سماه اللطائف وعمل طبقات الحنابلة ذيلاً على طبقات أبي يعلى، وكان صاحب عبادة وتهجد، تخرج عليه غالب العلماء الحنابلة بدمشق[3].
- **صدر الدين بديع بن نفيس الطبيب التبريزي ثم البغدادي نزيل القاهرة:** فلقد شارك علاء الدين بن صغير في رئاسة الطب بالقاهرة، ولقد اعتنى السلطان برقوق به[4].
- **تقي الدين البغدادي عبد الرحمن بن أحمد الواسطي نزيل مصر:** شيخ القراء قدم القاهرة، وتلا على العديد من العلماء، فدرس القراءات بجامع ابن طولون و بمدرسة الحاج آل ملك، ودرس

(1) ابن حجر ،إنباء(ج3-275-277)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية(ج177/3-178)؛ حاجي، خليفة، سلم الوصول(ج239/3).

(**2**)ابن حجر ،إنباء(ج341/7-342)؛ تقي الدين، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (1/ 232)؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (9/ 111)؛ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (9/ 108).

(3)ابن حجر ،إنباء (ج175/3-176)؛ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص118)؛ السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ (ص243)؛ ابن تغري بردي،المنهل الصافي (7/ 164)؛ نيل الأمل في ذيل الدول (2/ 334)؛ الغزي، ديوان الإسلام(ص45).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج11/2-12)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج144/12)؛ المقريزي، السلوك(ج338/2).

المحدثين بالشيخونية، قرأ عليه شيخنا العراقي بعض القراءات، ولي قضاء المالكية بدمشق، وله عدة كتب منها شرح الشاطبية ونظم كتاب غَايَة الْإِحْسَان لشيخه أبي حَيَّان فِي النَّحْو[1].

- عبد الرحيم بن أحمد بن الفصيح الهمذاني الأصل، ثم الكوفي ثم الدمشقي الحنفي، قدم القاهرة فحدث بالسنن الكبرى للنسائي بسماعه منه، وحدث عن محمد بن الخباز بمسند الإمام أحمد، وسمع منه طلاب العلم، وكتب معجم شيوخه وترجم لهم، ثم رجع إلى دمشق فمات بها[2].

- محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي نزيل القاهرة، واشتغل ببلاده، ثم قدم الشام وتميز وأفاد ودرس في المدرسة الصلاحية، وكان عالماً في الفقه والأصول، وله عدة مؤلفات منها شرح مختصر ابن الحاجب في ثلاث مجلدات، مجمع الأخبار في مناقب الأخيار، و كتاب في الرد على التناقض للأسنوي، المطالب العلية في مناقب الشافعية، مجمع الأحباب وهو مختصر الحلية لأبي نعيم في مجلدات وكتب تفسير كبير، وكتاب في أصول الدين[3] .

- عبد الرحمن بن الحسين البكري الواسطي نزيل دمشق، وتولى بالشميساطية، وكان عالي الإسناد في كتاب الإرشاد للعز القلانسي [4].

ثانياً: العلماء الوافدين من بلاد الأندلس إلى مصر والشام في العصر المملوكي:

ساهم العلماء الأندلسيين في إثراء الحركة العلمية في مختلف فنون العلم في اللغة العربية من نحو وشعر، وفي إدارة الدولة وفي مجال الوعظ والعلوم الدينية، **ومن أشهرهم:**

- شمس الدين محمد المغربي الأندلسي النحوي الشيخ الذي ولي قضاء حماة، ثم توجه إلى الروم فأقام بها وأقبل الناس عليه، وتميز بالذكاء، كثير الاستحضار، عالماً بمختلف العلوم، خصوصاً العربية، وقد قرأ في علوم الحديث[5].

- أبو جعفر الغرناطي الأندلسي أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي، رافق أبا عبد الله بن جابر الأعمى في رحلته إلى الحج، فتصاحبا إلى أن صارا يعرفان بالأعميين، وسمعا في

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج316/1-317)؛ الدرر (ج111/3)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج196/11)؛ السيوطي، حسن المحاضرة(ج396/1).

(2) ابن حجر،إنباء(ج177/3)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج581/8).

(3) ابن حجر،إنباء (ج128/1)؛ الدرر (ج160/5)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج352/8)؛ النعيمي، الدارس (ج248/1)؛بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال(ص112)؛ الزركلي، الأعلام(ج87/6).

(4) ابن حجر،إنباء(ج317/1).

(5)المصدر السابق (ج447/8).

الرحلة من أبي حيان وأحمد بن علي الجزري والحافظ المزي وغيرهم، وكان أبو جعفر شاعراً ماهراً عارفاً بفنون الأدب، وكان رفيقه عالماً بالعربية مقتدراً على النظم شاعراً، واستوطنا البيرة من عمل حلب، واستفاد من علمهم أهل حلب، ونظم أبو عبد الله البديعية فشرحها أبو جعفر ، وكما صنف أبو جعفر في العروض والنحو، فقد شرح الألفية وكان أبو جعفر كثير العبادة[1].

- محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي محمد القرطبي أبو الوليد ابن الحاج ثم الغرناطي نزيل دمشق، أم بالجامع، وكان يتصف بالخير والفضل[2].
- محمد بن حيان بن العلامة أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي ثم المصري أبو حيان وسمع من جده ومن ابن عبد الهادي وغيرهما حسن المحاضرة، ألف كتاب بتاريخ المغرب مؤلف من ستين مجلداً[3].

ثالثاً: العلماء الوافدين من كافة البلاد الإسلامية إلى مصر والشام في العصر المملوكي:

ولم يقتصر توافد العلماء إلى مصر والشام من العراق والأندلس فقط، بل كانت قبلة للعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومن أشهرهم:

إيران

- فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي التبريزي الحنفي، وقدم مع أبيه إلى القاهرة فمات أبوه وهو صغير فكفله عمه بديع بن نفيس، فتميز في الطب وبرع، وقرأ المختار في الفقه، وتردد إلى مجالس العلم وتعلم الخط وباشر العلاج، وصحب بيبغا السابقي في أيام الأشرف واختص به، وكان بارع الجمال فانتزعه برقوق لما قبض على السابقي وصار من أخص المماليك عنده، فزوج فتح الله أمه وفوض أموره وأسكنه معه، فاشتهر حينئذ وشاع ذكره ، واستقر في رئاسة الطب بعد موت عمه بديع، ثم عالج برقوق فأعجبه، وكان يدري كثيراً من الألسنة ومن الأخبار

(1) ابن حجر، إنباء(ج244/1)؛الدرر الكامنة(ج404/1)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج189/11)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج449/8)؛ المقريزي، السلوك(ج316/2)؛ حاجي خليفة، سلم الوصول لطبقات الفحول(ج269/1)؛ الزركلي، الأعلام للزركلي (ج1/ 274).

(2) ابن حجر، إنباء(ج97/3).

(3) ابن حجر، إنباء (ج841/5-185)؛ ابن كثير،البداية والنهاية(ج143/12).

فراج عند الظاهر واختص به وصار له مجلس لا يحضر معه فيه غيره ، وباشر رئاسة الطب بعفة ونزاهة[1].

- محمد نظام الدين بن الخوارزمي ثم المصري ، مدرس الفقه بالجامع الطولوني ، ذكره محمد بن كان من أكابر العلماء الشافعية وعلمائها مات بمصر [2] .

المغرب

- محمد تاج الدين بن العماد إسماعيل، البطرني المغربي الأصل نزيل دمشق ، كان في خدمة القاضي علم الدين القفصي وعمل نقيبه ، ثم بعد موته ولي قضاء طرابلس ، ثم رجع وناب عن القاضي المالكي ، وكان عفيفاً في مباشرته ، ويستحضر طرفاً من الفقه[3] .
- محمد بن محمد بن علي بن حرز الله الواديالمغربي الإمام العالم الكاتب الأديب، له قصائد ومؤلفات منها كتاب سماه عرف الطيب في وصف الخطيب صنفه للبرهان، رحل الى القدس، ثم انتقل الى دمشق [4].

الهند

- محمد بن عبد الله الصفوي الهندي ثم الدمشقي، كان رومي الأصل، أسمعه مولاه صفي الدين الهندي الحديث ، وحفظ التنبيه في صغره ، وألبسه الخرقة وكان يلبسها عن مولاه ، وتفرد برواية جزء البيتوتة على أبي الفضل بن عساكر حضوراً عليه ، وأجاز له القواس والعز أحمد الحسيني وعائشة بنت المجد وجماعة ، وكان حسن الشيبة ، يعرف شد المناكيب ويجودها ، وكان يضرب بصنعته المثل ، أخذ ذلك عن زين الدين عبد الرحيم البغدادي ، أثنى عليه البرزالي وأرخه سنة تسع عشرة وله ثمان وسبعون سنة [5].

---

(1) ابن حجر، إنباء(ج137/7)؛ المقريزي، السلوك(ج494/2)؛ ابن العماد، شذرات (ج180/9).

(2) ابن حجر، إنباء(ج35/1).

(3)المصدر السابق (ح218/8).

(4) ابن حجر، إنباء(ج244/2)؛ الدرر(ج466/5)؛ ابن العماد، شذرات(ج523/8)؛ الزركلي، الأعلام(ج43/7).

(5) ابن حجر، إنباء(ج136/1)؛ المجمع المؤسس(ج645/2)؛ ابن الجزري،غاية القراء في طبقات القراء(ج191/2)؛ ابن العماد، شذرات(ج427/8).

الروم[1]

العلامة علاء الدين علي بن موسى بن إبراهيم، الرومي الحنفي، تخرج بالشريف الجرجاني والتفتازاني إلى أن برع وتصدر للإقراء ودخل مصر، فتولى في مشيخة الأشرفية الجديدة وجرت له مع علماء مصر مناظرات، وبالجملة فكان عالماً محققاً، عارفاً بالجدل، إماماً في المعقول، بارعاً في علوم كثيرة من تصانيفه: أسئلة علاء الدين في مجلدات، حاشية على شرح السعد للمفتاح المسمى بكشف الرموز ومفتاح باب الكنوز، وشرح أوراد الزينية[2].

- الشيخ شرف الدين يعقوب بن جلال أحمد الرومي التباني الحنفي، تميز في علم الحديث فشرح كتاب المشارق، وكان يستحضر كثيراً من فروع الحنفية مع براعة في العربية والمعاني والبيان والعقليات، ولي التدريس والخطابة والإمامة بمدرسة الجائي، وولي مشيخة تربة قجا السلحدار، وولي مشيخة قوصون، وولي نظر القدس ثم ولي في سلطنة المؤيد مشيخة الشيخونية ونظر الكسوة ووكالة بيت المال، فقد اتصل بالمؤيد وعظم قدره عنده[3].

- يعقوب بن إدريس بن عبد الله بن يعقوب، الشهير بقرا يعقوب الرومي النكدي الحنفي، نسبة إلى نكدة من بلاد ابن قرمان، فبرع في الأصول والنحو والعربية والمعاني وكتب على المصابيح شرحاً وعلى الهداية في فقه الحنفية حواشي، ودخل البلاد الشامية، ثم قدم القاهرة بعد موت المؤيد فاجتمع بمدير المملكة ططر، فأكرمه إكراماً زائداً ووصله بمال قدر بألف دينار، فاقتنى كتباً كثيرة، ثم رجع إلى بلاده [4].

---

(1) وهي مدينة قديمة تشمل قسطنطينية وأعماله. الغزي، نهرالذهب في تاريخ حلب (ج1/ 133).

(2) ابن حجر، إنباء(ج24/9)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة(ج216/15)؛ السيوطي، حسن المحاضرة(ج548/1)؛ كحالة، معجم المؤلفين (ج248/7).

(3) ابن حجر، إنباء(ج61/8-62)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج282/10-283)؛ **ابن تغري بردي**، النجوم الزاهرة(ج121/15)؛السيوطي، بغية الوعاة(ج350/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج265/9-266)؛ الزركلي(ج197/8- 198).

(4) ابن حجر، إنباء(ج225/8-226)؛ السخاوي، الضوء(ج282/10)؛ السيوطي، بغية الوعاة(ج194/8)؛ ابن العماد، شذرات (ج301/9)؛ الزركلي، الأعلام (ج194/8)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج241/13)؛ نويهض، معجم المفسرين(ج740/2).

نيسابور[1]

- الشريف جمال الدين عبد الله بن محمد الحسيني النيسابوري، كان بارعاً في الفقه والأصول والعربية، وولي تدريس الأسدية بحلب، أقام بدمشق ثم بالقاهرة، وولي مشيخة بعض الخوانق و من مصنفاته: شرح التسهيل وشرح لب اللباب في النحو، شرح المنار في أصول الفقه، شرح التلخيص " في البلاغة و شرح الشافية لابن الحاجب في التصريف، وشرح التنقيح لصدر الشريعة في أصول الفقه[2].

اليمن

- شمس الدين محمد بن علي بن عبد الله اليمني، أقام بمصر ملازماً لعز الدين بن جماعة، وكان ولي مشيخة الإقراء ، بالشيخونية نزح إلى الشام فأكرمه تاج الدين السبكي ونزله ببعض الخوانق كان فاضلاً مفتياً يستحضر أشياء من غريب الحديث وأسماء الرجال وفقه الشافعية من كتاب البيان ، وكان يرويه بإسناد له، من تصانيفه جزء في وجوب كلمات التشهد دال على سعة اطلاع ومعرفة في أصول الفقه[3].

بناء على ما سبق تبين لنا أن مصر والشام كانتا مركز جذب للعلماء وطلبة العلم الوافدين من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، فقد وجدوا المكان المناسب لهم، للافادة من علمهم،بحيث كان لهم الدور الفعال في إثراء الحركة العلمية والفكرية، بما ألفوه من كتب، ومساهمتهم في التدريس في المراكز العلمية المنتشرة في مصر والشام، وبالتالي تخرج العديد من طلبة العلم والعلماء.

وهكذا برزت خلال عهد المماليك جماعة من أفضل علماء المسلمين في التاريخ الإسلامي، وشجعهم على ذلك اهتمام سلاطين المماليك بالعلم والعلماء.

---

(1) تعد من اقليم خراسان، وهي مدينة ايرانية مشهورة، تقع في أقصى الشمال الشرقي من إيران، شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية الإسلامية(ص286).

(2) ابن حجر، إنباء(ج118/1-119)؛ الدرر (ج68/3-69)؛السخاوي، السلوك(ج289/2)؛ السيوطي، بغية الوعاة(ج54/2)؛ الزركلي، الأعلام للزركلي(ج126/4-127)؛ كحالة، معجم(ج108/6).

(3) ابن حجر،إنباء(ج140/1-141)؛ الدرر (ج324/5-325)؛ ابن العماد، شذرات(ج428/8)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج24/11).

الفصل الثاني

دور المراكز العلمية في مصر وبلاد الشام في الحركة العلمية من خلال كتاب" إنباء الغمر بأبناء العمر"

المبحث الأول:

دور المدارس والكتاتيب في مصر وبلاد الشام في الحركة العلمية

اهتم المماليك بالنظام التعليمي، حيث لاقت المدارس عناية السلاطين وكبار الشخصيات من أمراء وولاة من إنشاء وتمويل[1]، وذلك بهدف تدعيم المذاهب السنية والقضاء على المذهب الشيعي، ولتقوية الدولة بهم من خلال بناء المدارس والكتاتيب[2]، كذلك ابتغاء الأجر والثواب من الله[3].

أولاً: المدارس:

تعد المدارس من المراكز التعليمية المهمة التي كان لها دور مهم في التاريخ الإسلامي، حيث دعت الحاجة إليها بسبب التطور الفكري ولنشر العلم بين أبناء المجتمع خلال العصر المملوكي، فقد تقدمت، وتعددت اهتماماتها وازداد عددها، وذلك بسبب الرعاية التي قدمها سلاطين المماليك للمدارس، ومساهمة السلاطين والنواب وكبار الشخصيات وانشاء وتمويل المدارس[4]، وكذلك ذكاء واقدام السكان في مصر وبلاد الشام واقبالهم على العلم[5]، ونستنتج من ذلك كلام ابن خلدون ووصفه للمشرق بقوله" "وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة، لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه"[6]، كذلك توفير الدولة المعاشات للمدرسين والعلماء؛ مما دفع بالعملية التعليمية نحو الأمام والتقدم و التنافس[7].

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج395/7).
(2) المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج200/4).
(3) ابن حجر،إنباء(ج96/6).
(4) ابن حجر،إنباء الغمر(ج53/4).
(5)ابن حجر،إنباء الغمر (ج182/8).
(6) المقدمة(ص247)
(7)المصدر السابق (ج320/1-323).

أدى إقبال الناس على التعليم إلى تعدد المدارس، والذي ساعد على استمرار و مواصلة تقديم الخدمات في المدارس، حيث أنهم أوقفوا عليها الكثير من الأوقاف من الأموال و البساتين والتي ساهمت بالإنفاق على هذه المدارس(1).

لقد وصف الرحالة ابن بطوطة المدارس بمصر فقال: "وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها"(2)، أما القلقشندى فوصف اهتمام السلاطين ببناء المدارس" بنوا من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها"(3)، وفي مدينة دمشق في القرن السابع بلغ عدد المدارس فيها 90 مدرسة، وفي القرن الثامن بلغ عدد المدارس فيها 115 مدرسة(4). فكثرة المدارس والاهتمام بإنشائها، فذلك دليل على إقبال طلاب العلم على المدارس بكثرة، وتشجيع الأسرة في المجتمع المملوكي على التعليم.

تنوعت وتعددت المدارس في الشام، منها ما هو مخصص لتدريس المذهب الشافعي، وتوجد مدارس أخرى لتدريس المذهب الحنفي، ومدارس تختص بالمذهب الحنبلي والمالكي(5). ومن الواضح أن تدريس كافة المذاهب الفقهية في المدارس المملوكية، ذلك يدل على مدى إعطاء الحرية التامة لطلاب العلم للتعرف على كافة المذاهب الفقهية، وعدم التعصب لمذهب بعينه، وفرضه على الطلاب، كذلك يدلل على مدى وعي طلاب العلم وتقبلهم للاختلاف وعدم تعصبهم لفكر معين والاصرار عليه ، فتعلموا بهدوء، بدون إثارة المشاكل.

ولأهمية بناء المدارس كانت تقام المهرجانات احتفالا بإنشائها، ويحضر السلطان والأمراء والمدرس والأعيان والقضاة الأربعة كذلك جميع المقرئين، فيجتمعون في صحن المدرسة(6)،ويتغنى الشعراء ابتهاجا ببنائها، فيمد سماطاً(7)، بمختلف الأطعمة والحلوى والفواكه، وملأ الفسقية بصحن المدرسة بالسكر في الماء، فيأكل جميع المدعوين والحضور من الناس، كذلك يوزع على الناس

---

(1) المقريزي،السلوك(ج447/5)؛ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج414/1)؛ القلقشندي، صبح الأعشى(ج391/3).

(2) رحلة ابن بطوطة(ج15/1).

(3) صبح الأعشى(ج416/3).

(4) النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس(ج96/1)(ج108/2).

(5) ابن شداد، الأعلاق(ص31-45).

(6) ابن حجر،إنباء الغمر(ج214/2-215)؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة(ج243/11)؛المقريزي،السلوك(ج187/5).

(7) هو مايبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين ويطلق على المائدة السلطانية، دهمان، محمد، معجم الألفاظ التاريخية(ص92) .

والذين شاركوا في عمارة المدرسة في الاحتفال الهبات والمكافآت من مهندسين ودهانين ومعلمين وعمال[1]. فهذا يدلل على اهتمام المجتمع والإدارة الحاكمة بالمؤسسات التعليمية ولا سيما المدارس، باعتبارها تساهم بنشر الثقافة والوعي بين أبناء المجتمع المملوكي.

المواد التي تدرس بالمدرسة:

تدرس في المدارس المملوكية العديد من المواد منها العلوم الشرعية كالفقه والعربية والأصول الفقه والحديث[2]، والقراءات[3]، و تفسير القرآن الكريم وإلقاء الخطب[4]، وكذلك علوم اللغة العربية والشعر[5]، ولقد قرر السلطان الظاهر سيف الدين برقوق سنة(801هـ/1398م) في مدرسته أربع مواد لتدريسها، شيخ تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديث وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة[6]. تنوع المواد التي يدرسها الطالب، هذا ساهم إلى حد كبير، باتساع وعيه وإدراكه.

كذلك كانت هناك مدارس لتدريس تخصص معين من العلوم الشرعية، كمدرسة دار القران، وتختص بتعلم قراءة القرآن، حيث يجتمع الطلاب لقراءة القرآن بها[7].

كانت المدارس تدرس مذهباً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، وهي مذاهب أهل السنة، ومن الأمثلة على المدارس في مصر والشام مدرسة الشيخونية والبيبرسية[8] والمؤيدية[9] والمنصورية[10]؛ لتدريس المذهب الشافعي، وخصصت مدرسة أم الأشرف لتدريس المذهب الحنفي[11]، ومدرسة الجاي مشتركة بين الشافعية والحنفية[12]،كذلك يدرس المذهب الحنبلي بالمدرسة الظاهرية

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج2/ 214- 215)؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة(ج243/11)؛المقريزي،السلوك(ج187/5).

(2) ابن حجر،إنباء(ج145/4)؛ المقريزي،السلوك(ج447/5).

(3) ابن حجر،إنباء(ج67/2)؛ المقريزي،السلوك(ج447/5).

(4) ابن حجر،إنباء(ج139/4-140)؛ المقريزي،السلوك(ج447/5).

(5) ابن حجر،إنباء(ج139/9).

(6) المصدر السابق(ج53/4).

(7)المصدر السابق (ج245/8).

(8)المصدر السابق (ج283/1).

(9) المصدر السابق(ج350/7).

(10) المصدر السابق(ج23/1).

(11) المصدر السابق (ج379/2).

(12) المصدر السابق (ج79/1).

البرقوقية[1]، وأما مدرسة جمال الدين أستادار، عين فيها مدرسين على المذاهب الأربعة[2]، وكان سبب الإقبال على المدارس الفقهية خلال العصر المملوكي، أن الوظائف العليا بشكل خاص وباقي الوظائف كان قسم كبير منها لخريجي تلك المدارس، كذلك تشجيع السلاطين للمذاهب السنية[3].

يتضح لنا من خلال ذلك تركيز المدارس في العصر المملوكي على تعليم العلوم الدينية والعربية؛ مما ساهم في حفظ اللغة العربية، وتخريج جيل مثقف بالثقافة الدينية.

أما القائمون على العملية التعليمية في المدارس فهم:

1. الشيخ:

لقب يطلق على أهل العلم والصّلاح توقيرا لهم كما يوقّر الشيخ الكبير[4]، وتتميز رتبته من أعلى المراتب العلمية، ويعد من العلماء والأتقياء، وله وجاهه في الدولة، ويلقي الدروس عند الملك، ويدرس في المدارس ويفتى[5]، ويعين من قبل السلطان، حيث استدعى الملك الظاهر برقوق سيف الدين السيرامي الحنفي(ت810هـ/1408م)، وولاه مشيخة مدرسة الظاهر برقوق[6]، ويتباحث الشيخ مع العلماء في مسائل العلوم الدينية[7].

2. المدرسون:

تعد مهنة التدريس في المدارس عظيمة الشأن، فكان المدرس ملزم أن يُحسن إلقاء الدرس، وتفهيمه للحاضرين، فإن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المعلومات، بل يدرِّبهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق[8]، و يتميز المعلم بعدة مميزات منها التدريس من غير النظر إلى الكتاب، فقد أورد ابن حجر بأن المدرس ضياء بن سعد الله القزويني، كان يدرس دائماً بغير مطالعة، وعظم قدره في عهد دولة الأشراف[9].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج139/9).

(2) المصدر السابق (ج96/6).

(3)الحزوري، حسام الدين،الحركة الفكرية ومركزها نيابة دمشق(ص184).

(4)القلقشندي،صبح الأعشى(ج17/6).

(5)ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة(149/12)،المنهل الصافي(ج190/6)؛ العليمي،الأنس الجليل(ج231/2).

(6) المقريزي، السلوك(ج199/6)؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج189/6).

(7) ابن حجر،إنباء(ج241/3).

(8) السبكي،معيد النعم(ص83).

(9) ابن حجر،إنباء(ج283/1).

و كان المدرس يهتم بتثقيف نفسه بمختلف العلوم، فكان المدرس يشتري الكتب للقراءة [1]. فشراء المعلم الكتب من ماله الخاص، حتى يستطيع إيصال أكبر قدر من المعلومات للطالب، فذلك يدل على مدى إخلاصه واتقانه لمهنته.

تميز المعلم بقدرته على العطاء وعلمه الواسع، فأشار ابن حجر إلى أن المدرس دائم الاطلاع والدراسة، حيث وصف المدرس محمد الصرخدي في اجتهاده بالدراسة وإلمامه في العلوم بقوله "حتى صار أجمع أهل دمشق للعلوم"[2]،فكان المدرس يقرأ ويحفظ حتى يفيد الطلبة، فمثلاًكان المعلم إبراهيم السرائي يحفظ الحاوي ويدرس غالبه مع الطلاب[3].

ومن الواضح بأن المعلم في العصر المملوكي كانيتميز بثقافة عالية، فذلك انعكس ايجابياً على الطلاب، بحيث يتخرج الطالب مثقف وعالم ومتقن للمواد التي درسها.

يتولى المدرس في بعض الأحيان عدة وظائف في وقت واحد، فقد يكون يخطب ويدرس في المسجد، كعباس بن بدر التميمي، حيث يدرس بالمدرسة السابقية بالقاهرة، ويخطب بجامع أصلم[4]،أو يكون إمام ويفتي[5]، حيث أن محمود بن أبي بكر ابن كمال الدين، يدرس بمدرسة البادرائية وبالرواحية ويفتي في نفس الوقت[6]، أو يدرس أكثر من مادة، كالمعلم عباس بن حسين التميمي حيث درس مادة الفقه والقراءات[7]، وكان المدرس يعمل بالساعات في بعض الأحيان[8].

ولا يشترط أن يكون المدرس بعمر محدد، فمنهم من درس وعمره سبع سنوات مثل علي بن عبد الوهاب السبكي، حيث درس بمدرسة الأمينية[9]، ومنهم من درس وعمره خمسة عشر كشهاب الدين الحسباني[10]، كذلك عُين فضل الله ابن إبراهيم وهُوَ صبي فِي تدريس الجاروخية[11]، ومنهم

---

(1) ابن حجر ،إنباء(ج86/4)؛الحنبلي،شذرات الذهب(ج107/7).

(2) إنباء(ج48/3).

(3)ابن حجر ،إنباء(143/4).

(4) المصدر السابق (ج67/2).

(5) المصدر السابق (ج61/2).

(6)ابن حجر ،إنباء (ج187/3).

(7) المصدر السابق (ج27/2).

(8)المصدر السابق (ج310/3).

(9)المصدر السابق (ج122/1).

(10) المصدر السابق (ج139/4).

(11) ابن حجر ،الدرر الكامنة(ج7/1).

بسن العشرون سنة كالمعلم بهاء الدين السبكي بالاقبالية[1]، وقد ذكر ابن حجر أن كان أحد طلبة الحديث(محمد بن حسنبن خليفة التميمي الداري) بالمدرسة الجمالية، فقد عين في التدريس، فاستمر في تدريس الطلاب حتى توفي سنة(821هـ/1417م) [2].

لقد ناب المدرس محمد بن عبد الله الصرخدي في عدة مدارس عن الصبيان الذين تقرروا مدرسين بغير تأهل[3]، كما أشار ذلك القلقشندي "فقد جرت العادة أنه إذا تأهّل بعض أهل العلم للفتيا والتّدريس– أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرّس، ويكتب له بذلك"[4].

وأعتقد أن تعيين التلاميذ بمهنة التدريس، من باب التشجيع والمكافئة للطلاب المجتهدين، وتقديراً لهم ولتميزهم؛ فذلك يدلل على أن الدولة المملوكية عظيمة بكل أركانها.

ومما يدل على أهمية مهنة التدريس، فقد يعين المدرس من قبل النائب[5]، أومن قبل السلطان بحيث يعين المدرسون في المدارس الكبيرة والمشهورة، حيث يكتب توقيعاً يصدر من ديوان الإنشاء، ويكون مرتديا لباس التشريف السلطاني[6] في بعض الأحيان[7]، حيث عين السلطان الظاهر سيف الدين برقوق المدرس محمود السيرامي لتدريس الشيخونية والصرغنتميسة[8]، ويختلف التوقيع حسب المادة التي يدرسها المدرس، فوقع السلطان الناصر فرج الدين بن برقوق نسخة لتدريس المدرسة الصلاحية[9]، وكذلك عين السلطان الأشرف سيف الدين برسباي في مشيخة المدرسة المؤيدية شمس الدين ابن الديري[10].

---

(1)ابن حجر، الدرر (ج22/1).

(2) المجمع المؤسس(ج302/3).

(3) ابن حجر،إنباء(ج49/3).

(4) القلقشندى،صبح الأعشى(ج364/14).

(5) النعيمي،المدارس(ج217/1).

(6) هو تشريف الخليفة لمن يكلفه بعمل فيلبسه لباساً مناسباً، دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ المملوكية(ص45).

(7)القلقشندي، صبح الأعشى(ج235/11)؛ العليمي،الأنس الجليل(ج292/2)؛ العسلي، معاهد العلم(ص236).

(8) ابن حجر،إنباء(ج93/4).

(9) القلقشندي، صبح الأعشى(ج235/11).

(10) ابن حجر،إنباء(ج61/8).

وإن دل ذلك فإنما يدل على أهمية التعليم وحرص سلاطين المماليك على طلاب العلم، وأن يتلقوا التعليم على يد مدرسين أكفاء، فهذا أدى إلى تطور ونشاط الحركة العلمية في ذلك الوقت.

وكانت رواتب المدرس تأخذ من إيرادات الوقف[1]، فكان المعلم يتقاضى الراتب حسب شهرة المعلم وريع الوقف[2]، فراتب المدرس زين خطاب العجلوني في المدرسة العمرية في دمشقفكان يتقاضى مائة وخمسين درهما في الشهر[3]، أما راتب مدرس المدرسة الفارسية في دمشق ثمانين درهما في الشهر[4].

ولقد أشار ابن شداد على شرط الواقف بالمدرسة الحلاوية، توفير الراتب للمدرس من وقفها، و بلغ وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرّس يصنع بها للفقهاء طعاماً، كذلك كان يوزع عليهم الحلوى في المناسبات والكساء[5]، أما في مصر فكان راتب المدرس بمدرسة جمال الدين الاستادار[6] ثلاثمائة درهم في كل شهر[7]، أما في المدرسة الناصرية فكان راتب المدرس له في كل شهر أربعين دينارا[8]. فتوفير الراتب للمعلم يؤدي إلى استمرار العملية التعليمية، كذلك رصد الراتب للمعلم حسب تميزه؛ هذا يؤدي إلى تشجيع المعلمين في طلب العلم والاجتهاد فيه، حرصاعلى التميز والإبداع والتنافس.

كان المدرس يخضع للرقابة، فكان النائب والقضاة والفقهاء والأمراء، يستمعون لشرح وخطبة الشيخ[9]، حيث حضر قضاة مصر والشام لشهاب الدين الحسباني، فكان يدرس بالاقبالية ويخطب ويفسر القرآن الكريم، فبعد الانتهاء من الدرس، أثنوا عليه[10]، وقبل أن يصبح الشخص

---

(1)الوَقْفُ لغة هو مصدر وقف، يقال: وقف الشيء وأوقفه، وحبسه وحبسه، وسبله، يقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله تعالى، وهو حبس مال يمكن الإنتفاع به مع بقاء عينه الشافعي،مسند الشافعي (ج2/ 138)؛ البعلي،المطلع على ألفاظ المقنع (ص 344).

(2) إنباء الغمر (ج163/8)، (ج86/6)؛ المقريزي،السلوك(447/5)؛ العليمي، الأنس الجليل(ج294/2)؛الطراونة،الحياة الاجتماعية في بلاد الشام(ص175).

(3) ابن طولون، القلائد الجوهرية(ص261).

(4) النعيمي،الدارس(ج324/1).

(5) الأعلاق الخطيرة(ص38).

(6) الإستادار: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها في أمر بيوت السلطان من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره القلقشندي، صبح(ج21/4).

(7) المقريزي،المواعظ(ج261/4).

(8) المقريزي، المواعظ(ج259/4).

(9) النعيمي، الدارس(ج217/1).

(10) ابن حجر ،إنباء(ج139/4-140).

في وظيفة التدريس، يسمع ويحضر على الشيوخ ثم بعد ذلك يتوظف[1]، فإذا ثبت عدم تأهله للقيام بمهنة التدريس، يتم عزله وتعيين معلماً آخر بدلاً منه، حيث أشار ابن حجر بأن الباعوني درس في وظائف ابن سري الدين بحكم عدم أهليته[2].

فذلك يدل على نزاهة التعليم، فكان لا يصل إلى مهنة التدريس إلا المعلم الذي يمتلك العلم والمعرفة، في حين المعلم الذي ينقصه العلم يتم فصله، فذلك يشير على مدى التقدم العلمي وأهمية مهنة التدريسفي ذلك الوقت.

حرص سلاطين المماليك على تقديم الدعم النفسي والمادي للمدرسين، محاولة لرفع النظام التعليمي، فقد أكرم السلطان سيف الدين برسباي الشيخ علاء الدين الرومي، وأرسل إليه جملة من القمح والسكر والذهب، وحج على نفقة السلطان ووصى عليه من حج صحبته من الأمراء[3]، وعندما قدم محمد بن عبد الله الكلستاني من بغداد إلى مصر، اصطحبه نائب الشام[4] الأمير[5] ألطنبغا الجوباني من مصر ثم إلى الشام وتم توظيفه مباشرة بمهنة التدريس في الظاهرية ثم مشيخة الأسدية[6]، و قام الملك الظاهر باستدعاء العلاء بن أحمد السيرامي، حيث قدم من البلاد الشرقية، فعينه شيخا ومدرسا بمدرسة؛ وذلك نتيجة لعلمه الواسع في العلوم العقلية[7].

بالغ السلطان الظاهر سيف الدين برقوق في تعظيم مدرس الحنفية حتى أنه فرش سجادته بين يده وحضر جميع الأعيان وأخذ الشيخ في قوله تعالى :" قل اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء"[8]، وبالرغم من مرض السلطان، إلا أنه توجه إلى مدرسة والده فزارها، وأنعم على أهل المدرسة ببلد أنبوبة، وزاد خراجها في معاليمهم،ففرحوا بذلك واستمر ذلك بقية عمره[9].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج281/4).

(2)المصدر السابق (130/4).

(3) المصدر السابق (ج44/8).

(4) وهو لقب للقائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها، دهمان، أحمد، معجم الألفاظ المملوكية (ص149).

(5) لقب يطلق على ذو الأمر، ويستخدم للدلالة على الحاكم بشكل عام أو من ينوب عن السلطان في حكم مقاطعة أو اقليم تابع للدولة الإسلامية زناتي، أنور، معجم مصطلحات التاريخ(ص41).

(6)ابن حجر،إنباء (ج93/4).

(7) المصدر السابق (302-303).

(8)المصدر السابق (ج215/2).

(9) المصدر السابق (ج67/6).

اهتم العاملين بالسلطة المملوكية باختيار المدرسين الأكفاء، حيث أنه عندما بنى جمال الدين مدرسته، فوصف له همام بن أحمد الخوارزمي الشافعي،الذي قدم القاهرة، ليكون مدرساً بها، فقد أشخص به وأسكنه بيتا قريبا منه ورصد له الرواتب العالية، ثم لما فتحها أسكنه في مسكن جميلوعينه شيخا بها، وقرر له معاليم ورواتب وهدايا وعطايا، فأقبل عليه الطلبة، فكان يحضر درسه منهم أضعاف من هو منزل[1].

مما سبق يستنتج أن الصفات التي كانت تميز المدرس في العصر المملوكي، كانت لها أثرا واضحاً في حب الطلاب للعلم، وإقبالهم على التعليم بكثرة، وبالتالي ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية .

كذلك كان لكل مدرسة إمام، فكان إمام المدرسة التنكزية أحمد بن إبراهيم، وكان الناس يأتون إلى المدرسة لسماع صوته، فكان يتمتع بصوت جميل[2]،ويوجد فقهاء للمدارس، حيث يحدثون الأحاديث النبوية، كمحمد بن سراج[3]، وكان هناك كاتبا للمدرسة، فقد عين ايبك بن عبد الله التركي مُكتبا في مدرسة أم السلطان الأشرف زين الدين شعبان[4].

العلاقة بين المدرس والطلاب:

كانت العلاقة بين المدرس والطلاب علاقة مبنية على الاحترام والود والتواضع لطلابه، وإفادة للطلاب[5]، كذلك كان المدرس يحسن إلى الطلبة بجاهه وماله قائما في مصالحهم[6]، وللخروج من جو التدريس وللترفيه عن الطلبة، فقد يخرج المدرس مع طلبته إلى التنزه، و يحث الطلاب على ذلك[7]. فذلك يدلل على أسلوب التعليم الراقي، والابتعاد عن الروتين، ليجدد الطالب نشاطه، فيصبح أكثر قدرة على اكتساب المعلومات واستيعابها.

كذلك يشجع الطلاب ويتقبل أفكارهم، ويُقبل على الطلاب بطلاقة وجه، ويستميلهم إليه جهد استطاعته،ويربّيهم كما يربّي الولد ولده[8]، ووصف ابن حجر المدرس أبو بكر بن محمد

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج250/7).
(2)المصدر السابق (ج20/2).
(3) المصدر السابق (ج94/3).
(4) المصدر السابق (ج114/1).
(5)المصدر السابق (24/1).
(6) المصدر السابق (303/2)، (ج283/1).
(7)المصدر السابق (ج111/8).
(8) القلقشندي،صبح الأعشى(ج97/11).

الشيخ تقي الدين الحصني "كان خفيف الروح منبسطا له نوادر"[1]. كذلك يحسن إلقاء الدروس وتفهيمه للطلاب[2]. استمالة الطالب الى الدرس، و محاولة التقرب من الطالب، يدلل على تنوع طرق التدريس في العصر المملوكي، وعدم اعتماده على التلقين.

كان المدرس يتميز بالعطاء والإخلاص في عمله، يدرس الطلاب الفقراء بلا أجرة[3]، فقد فرق الشيخ علاء الدين ابن البخاري، حيث أهداه صاحب الهند ثلاثة آلاف شاش، ففرق منها ألفاً على الطلبة الملازمين له، وعمل لهم وليمة في بستان ابن عنان صرف عليها ستين ديناراً[4]،وكان يوزع على الطلاب في المدرسة الفاسية في دمشق كل شهر خمساً وأربعين درهماً[5].

اهتم سلاطين المماليك بطلبة المدارس، حيث كانوا يقدمون التوجيهات للمدرسين بشأن الاهتمام بالطلاب وتشجيعهم على العلم والاشتغال به، وأن تتاح لهم حرية اختيار التخصص الذي يرغب به الطالب من العلوم الشرعية[6].

ويمكن القول بأن إعطاء الطلاب الحرية وعدم إجبارهم في اختيار تخصصاتهم، واحترامهم وتشجيعهم معنويا وماديا على طلب العلم وترفيهم، كل ذلك كان له تأثير على طلاب العلم وبناء شخصية الطالب القوي الواثق من نفسه؛ مما أدى إلى زيادة الطلاب الذين يرغبون بمواصلة تعليمهم؛ وبالتالي زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي في مصر والشام.

نائب المدرس(العريف):

مهمته النيابة عن المدرس عند غيابه، إما بسبب أن يخلف والده بسبب صغره، فكان المدرس محمد بن ابراهيم نجم الدين المقدسي ينوب في تدريس الصلاحية[7]، أو بسبب غياب المدرس، فكان الشيخ سيف الدين السيرامي يدرس الفقه والمشيخة بالشيخونية عوضاً عن المدرس جمال الدين محمود وذلك لاشتغاله بوظيفة الجيش[8]. وهذا يدل على حرص السلطة المملوكية على مواصلة وتسهيل التعليمية والتعلمية في المدارس وعدم تعطيلها، واهتمامهم بمصلحة طالب العلم،

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج111/8).
(2) المصدر السابق (29/5).
(3) ابن العماد، شذرات الذهب(ج176/7).
(4) ابن حجر،إنباء(ج143/8).
(5) النعيمي،الدارس(ج324/1).
(6) النويري،نهاية الأرب(ج46/32).
(7) ابن حجر،إنباء(ج181/3).
(8) المصدر السابق (ج165/3).

وبأن لا يتوقف التعليم لو ليوم واحد، كذلك يدلل على أسبقية العرب والمسلمون في إيجاد هذه الوظيفة قبل أن توجد في الجامعات في عصرنا الحديث.

المعيدون:

كان لكل مدرسة معيد، و يتميز بالعلم الغزير[1]، و مهمة المعيد إذا ألقى المدرس الدرس فيعيد شرح الدروس للطلاب، ويكرر عليهم المعلومات، ويحل عليهم ما أشكل عليهم من معلومات غامضة، ويشجع الطلاب على العلم[2]، ويشترط أن يكون المعيد صبوراً يتحلى بأخلاق العالية، وأن يفيد الطلاب[3]، وقد يكون المعيد مدرس يدرس في مدرسة، ويعمل بمدرسة أخرى معيدا، كالشيخ ظهر الدين القرشي، حيث يدرس بالمدرسة القبطية بالقاهرة، ويعمل معيداً بمدرسة الشافعي[4]. ويتضح لنا أسبقية العرب والمسلمون في ايجاد هذه الوظيفة قبل أن توجد في جامعتنا في العصر الحالي فهذا يدل على جودة العملية التعليمية وأصالة الحضارة الإسلامية.

الطلاب

كان للطلاب حرية اختيار التخصص، كذلك كان لهم حرية اختيار الشيوخ والمدرسين الذين يتلقى عنهم العلوم، فقد كان الطلاب يحضرون دروس المدرس؛ حتى يتقن العلم الذي يتخصص به، ثم ينتقلون إلى مدرس أو شيخ آخر ليأخذ عنه العلم[5]، وهذا يستلزم من الطالب الانتقال من مدينة إلى أخرى، أو من دولة إلى أخرى[6].

انتشار الرحلات لطلبة العلم من قبل طلبة العلم في العصر المملوكي، فذلك يعطينا إشارات إلى ازدهار التعليم وأهميته في ذلك العصر، وحرص الطلاب على بلوغ أعلى مراتب العلم، وعدم الاكتفاء بالعلم الموجود في بلدانهم.

---

(1) ابن حجر ،إنباء(ج166/2).

(2) النويري،نهاية الأرب(ج46/32)؛ القلقشندي، صبح(ج436/5)؛ السبكي، معيد النعم(ص85)؛النعيمي،الدارس(ج412/1).

(3) ابن جماعة، تذكرة السامع(ص66)؛ السبكي، معيد النعم(ص85)؛النعيمي،الدارس(ج412/1).

(4) المقريزي،السلوك(181/2).

(5) ابن حجر ،إنباء(ج178/1).

(6)المصدر السابق (ج139/9).

كذلك يتدخل الواقف أحياناً في اختيار الطلبة في مدرسته، على ضوء مقاييس ومعايير وضعها بنفسه فيقرر من يشاء ويصرف من لم يصلح في نظره . وهذا يدل على أنه كان هناك شروط لدخول الطلبة للمدارس الوقفية، ومثال ذلك ما ذكره ابن حجر العسقلاني في اختيار السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي للطلاب بالمدرسة المؤيدية " وعرض للسلطان الطلبة فقرر من شاء وصرف من لم يصلح في نظره" [1].

الإجازة: طلب طالب العلم من أستاذه، وشيخه أن يجيزه بمسموعياته ومروياته، التي حصل عليها، وأن يأذن له بالنقل عنه، ويكتب العالم الإجازة بخطه[2].

فإذا أنهى الطالب تعليمه وتأهيله للتدريس والفتوى، فيكتب له شيخه إجازة فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة ولقبه[3]، فأشار ابن حجر بأنلا تمنح الإجازة إلا لماهر في صنعته، أو متقن، كذلك تكتب الإجازة، أو يصدق على صحتها، أو يتلفظ بها "أمام شهود" ومثال ذلك: أجاز مشايخ مصر والشام لأبو بكر بن عبد العزيز بن جماعة، فقد اشتغل مدة، وناب عن أبيه في الحكم والتدريس[4].

كذلك أشار ابن حجر إلى إجازة الطالب أحمد بن نصر الله بن محمد " ورأيت إجازة الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف ابن علي الكرماني له واستدعاء سئل فيه أن يجيز له ولغيره ، وقد وصفه بالفضيلة مع صغر السن،وأجاز له أن يروي عنه شرح البخاري والكتب الخمسة ومشيخة إجازة معينة، وذلك في جمادى الآخرة سنة(782هـ/1381م)، وقرر في درس الحنابلة بالمدرسة الظاهرية البرقوقية أول ما فتحت"[5].

وهناك إجازة تسمى عراضة الكتب، بحيث يحفظ الطالب كتاباً في الفقه أو النحو وغيرها من الكتب، ثم يعرضها تسميعاً على شيخه، فيختبره، فإذا كان حفظه متقناً، كتب له شهادة بذلك[6].

فالإجازات وثائق صحيحة تدل على ثقافات العلماء الماضين مما قرؤوه أو سمعوه من شيوخهم، ومصدر للتراجم، فلا تعطى الإجازة من لا يستحقها أو من لا يتقن علمه، فهي كالشهادة

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج361/7).

(2) ابن فارس، مأخذ العلم (ص39).

(3) القلقشندي،صبح الأعشى(ج364/14).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج269/4).

(5)المصدر السابق (ج139/9).

(6) القلقشندي، صبح الأعشى(ج369/14).

في عصرناالحالي، فهذا دليل على حرص طلبة العلم في العصر المملوكي على مواصلة تعليمهم، واهتمامهم بالاستزادة في علمهم، لكي ينتقلوا إلى علم آخر.

كذلك كانت تعقد مجالس للعلم ولسماع الحديث وتسميعه، على الشيوخ والعلماء، فكانت تعقد جلسات لختم كتاب الترمذي[1]، وصحيح البخاري حيث يتم إجازة الطلاب[2]، ووصف حفظ الطلاب للحديث بالجيد، حيث كان المدرسيصحح لهم أخطائهم[3]، كذلك كان مجموعة من الأعيان والسلطان يحضرون مجلس علي بن موسى في مشيخة المدرسة الأشرفية[4] .

وكان النائب في الدولة المملوكية يهتم بمجالس العلم، فقد كان نائب دمشق الطنبغا بن عبد الله الجوباني التركي أحد كبار الأمراء ، يحب العلماء خصوصا الأدباء ويجمعهم عنده ويسمع كلامهم ويختبر مدائحهم[5] .

كذلك كانت تعقد مجالس للعلم في البيوت،فكان الطلاب يجتمعون في بيت الشيخ أو بيت أحد الطلبة، ويشرحون الأحاديث النبوية، ويسمعونه،فكان الطلاب يجتمعون ببيت محمد بن موسى بن قطاي، فيستمعون من الشيخ الحديث، وعند انتهاء الشيخ من ختم الكتاب فان صاحب البيت يحسن إلى الشيخ والقارئ[6]، وكان يتم تنظيم الشعر، حيث يوثق فيه السيرة النبوية، فكان يتم قراءتها على الشيخ[7].

عدم اقتصار التعليم على المؤسسات التعليمية الرسمية التابعة للدولة المملوكية، بل فتح البيوت لمواصلة تعليميهم، فذلك يدل على ازدهار الحركة العلمية.

مكتبات المدارس:

كانت المدارس تحتوي على مكتبة يرجع إليها الطلاب والمدرسون في البحث عن المعلومات من خلال الكتب، والمسئول عن المكتبة يسمى خازن الكتب، ففي دمشق كان محمد بن

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج362/3).
(2)المصدر السابق (ج306/3).
(3)المصدر السابق (ج362/3).
(4)المصدر السابق (ج44/8).
(5)المصدر السابق (ج38/3).
(6)المصدر السابق (ج235/3).
(7)المصدر السابق (ج94/3).

علي بن بهاء الدين خازن الكتب النورية[1]، ومهمته ترتيب وحفظ الكتب، وترميمها وحبكها إذا احتاجت لذلك، وإرشاد القراء إلى ما يلزمهم من كتب[2]، ولقد وصف ابن حجر خازن الكتب محمد أبو شامة الشامي بالمدرسة المؤيدية بأنه" كان خفيف ذات اليد" [3].فحرصهم على أن يكون خازن للمكتبة، فذلك يدل على اهتمامهم بأن تكون الكتب سليمة ونظيفة وفي مكانها المخصص.

كذلك تميز خازن الكتب بالعلم الواسع، وقد يكون فقيها وأمينا يحافظ على الكتب، ولا ينتقص منها شيئاً[4]، فذلك دليل على أن مهنة خزن الكتب، مهمة لا يتولها الا العالم والمثقف، وليس بالشخص العادي.

فإذا طلب أحد زوار المكتبة من خازن المكتبة كتاباً، يسمح له بقراءته داخل المدرسة، ولا يمكنه من الخروج به من المدرسة حتى ولو كان من أكابر الدولة، أو دفع له أموالاً كثيرة، ويجب الالتزام بشرط الواقف، بأن لا يخرج أي كتاب من المكتبة، وفي حالة عدم الالتزام بذلك يتم معاقبة خازن الكتب ويتم عزله، حيث عزر فخر الدين عثمان خازن كتب المدرسة المحمودية فضرب بين يدي السلطان، وذلك بسبب أنه فرط في الكتب الموقوفة، وكانت تحتوي على أربعة آلاف مجلدة حيث اشترط واقفها محمود بأن لا يخرج منها شيء من المدرسة[5].

فكان التشديد الكبير على الكتب؛ وذلك لأن العصر المملوكي لم تعرف فيه الطباعة الحديثة، فيكون الكتاب نادر الوجود، ولضمان استمرارية وجود الكتب، ولكي ينتفع بها طلاب العلم على مر الزمن[6]، وتشمل المكتبة على آلاف المجلدات من الكتب من كافة العلوم، ووصف ابن حجر المكتبة في المدرسة المحمودية بأنها تحتوي على أنفس الكتب الموجودة بالقاهرة[7].

فوجود مكتبة يرجع إليها الطلاب، للاستزادة من علمهم والبحث عن المعلومات التي يريدونها، فذلك دليل على رقي المجتمع في العصر المملوكي، وأنه مجتمع متعلم، وحرصهم على أن يكون خازن للمكتبة، فذلك يدل على أهمية الكتاب والعلم في المجتمع، وكذلك اهتمامهم بأن تكون الكتب سليمة

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج86/4).

(2) ابن حجر ،إنباء(ج5/8)؛السبكي، معيد النعم(ص87).

(3) ابن حجر ،إنباء(ج180/9).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج5/8)؛السبكي، معيد النعم(ص87).

(5) ابن حجر ،إنباء(ج4/8–5)؛السبكي، معيد النعم(ص87).

(6)أمين،محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (ص259).

(7) ابن حجر ،إنباء(ج4/8–5).

ونظيفة وفي مكانها المخصص، ويعطينا اشارة بأن علم المكتبات في عصرنا الحالي، ليست وليدة اللحظة، بل ترجع إلى العصور السابقة .

من أشهر المدارس في مصر:

- **المدرسة القمحية[1]:**

أنشأها صلاح الدين الأيوبي عام (566هـ/1171م) بالقرب من الجامع العتيق بمصر، كان مكانها يعرف بدار الغزل، وهو قيسارية يباع فيها الغزل، فهدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأنشأ مدرسة للفقهاء المالكية، وتعتبر المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية، وقد أحاط بها الخراب، ولولا جهود الفقهاء لاندثرت[2]،ومن مدرسيها ابن خلدون حيث تولى هذه المهمة عام(784هـ/1383م)[3]، واستمرت في تقديم خدماتها التعليمية حتى سنة(825هـ/1422م)، حيث طلب السلطان من مدرسي المدرسة القمحية وهم جمال الدين البساطي ومن معه من المدرسين، بالقيام وتوفير المال اللازم من أوقافها وذلك لإعمارها[4]، وقد أشار المقريزي أنه سنة(825هـ/1422م) أخرج السلطان الملك الأشرف برسباي بعض أوقافها، وأنعم بهما على مملوكين من مماليكه ليكونا إقطاعاً لهما[5].ولكن ابن حجر نفى ذلك بقوله " وأرجف بأن أرضها الوقف أقطعت لبعض المماليك لكن لم يتم ذلك"[6].

- **المدرسة الفاضلية:**

توجد في القاهرة، بناها القاضي عبد الرحيم بن عليّ البيسانيّ، بجوار داره، في سنة (580هـ/1185م)، ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للإقراء، وخصص فيها لتدريس الفقه، ووقف فيها مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم، يقال أنها كانت مائة ألف مجلد وبها مصحف قرآن كبير، ولكنها بيعت بسبب الوضع الاقتصادي السيئ[7]،

---

(1) سميت بذلك لأن صلاح الدين الأيوبي، كان يجمع منها قمح كثير ويوزع على فقهاء المدرسة،تاريخ ابن خلدون(ج668/7)؛المقريزي،المواعظ(ج201/4).

(2) المقريزي،المواعظ(ج201/4)؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون(ج668/7)؛القلقشندي، صبح الأعشى(ج234/11).

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون(ج653/7)؛ المقريزي، السلوك(ج163/5)؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج208/7).

(4) ابن حجر،إنباء(ج461/7)؛المقريزي، السلوك(ج266/3).

(5) المواعظ(ج201/4)؛السلوك(ج266/3).

(6) إنباء(ج275/3).

(7) المقريزي،المواعظ(ج204/4-205).

وأشار ابن حجر أن عمر بن علي الأنصاري، عنده كثير من هذه الكتب من أوقاف مدرسة الفاضلية[1]، ولقد تولي تدريس الفاضلية بعد ابن كثير محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان (ت774هـ/1373م)[2]، وإلى جانب المدرسة كتّاب برسم الأيتام، وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها[3].

- **مدرسة برقوق:**

أنشأها السلطان الظاهر برقوق، بين القصرين، وقد تم بنائها سنة(788هـ/1381م) وكان القائم على عمارتها جركس الخليلي[4]، قال ابن حجر:" ومن رأى الأعمدة التي بها عرف الإشارة"، وكان والد برقوق أنس بن عبد الله الجركسي يكرم العاملين في المدرسة[5]، وأتم بنائها بسرعة فائقة، وعند الانتهاء من بنائها، احتفل بذلك السلطان و قُضَاة الْقُضَاة وَالْفُقَهَاء والأعيان، ولقد أنشد الشعراء الأشعار، فمد سماط عظيم، وقرر السلطان فيها المدرسون ومنهم مدرس للحنفية ويدعى علاء الدين السيرامي، وقرر في الخطابة جمال الدين المحتسب[6]، وعين أوحد الدين الرومي مدرس الشافعية، وشمس الدين ابن مكين مدرس المالكية، وصلاح بن الأعمى مدرس الحنابلة، وأحمد زاده العجمي مدرس الحديث، وفخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر مدرس القراءات، و الشيخ سراج الدين البلقيني مدرس التفسير، وشيخ الميعاد' وخُلع على مباشري الْعِمَارَة وشاديها وعَلى المهندسين والبنائين، كما خلع على الْأَمِير أحمد بن الْأَمِير يلبغا الْعمريّ الخاصكي وَاسْتقر أَمِير مجْلِس عوضاًعَن الْأَمِير ألطُنْبُغا الجوباني[7].

- **المدرسة الجمالية:**

بنيت هذه المدرسة في القاهرة (730هـ/1330م)، على يد الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجماليّ، وجعلها مدرسة للحنفية، وخانقاه للصوفية، وولى تدريسها ومشيخة التصوّف بها الشيخ علاء الدين عليّ بن عثمان التركمانيّ الحنفيّ، وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر

---

(1) إنباء(ج45/5).

(2)المصدر السابق (ج68/1).

(3) المقريزي،المواعظ(ج204/4-205).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر(ج213/2)؛المقريزي،السلوك(ج383/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج514/8).

(5) ابن حجر،إنباء(ج67/2)؛ المقريزي،السلوك(ج383/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج514/8).

(6) ابن حجر،إنباء(ج214/2))؛ المقريزي،السلوك(ج383/2)؛ابن العماد،شذرات الذهب(ج514/8).

(7)ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة(ج271/2)؛ المقريزي،السلوك(ج383/2)؛ابن العماد،شذرات الذهب(ج514/8).

فقهاء الحنفية، وتعدّ من أجلّ مدارس القاهرة، ولها عدّة أوقاف بالقاهرة والشام[1]، وكان على مشيختها عام(843هـ/1440م) الشيخ ولي الدين السفطي[2].

- **مدرسة اينال:**

تقع خارج باب زويلة، أوصى بعمارتها الأمير الكبير سيف الدين اينال اليوسفيّ، وتم إنشائها عام(795هـ/1393م)، ولما انتهت عمارة هذه المدرسة، فنقل إليها ودفن فيها[3]، ويقول المقريزي: "ولم يعمل فيها سوى قرّاء يتناوبون قراءة القرآن على قبره"[4].

- **مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار:**

توجد في القاهرة، بناها الأمير جمال الدين الأستادار عام(810هـ/1408م)، واستغرق بنائها عام واحد، و بنى أرضية المدرسة بالرخام، ووصف ابن حجر الرخام الذي بني به" وكان عجباً في الحسن انتقاه جمال الدين من بيوت كبار، وجعله فيها"[5]، كما فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس المكفت، وبها مصاحف وكتب في الحديث والفقه وغيرها من شتى العلوم[6]،وعند الانتهاء من بنائها، جمع بها القضاة والأعيان، وعين الشيخ عصام الدين محمد الخوارزمي، الشافعي شيخاًعليها، وأسند تدريس الحنفية إلى بدر الدين محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده، والمالكية إلى شمس الدين محمد بن الباسطي، وتدريس الحنبلية إلى فتح الدين بن محمد نجم الدين الباهلي، وتدريس الحديث النبوي إلى شهاب الدين بن حجر، وتدريس التفسير لشيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، فكان كل منهم يجلس إلى طلبته بعد الآخر في كل يوم ويكون آخرهم هو شيخ التفسير[7].

---

(1) المقريزي،الخطط(246/4)؛السلوك(ج133/3).

(2) ابن حجر،إنباء(ج90/9).

(3)ابن حجر،انباء(ج166/3)؛المقريزي،المواعظ(ج260/4).

(4) المقريزي،المواعظ(ج260/4).

(5) ابن حجر،إنباء(ج5/7).

(6) ابن حجر،إنباء(ج25/7)؛المقريزي،المواعظ(ج261/4).

(7) المقريزي،المواعظ(ج261/4).

كما قرر لكل واحدٍ منهم ثلاثة أرطالٍ من الخبز يومياً وثلاثمائة درهم شهرياً وعين بها إماماً ومؤذنين وفراشين ومباشرين، فجاءت كما يقول المقريزي:" في أحسن هندام وأتم قالب وأفخر وأبدع نظام، رغم ما ارتكب في بنائها وأوقافها من عسف وظلم"[1].

وعندما قتل جمال الدين الاستادار، قام الملك الناصر بجعل المدرسة ملكه ثم أوقفها، وأزال كل ما يثبت ملكيتها لجمال الدين، فقد حذف اسم جمال الدين من المدرسة وأثبت اسمه وصارت الجمالية هي الناصرية ، وقرر من بها من المدرسين والطلبة على حالهم في الأغلب[2] .

المدرسة المحمودية

توجد هذه المدرسة خارج باب زويلة، أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن عليّ الأستادار في سنة (797هـ/1395م)[3]، وعقد بها الدروس، وبها مكتبة تحوي على كتب متنوعة، و مهمة ككتاب جامع المسانيد والسنن[4]، وجمع هذه الكتب القاضي برهان الدين ابن جماعة[5]، و اشتراها الأستادار محمود بن علي، وشرط واقفها بمنع خروج أي كتاب منها إلّا أن يكون في المدرسة[6]، ووصف المقريزي المكتبة بأن" لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم "[7]، ويوجد لهذه المكتبة خازن كتب، فإذا فرط في أي من الكتب يعاقب[8].

---

(1)المقريزي،المواعظ (ج261/4).

(2) ابن حجر ،إنباء الغمر (ج6/7)؛المقريزي،المواعظ(ج262/4).

(3) المقريزي،الخطط(ج250/4-251).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج47/1)؛ المقريزي،الخطط(251/4).

(5) هو برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل ثم المقدسي، قاضي القضاة بمصر والشام، خطيب الخطباء، شيخ الشيوخ، كبير طائفة الفقهاء الشافعية(ت790هـ/1388م)، تولى خطابة القدس و درس بالمدرسة الصلاحية من كتبه جمع تفسيرا " في نحو عشر مجلدات، وله الفوائد القدسية، والفرايد العطرية، كحالة، معجم المؤلفين (1/ 47).

(6) ابن حجر ،إنباء(ج4/8)؛ الفسوي،المعرفة والتاريخ(ج60/1).

(7) المقريزي،الخطط(246/4)؛السخاوي،الضوء اللامع(ج154/2).

(8) ابن حجر ،إنباء(ج4/8).

المدرسة الأشرفية

ابتدئ بعمارة المدرسة الأشرفية بالحريرين بجوار الوارقين(826هـ/1423م)، تولى القيام بتعميرها ناظر الجيش عبد الباسط[1]، وكان ناصر الدين الحموي الواعظ خطيبها[2]،ويدرس بها مادة الفقه حسب المذهب الحنبلي الشيخ عبد الرحمن بن محمد الزركشي الشيخ أبو ذر الحنبلي[3]، كذلك يدرس مادة الفقه حسب المذهب المالكي[4]،وهناك شرط لمن يدرس بها، وهو بأن من كان له ولد وهو أهل التدريس بها فلا يقدم عليه غيره[5].

- **مدرسة ألجاي:**

أنشأها الأمير الكبير سيف الدين الجاي في سنة (768هـ/1367م)، حيث فتحت المدرسة بعد موته، وأكمل الأوصياء بنائها عام(775هـ/1374م)، ويدرس بها الشيخ سراج الدين البلقيني الفقه على المذهب الشافعي، ويدرس الشيخ جمال الدين محمود القيسري الفقه على المذهب الحنفي، وبها مكتبة، و منبر يخطب عليه يوم الجمعة، وهي من المدارس المعتبرة الجليلة، ودرّس بها الشيخ جلال الدين البنانيّ الحنفيّ، وكانت سكنه[6].

مدرسة أمّ السلطان:

أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أمّ السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة (771هـ/1370م)، ويدرس بها المذهب الشافعي والحنفي[7]، وكان ايبك بن عبد الله التركي (ت776هـ/1375م) مكتبا في المدرسة[8]، وعلى بابها حوض ماء للسبيل، وهي من المدارس الجليلة، وفيها دفن ابنها الملك الأشرف بعد قتله[9].

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج13/8).

(2) المصدر السابق (ج42/8).

(3) المصدر السابق (ج194/9).

(4) المصدر السابق (ج187/9).

(5) المصدر السابق (ج187/9).

(6) ابن حجر ،إنباء(ج89/1)؛المقريزي،المواعظ(ج257/4).

(7) المقريزي،المواعظ(ج258/4).

(8) ابن حجر ،إنباء(ج114/1).

(9) المقريزي،المواعظ(ج258/4).

- **المدرسة البوبكرية:**

بناها الأمير سيف الدين اسنبغا بن الأمير سيف الدين بكتمر البوبكري الناصريّ عام(772هـ/1371م)[(1)]،ووقفها على الفقهاء الحنفية، وبنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتباً للأيتام، وبنى أمامها جامعاً، فمات قبل إتمامه وكان يسكن دار بدر الدين الأمير طرنطاي المجاورة للمدرسة الحسامية، تجاه سوق الجواري، فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه، ثم لما كانت سنة (815هـ/1413م)، جدّد بهذه المدرسة منبراً وصار يقام بها الجمعة[(2)].

- **المدرسة البقرية:**

بنيت بالقرب من الجامع الحاكم، على يد الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل،المعروف بابن البقريّ، وكان ناظر الذخيرة في أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاون[(3)]، وقرر بها درس لتدريس الفقه الشافعي، ويدرسها الشيخ سراج الدين عمر بن عليّ الأنصاريّ، المعروف بابن الملقن الشافعيّ، ورتب فيها ميعاداً وقرر بها الشيخ كمال الدين الدميريّ، وعين إمام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد، وكان الناس يرحلون إليه في شهر رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح لحسن صوته،وأدائه، ومعرفته بالقراءات السبع والعشر والشواذ[(4)].

المدرسة المنصورية

أنشأها الملك المنصور قلاوون، والمشرف على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وعند افتتاح المدرسة مدحها الشعراء، ودرس فيها الفقه على المذاهب الأربعة، وكذلك التفسيروالحديث، والطب[(5)]، ودرس بها محمد بن أحمد بن إبراهيم الديباجي[(6)] ، ومن مدرسيها محمد بن علي القيصري (ت799هـ)، حيث درس التفسير والحديث[(7)] .

ودرس الطلاب المحدثين في المنصورية، ومنها المدرس محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الأمانة عام(837هـ/1434م) [(8)]، كان هناك نائب للمدرس يدرس الطلبة بالمدرسة، كمحمد بن عمر بن

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج164/1).

(2) المقريزي،المواعظ(ج244/4).

(3) ابن حجر،إنباء(ج85/1-86)؛المقريزي،المواعظ(ج244/4)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج128/11).

(4) المقريزي،المواعظ(ج244/4).

(5) السيوطي،حسن المحاضرة(ج264/2)،المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج226/4).

(6) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر (57/1).

(7) المصدر السابق (ج362/3).

(8)المصدر السابق (ج408/8).

محمد بن بنت المغربي، وقد ناب عن صهره السراج الهندي[1]، وكان حرمي بن سليمان البباءي ثم القاهري، معيداً فيها يعمل على حل ما أشكل على الطلاب من مسائل صعبة[2] و يتنازل الأب عن مهنة التدريس لابنه، فعندما كان الشيخ عمر بن إبراهيم المعروف بابن العديم مدرسا، تنازل عن وظيفته لابنه[3]، ويجتمع القضاة للتباحث فيها، ويتم من خلالها معرفة بداية الشهور، بحيث يصعدوا فوق المدرسة لرؤية الهلال لمعرفة قدوم شهر رمضان[4].

- **المدرسة الصلاحية:**

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي(583هـ/1188مـ)[5]،عند باب الأسباط بالقدس،وخصص التدريس فيها على المذهب الشافعي،وجعلها وقفا لأهل العلم، ولقد استمرت في تقديم رسالتها التعليمية حتى العصر المملوكي[6]، ومن أشهر شيوخها الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى(ت831هـ/1428م) ، أحد فقهاء الشافعية ومدرس المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف وقد أفتى وأشتغل في المدرسة[7].

وذكر ابن حجر من شيوخها إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة، الحموي الأصل المقدسي ، ولد سنة(710هـ/1311م)، وناب في تدريس الصلاحية، وخطب بالمسجد الأقصى ، وأفتى ودرس[8].

المدرسة التنكزية

تقع عند باب السلسلة في المسجد الأقصى، أنشأها الأمير تنكز الناصري نائب الشام عام (729هـ/1329م)، ويصفها العليمي بأنها " مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها"[9] ، ومن شيوخها الشيخ العلامة زين الدين عبد الرحيم بن النقيب الحنفي (ت853هـ/1450م) كان من

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر بأبناء العمر (ج32/3).

(2) المصدر السابق (ج238/5).

(3) المصدر السابق (ج123/6).

(4) المصدر السابق (ج63/9).

(5) النعيمي،الدارس(ج251/1)، وهي السنة التي انتصر بها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج31/10).

(6) الأصبهاني،الفتح القسي (ص82)؛ابن كثير،البداية والنهاية(ج594/16)؛العليمي، الأنس الجليل(142/2).

(7)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج152/15).

(8) إنباء الغمر بأبناء العمر(110/1).

(9) العليمي،الأنس الجليل(ج35/2)؛العسلي،معاهد العلم(ص119).

الفضلاء المشهورين كان يفتي ويدرس ببيت المقدس أثنى على علمه وفهمه[1]،وكان إمامها الشيخ أحمد بن إبراهيم المنبجي(ت782هـ/1381م)، فكان يؤم بالمدرسة ويصلي بالناس[2]،احتلتها السلطات الإسرائيلية في عام 1969م، وأصبحت مقراً للحرس الإسرائيلي[3].

- **المدرسة الجاروخية:**

تقع قرب الجامع الأموي في دمشق، بانيها جاروخ التركماني يلقب بسيف الدين عام (639هـ/1242م)، بأمر من المدرس أبي القاسم محمود بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي ويلحق بها مكتب للأيتام[4]،ودرس بها عماد الدين الحسباني أحد فقهاء الشام[5]، واشتغل بهاء الدين السبكي بالعلوم وكان ماهراً فيها فأفتى ودرس وله عشرون سنة، ومدحه ابن حبيب فقال فيه بأنه إمام علم زاخر[6].

وتوجد في الخليل المدرسة القيمرية عند باب المسجد الإبراهيمي الشمالي[7]، وبها يدرس الفقه[8]، كذلك مدرسة التصديرية، فتولى مشيختها عَليّ بن التقي الْأَنْصَارِيّ(ت1478/882م)[9].

وجود المدارس وتعددها في المجتمع المملوكي، فذلك يدل على كثرة الطلاب المسجلين بها، وعلى أن المجتمع المملوكي مثقفٌ ومحبٌ للعلم، وحرصهم على تعليم أبنائهم في المدارس.

ثانياً: الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من أقدم المراكز التعليمية عند المسلمين، ويهدف إنشائها لتعليم أبناء المسلمين الأيتام وغيرهم[10]، لذلك ساهم الأمراء والسلاطين وأهل الخير في بنائها، كمكتب الْأَيْتَام الذي بناه سودون القصروي،وحبس الأوقاف طلباً للثواب والأجر من الله تعالى[11]، كما يتم توزيع

(1) السخاوي، الضوء اللامع(ج191/4)؛العليمي،الأنس الجليل(ج231/2).

(2) ابن حجر،إنباء(ج20/2).

(3)العطار، مدينة المقدس و المسجد الأقصى(ص28).

(4) ابن العماد، شذرات الذهب(ج509/6)؛النعيمي،الدارس(ج169/1).

(5) إنباء الغمر بأبناء العمر(13/1).

(6)المصدر السابق (22/1).

(7) السخاوي، الضوء اللامع(ج206/5).

(8)المصدر السابق (ج43/11).

(9)السخاوي، الضوء اللامع (ج206/5).

(10) ابن حجر،إنباء(ج331/2)؛المقريزي،السلوك(ج252/4).

(11) المقريزي،المواعظ(ج43/4)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج291/6)؛السخاوي،الضوء اللامع(ج39/4).

عليهم الغذاء كالخبز واللحوم في الأعياد والملابس الصيفية والشتوية، ومبلغ من النقود[1]،وفي عام(847هـ/1444م) فقد أوقف المحسنيين أوقافاً على المكتب الملحق بدار القرآن الدلامية، وكان فيها ستة من الأيتامورواتب شهرية لكل منهم عشرة دراهم شهرياً، وأعطي لكل منهم جبة وقميص ومنديل[2]. فتقديم الدعم العيني والمادي للكتاتيب كان له الأثر الأكبر في بقائها واستمرارها لمواصلة العملية التعليمية لأطفال المسلمين.

أنشأت الكتاتيب بجوار المسجد، حيث كان الشيخ عبد الملك الرجل الصالح يسكن بدار مجاورة لجامع عمرو بن العاص ويؤدب الأطفال[3]، أو ملحقة بالمدارس، حيث أنه بجانب المدرسة المنصورية بني مكتب لتعليم الأيتام[4]، أو بجوار السوق كمكتب الْأَيْتَام لناصر الدّين الطواشي بسوق النساب[5]،أو فوق السبيل،حيث بنى الأمير سعد الدين بشير الجامدار الناصريّ مكتب سبيل للأطفال، وذلك لتعليمهم قراءة القرآن، فوق حانوت سبيل الماء العذب[6]، وقد تبنى بجانب الأربطة، كالرباط الذي يوجد بالقرافة، بحيث ألحق به مكتب سبيل[7].

يتعلم الأطفال في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة إلى جانب حفظ القران الكريم والخط والشعر والإملاء ومبادئ الحساب، فكانت الكتاتيب نقطة انتقال الطلاب إلى المدارس[8]، وكان يوجد معلم خاص للخط يعلمهم كتابة الأشعار والكتابة بشكل صحيح[9]. مجاورة الكتاتيب للمساجد أو الزوايا والأربطة والمدارس له أثر كبير في توصيل رسالتها الدينية و التعليمية، كما أن المواد العلمية التي تدرس في الكتاتيب ساهمت في إنشاء جيل متقن للغته العربية، مثقف بالثقافة الإسلامية.

---

(1) المقريزي، المواعظ(ج231/4).

(2) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس(ج8/1-9).

(3) ابن حجر،إنباء(ج22/9).

(4) المقريزي،المواعظ (ج43/4).

(5) السخاوي،الضوء اللامع(ج38/1)، وهو سوق يوجد بحلب في سوريا.

(6) المقريزي،المواعظ(ج56/4)، ويوجد بالقرب من جامع الأزهر بالفسطاط بمصر.

(7) المصدر السابق (ج207/4).

(8) ابن حجر،إنباء(ج143/2)؛رفع الإصر(ص63)؛ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج139/8)؛السخاوي، الضوء اللامع (ج10/1)؛السبكي،معيد النعم(ص130).

(9) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1).

ومن يقوم على تعليم الأطفال يسمى المؤدب، حيث يعلم الأطفال القرآن، فكان شمس الدين ابن العلاف يعلم ابن حجر العسقلاني في صغره[1].

ويقوم المؤدب بتعليم التلاميذ بعض المواد مثل الفقه والعربية والمعاني والبيان[2]، كذلك يأمر المؤدب الطلاب الصغار بالإنصات عند قراءة الكتاب حتى ختمه[3]، و خلع السلطان الأشرف زين الدين شعبان بن حسن، على جمال الدّين عبد الرَّحِيم بن الْوراق الْحَنَفِيّ مؤدب وَلَدي السُّلْطَان[4].وكان من يعاون المؤدب في تعليم الأطفال، يسمى عريفاً، فكان سليمان بن خالد الطائي عريفاً بمكتب السبيل[5].ويتصف بعضهم بإخلاصه وحبه لطلبته وتربيتهم تربية سليمة والعطف عليهم، وقد أشار ابن حجر عن المؤدب إبراهيم الموصلي ووصفه باحترافه بتأديب الأطفال بالقاهرة[6].

كان يتميز المؤدب بالعلم الواسع، حيث أن أحمد بن مخلوف(ت785هـ/1384م) يؤدب الأطفال، وكان على قدرٍ كبيرٍ من الثقافة والعلم والإخلاص في العمل والتدين[7]، فالمدرس علي بن حسين المشرقي (ت837هـ/1434م) بالإضافة إلى أنه مُربي، و يُعلم الصبيان القراءة، فقد كان يصنف الكتب، فشرح كتاب المغني والكثير من الكتب[8]، ومن ينهي من الطلاب حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب، يسمح له بالصلاة بالناس صلاة التراويح في أيام شهر رمضان تلاوة وتجويد[9]، فإخلاص المدرس في تدريسه للطلاب، وبالمقابل احترام الطالب لمعلمه، فذلك يكشف لنا عن رقي التعليم في العصر المملوكي.

عندما يتخرج الطفل بنجاح من مرحلة الكتاب، فيصبح يجالس الشيوخ ويتناقش معهم، ويصبح عريفاً بالمكتب، ثم يترقى ويدرس الطلاب، حيث أشار ابن حجر إلى أن زين الدين

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج143/2).

(2)المصدر السابق (ج208/8).

(3) ابن حجر،رفع الإصر(ص63).

(4) المقريزي،السلوك(ج354/4).

(5) ابن حجر،إنباء(ج168/2).

(6) إنباء(ج78/7)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج14/1).

(7) ابن حجر،إنباء(ج143/2).

(8)ابن حجر،إنباء (ج319/8).

(9) ابن حجر،إنباء(ج208/8)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج138/1).

التفهني عند صغره دخل القاهرة ونزل في كُتاب السبيل بالصرغتمشية، ثم صار عريفاً بالمكتب، ثم علَمالطلبة ثم درس طلبة الشيخونية[1].

إعطاء الفرصة للطفل حرية النقاش مع أساتذته، فهذا يدلل على أن أسلوب التعليم لا يعتمد على التلقين والحفظ، بل على الحوار والمناقشة في سبيل الوصول للحقيقة، كذلك الطفل الذكي والمتقن يتم مكافأته بترقيته، فيصبح مدرس للطلاب، فهذا الأسلوب له أثره الكبير على شخصية الطالب بأن يصبح بمقام الأستاذ، و تشجيعه في مواصلة تعليمه لمواكبة العلماء.

بناءً على ماسبق يمكن القول أن الكتاتيب كان لها دور مهم في العصر المملوكي، في تعليم الطلاب، فهي لاتكتفي بتعليم قراءة القرآن فقط بل تدرس علوماً أخرى، وتصل إلى مايسمى برياض الأطفال للصغار والمدارس الصغيرة البسيطة.

---

(1) ابن حجر، إنباء،(ج252/8).

المبحث الثاني:

دور المساجد والبيمارستانات في مصر وبلاد الشام في الحركة العلمية

تعد المساجد والبيمارستانات من المراكز العلمية المنتشرة في العصرالمملوكي، والتي بدورها أسهمت في نشر الثقافة والعلم بين أبناء المجتمع المصري والشامي.

أولاً: المساجد:

اتصفت بلاد الشام ومصر في عهد المماليك بكثرة المساجد، فقد وصف ابن حاج المساجد بقوله "وأفضل مواضع التدريس المسجد؛ لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى علينا والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفرا؛ لأنه موضع مجتمع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم"[(1)].

ففي مصر ذكر المقريزي بأن " التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا"[(2)]، بينما ذكر ابن شاهين الظاهري بأكثر من ألف مسجد تقام فيها الخطبة بمصر والقاهرة[(3)]، بينما قدر القلقشندى بأن المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس " فأكثر من أن تحصى وأعزّ من أن تستقصى، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلّون"[(4)].

أما في بلاد الشام وأهمها مدينة دمشق فقد ذكر ابن عساكر (ت571هـ/1176م) أن عدد المساجد في مدينة دمشق في عهد الأيوبيين 242[(5)]،فتطور بناء المساجد في عهد المماليك، حيث أورد ابن شداد (ت684هـ/1286م) بوجود 248 مسجداً ، موزعة داخل المدينة [(6)].

وهذا يدل على مدى اهتمام أهل الشام بالمساجد، باعتبارها مركز ديني مهم، يتم فيه ممارسة العبادات إضافة إلى تلقي العلوم المختلفة فيه، وتعطينا إشارة إلى حرص المجتمع المملوكي، على تعلم أمور دينهم، و ثقافتهم الإسلامية.

---

(1) المدخل(ج85/1).

(2) المواعظ والخطط(ج3/4).

(3) زبدة كشف الممالك(ص31).

(4) صبح الأعشى(ج417/3).

(5) تاريخ مدينة دمشق(ج248/2-264).

(6) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة(ص92)؛النعيمي، الدارس(ج233/2).

وهذه المساجد منها ما كانت مبنية من قبل ومنها ما تم ترميمها و تجديدها أو بنائها في العصر المملوكي من قبل حيث السلاطين[1]، والتجار[2]، وكبار الأمراء كذلك الموظفين في الإدارة المملوكية[3]، وقد أنفق على عمارتها أموالاً كثيرة، فقد بلغت النفقة على الجامع المؤيدي أربعين ألف دينار ذهبا[4]، وعند الانتهاء من بناء المسجد يتم تعيين له الخطباء والقراء والمؤذنين والأئمة وتقام بها الدروس[5]، وكان المسجد مركز لإقامة الشعائر الدينية للصلاة والتوسل إلى الله، فكان يؤمه الكثير من الناس وذلك للإقامة فيه[6]. مما سبق نستنتج حرص سلاطين المماليك على بناء المساجد، فذلك أدى الى ارتباط الناس بالمساجد وحبهم للسلطة الحاكمة.

كان للمسجد دور اجتماعي مهم فكانت تعقد فيها عقود القران[7]، و يقرأ على المنابر لإعلام الناس بإبطال الضرائب المفروضة على القراريط[8]، وكذلك ضمان المغاني[9]، وبذلك أصبح المسجد مركز يقدم خدمات عامة للمجتمع[10]، كذلك يوقف الشيوخ والأمراء وأصحاب السلطة في الإدارة المملوكية عليها أوقاف للإنفاق على المسجد ورواده، طلباً للثواب والأجر[11]، وكان يلجأ الفقراء للسكن في المساجد، فكان يصنع لهم الطعام كل يوم ويوزع عليهم[12].

ويتضح لنا بأن المسجد في العصر المملوكي لا يقتصر على ممارسة الشعائر الدينية، بل أصبح مركز ثقافي اجتماعي، يخدم المجتمع بكافة المجالات من تعليم وحياة اجتماعية واقتصادية وإدارية.

---

(1) ابن حجر ،الإنباء(ج151/7)؛ المقريزي، السلوك لمعرفة الدول والملوك(ج314/3).

(2) ابن حجر ،الإنباء(ج244/9)؛المقريزي، الخطط(ج209/4).

(3) ابن حجر ،الإنباء(ج146/5)؛المقريزي، السلوك لمعرفة الدول والملوك(ج286/3)،الخطط(ج115/4).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج225/7).

(5) المقريزي،الخطط(ج137/4).

(6) ابن حجر ،إنباء(ج129/3).

(7)المصدر السابق(ج389/7).

(8) مكس القراريط:هو ما يؤخذ من العقارات عند بيعهاالمصدر السابق (ج75/1).

(9) ضمان المغاني:ضريبة تفرضها الدولة على كل من يريد اقامة حفلة زواج أو طهور، فكانت تبلغ حوالي خمسمائة درهم، وتقوم ضامنة المغاني بتحصيلها المقريزي، السلوك(ج295/2).

(10) ابن حجر ،إنباء(ج75/1).

(11) ابن حجر ،إنباء(ج87/3)؛المقريزي، المواعظ (ج56/4).

(12) ابن حجر ،إنباء(ج440/7)؛ المقريزي،المواعظ(ج56/4).

وألحقت العديد من الزوايا بالمساجد، ومنها الزاوية المجدية، ويتولى التدريس فيها كبار العلماء والفقهاء، حيث يدرس بها العلوم الدينية والأدب[1]، ونظراً لأهمية المساجد، كانت تبنى بجانبها المدارس، حيث بنيت المدرسة البقرية بجانب مسجد الحاكم[2]، كما بنيت المدرسة الناصرية بجانب مسجد عمرو بن العاص[3].

كانت المساجد ملتقى لطلبة العلم الوافدين من خارج البلاد، فقدم الطالب محمد بن أبي يعقوب من القدس، واستقر بجامع المقسي في مصر، ومن إنجازاته أنه اختصر كتاب الاستيعاب وسماه الإصابة، وجمع مجاميع[4]. فساهم ارتباط الناس بالمساجد في نشر العلم بين عامة الناس، لاسيما بأنه كانت تعقد بها الدروس الفقهية وقراءة القران ورواية الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم، فكان يقصدها طلاب العلم من داخل البلاد وخارجها.

كان المسجد بمثابة معهد ثقافي وتعليمي، حيث أضافوا فيها مهنة التدريس، فنظمت بها الدروس وحضر الطلاب لتلقي العلوم المختلفة على يد مدرسين أكفاء متخصصين، مثل ما هو موجود في المدارس، وقد يقوم الإمام أو خطيب المسجد بمهنة التدريس[5]، ففي جامع ابن طولون كانت مهمة تدريس الحديث بجامع ابن طولون للشيخ أحمد بن عيسى بن موسى الكركي[6]، و كان مدرس الفقه في جامع الخظيري بالقاهرة لكمال الدين أبو محمد النشائي[7]، وكذلك محمد بن إبراهيم بن يعقوب شمس الدينالملقب بشيخ الوضوء الشافعي، كان يعلم الناس كيفية الوضوء بشكل صحيح[8].

كانت تنظم حلقات العلم المتعددة في المسجد، حيث يختار المدرسين الكتب المتنوعة للقراءة، ويلتف حولهم الطلاب، مثل قراءة الكتب الدينية وكتب الحديث النبوي في المسجد[9]، كالبخاري، فكان أبو بكر بن أحمد الدمشقي، يقرأ البخاري في كل سنة بالجامع في رمضان، وكان

---

(1) المقريزي، المواعظ(ج21/4).

(2) ابن حجر ،إنباء(ج86/1).

(3) المقريزي، الخطط(ج167/4).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج279/3).

(5) المصدر السابق (ج39/3).

(6) المصدر السابق (42/4).

(7) المقريزي،السلوك(ج229/4−230).

(8) ابن حجر ،إنباء(ج305/2).

(9) ابن حجر ،إنباء(ج292/8)؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1)؛ الخطط (ج22/4)؛ السيوطي، حسن المحاضرة(ج245/2).

الناس يجتمعون في حلقة ويستمعون إلى الشيخ[1]، ومن الكتب التي كانت تدرس بالمسجد كتاب شرح الشاطبية[2]، ونظم غاية الإحسان لشيخه أبي حيان أرجوزة[3]، وكتب سنن ابن ماجة[4]،كذلك كان يتم تدريس المذهب الشافعي في المسجد والمذاهب الفقهية الاخرى[5].

كان المعلم يشرح للطلاب العلوم المختلفة كالفقه والعربية والقراءات[6]، كذلك كانت تعقد حلقات للوعظ الديني والحث على التقوى، وكان المعلم يذكر مذاهب المخالفين وينقلها من كتبهم محررة [7]، ومن الحلقات المنتشرة حلقة ابن رجب[8]،كذلك حلقة أحمد بن راشد طرخان[9].

كذلك كان يتم دراسة القرآن وحفظه عن طريق التلقين بالمسجد[10]، فكان الشيخ إبراهيم بن عبد الله الحلبي الملقب بالملقن[11]، يدرس القرآن بالجامع وصارت له حلقة مشهورة، يقال إنه قرأ عليه أكثر من ألف ممن اسمه محمد خاصة، وكان الهبات التي يأخذها يفرقها على الطلاب في حلقته[12]، كذلك تنظم حلقات تلاوة القران، وذلك للتدرب على قراءة القرآن قراءة سليمة خالية من الأخطاء واللحن[13]، فكان الشيخ محمد بن إبراهيم كان يقرئ بالروايات السبع[14].

بالإضافة إلى العلوم الدينية، فقدتنتظم في المسجد حلقات لإنشاد القصائد الشعرية[15]، حيث نظم المقرئ علي بن محمد بن القاصح قصيدة في القراءات،فكان يقرأ في جامع المارداني[16]، وفي

(1) ابن حجر،إنباء(ج32/2).

(2)الشاطبية : نسبة إلى كاتبها أبومحمد الشاطبي القاسم بن فِيرُّه(ت590هـ)، وهو امام القراء وهي قصيدة في القراءات السبع: "حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات "، الزركلي، الأعلام(ج180/5).

(3)ابن حجر،إنباء (ج317/1).

(4) المصدر السابق (ج18/6).

(5) المصدر السابق (ج72/4).

(6) ابن حجر،إنباء(ج400/8).

(7)المصدر السابق (ج302/4).

(8)المصدر السابق (ج302/4).

(9)المصدر السابق (ج245/4).

(10) ابن حجر،إنباء(ج42/5)؛ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1).

(11) ابن حجر،إنباء الغمر(335/3).

(12)المصدر السابق (336/3).

(13)المصدر السابق (ج25/1).

(14)المصدر السابق (ج305/2).

(15)المصدر السابق (ج25/1)؛(ج72/4).

(16)المصدر السابق (ج72/4).

مجال الطب الطبيب إِبْرَاهِيم بن أَحْمد أَبُو إِسْحَاق الرقي، وكان بارع فِي الطِّبّ والوعظ فَكَانَ مُقيما بزاوية تَحت مئذنة الْجَامِع بِدِمَشْق[1].

فبذلك كان المسجد في العصر المملوكي مركز تعليمي ثقافي، لا يقتصر على تعليم الدينية، بل يشمل العلوم الطبية والعربية كتنظيم الأشعار؛ وهذا يفسر لنا كثرة رواده من العامة وطلاب العلم.

كان المسجد محل لاجتماع العلماء والوجهاء للتشاور في المشكلات التي تواجه البلاد، بحيث كان العلماء يجتمعون بالمسجد؛ وذلك للنقاش في مشكلة توقف النيل وعند صلاة الاستسقاء، فقد اجتمعوا بمسجد عمرو بن العاص للتوسل إلى الله والاستغاثة به[2]، كذلك تعقد في المسجد حلقات لتفسير الأحلام، فكان الشيخ عمر بن إبراهيم بن القواس الدمشقي يجلس على كرسي وله حلقة يفسر تعبير المنامات[3].

فأصبحت المساجد في العصر المملوكي، مكان لجذب طلاب العلم والعلماء؛ للتعلم والنقاش فيما أشكل عليهم من المسائل الدينية و عقد الجلسات العلمية، فرحل طلاب العلم إلى المساجد، فكان لها دور فاعل في نشاط الحياة التعليمية.

ومن أهم المساجد في مصر والشام:

تعددت المساجد في مصرفي العصر المملوكي، وقد لقيت اهتماماً من قبل المجتمع المملوكي والمسؤولين في الدولة ومن أهمها:

جامع عمرو بن العاص

يوجد في مصر(بالفسطاط)، وأطلق عليه المسجد العتيق[4]، واشتهر بتاج الجوامع[5]، وحظي جامع عمرو بن العاص باعتناء النواب والأمراء والسلاطين المماليك، ففي عام (666هـ/1268م) عمر في عهد السلطان الظاهر بيبرس[6]، كما كتب اسمه على اللوح الأخضر،

---

(1) ابن حجر،الدرر الكامنة(ج13/1).

(2) ابن حجر،إنباء (ج76/1).

(3)المصدر السابق (ج72/4).

(4) المقريزي، الخطط(ج22/4).

(5) السيوطي، حسن المحاضرة(ج239/2).

(6) هو بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر(625 - 676 هـ = 1228 - 1277م) : بدأ مملوكاً حتى أصبح (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك (المظفر) قُطُز، وقاتل معه التتار في فلسطين، وتولى (بيبرس) سلطنة مصر والشام (سنة 658 هـ) وتلقب بالملك (الظاهر) . حقق العديد من الانتصارات على التتار والإفرنج (الصليبيين)، وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد (النوبة) و (دنقلة)، وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية سنة 659هـ ، الزركلي، الأعلام(ج2/ 79).

وفي عام(687هـ/1288م) إبان عهد السلطان المنصور قلاوون، تم تجديد عمارته على يد الأمير سلار بعد تعرضه للزلزال[1]، ولقد ساهم أصحاب الأموال من التجار في عمارة المسجد، فأنشأ التاجر محمد بن مسلم البالسي (ت776هـ/1375م) مطهرة كبيرة بجوار الجامع، فانتفع منها الناس[2]، وفي عام (804هـ/1402م) جددهرئيس التجار إبراهيم بن عمرو بن علي[3] .

وتمثل النشاط العلمي في جامع عمرو بالحلقات العلمية المتعددة التي يترأسها الفقهاء والمحدثين، حيث ذكر المقريزي بأنها في عام(746هـ/1346م) "بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم، لا تكاد تبرح منه"[4]، ولكنها ارتفعت في سنة(776هـ/1375م) كما ذكر ابن حجر العسقلاني بقوله: " فقد كان يحضر أكثر من خمسين متصدراً يقرأ عليهم الناس العلوم"[5]، و تعددت العلوم التي تدرس بالمسجد من علوم شرعية وعلوم اللغة العربية والأدب[6].

فكان المسجد ملتقى العلماء الوافدين،الذين يبادرون بإلقاء الدروس على طلبة العلم، حيث قدم الشيخ أحمد بن عمر بن علي من بغداد،فدرس الحديث النبوي والتاريخ بجامع عمرو، وقرأ عليه ابن حجر العسقلاني سنن ابن ماجه، وقرأ عليه جزء كبير من طبقات الحفاظ للذهبي وقطعة كبيرة من تاريخ بغداد للخطيب[7]، كما سكن العالم محمد بن عمار بجوار المسجد عام(844هـ/1441م) ، وقد صنف الكثير من الكتب، وكان يسمع الناس الحديث النبوي، وقد انتفع من علمه الناس[8]، ومن شيوخه علي بن أحمد الأدمي(ت813هـ/1411م)، فكان يلقي دروس الوعظ بالمسجد وقد قال عنه ابن حجر:"وانتفع به أهل مصر كثيراً مع الدين، وكان يتكلم على الناس بجامع عمرو"[9].

ألحق بالمسجد مكتب لتعليم الأطفال، فكان المؤدب عبد الملك بن محمد بن عبد الله الزنكلواني (ت841هـ/1438م)، يسكن بدار مجاور للجامع ويؤدب الأطفال ويكثر من تلاوة

---

(1) المقريزي، المواعظ(ج16/4).
(2) ابن حجر،إنباء(ج148/1).
(3) المقريزي، المواعظ(ج17/4).
(4) الخطط (ج22/4)؛ السيوطي، حسن المحاضرة(ج245/2).
(5) ابن حجر،إنباء(ج138/1).
(6) المقريزي، المواعظ(ج20/4).
(7) ابن حجر،إنباء(ج18/6).
(8)المصدر السابق (ج154/9).
(9)المصدر السابق (ج250/6).

القرآن[1]، وتوجد بالمسجد زوايا كثيرة، من أشهرها الزاوية الخشابية ، والتي تعرف أيضاً بزاوية الإمام الشافعي، حيث أنه درس بها لذلك سميت باسمه، و درس بها عدد من العلماء والفقهاء[2]، فدرس بها سنة(769هـ/1368م) جلال الدّين عبد الرَّحْمَن ابْن شيخ الْإِسْلَام البُلْقِينِيّ [3].

كان جامع عمرو بن العاص من المساجد الكبيرة المأهولة بالناس طيلة ساعات النهار وطرفي الليل، فكان رواده من المصلين والمعتكفين والزهاد، ومنهم عوض بن عبد الله الزاهد كان ينقطع بالجامع للعبادة والعلم[4]، فكان يتردد عليهم الأمراء والرؤساء يلتمسون بركة دعائهم[5]، وكان المسجد يجتمع به العلماء والشيوخ والناس طلباً للاستسقاء[6]، وعندما يزور الخليفة المسجد يوزع الصدقات والهبات على المحتاجين[7]، كما كان المسجد ملجأ يلجأ إليه بعض الأشخاص هرباً من التعذيب من قبل السلطة الحاكمة أو المحاسبة، فسكن الوزير على التاج الملكي وبقي ملازماً لجامع عمرو، عندما ضرب و أقيل من منصبه [8] .

- **الجامع الأزهر**

برزت أهميته في عهد المماليك، حيث كانت صلاة الجمعة معطلة، منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، وعند تولي السلطان الظاهر بيبرس السلطنة (665هـ/1267م)، استعاد نشاطه حيث ساهم الْأَمِير عز الدّين أيدمر الْحلِيّ في تعميره فأعاد أوقاف المسجد التي كانت مغتصبة،وتبرع بماله وطلب من السلطان مال بهدف تعمير المسجد وإصلاحه، كذلك عين له الفقهاء والمحدثين حيث يسمعون رواد المسجد الحديث النبوي، وعين سبعة قراء؛ لتعليم الناس قراءة القران الكريم[9]، ففي عام (725هـ/1325م) ساهم المحتسب القاضي محمد بن الأسعرديفي عمارة المسجد،وفي عام (761هـ/1360م) ساهم الأمير سعد الدين بشير في ترميم المسجد، حيث رمم سقوفه وجدرانه،

---

(1)ابن حجر ،إنباء (122/9).

(2) المقريزي، الخطط(ج22/4).

(3) ابن حجر ،إنباء(ج76/8)؛المقريزي، المواعظ(ج21/4)،السلوك(ج357/5)؛السيوطي،حسن المحاضرة(ج329/1).

(4) ابن حجر ،إنباء(ج181/5).

(5) المقريزي،السلوك (ج7/5).

(6) ابن حجر ،إنباء(ج76/1).

(7) المقريزي، الخطط(ج445/2).

(8) ابن حجر ،إنباء(ج12/2).

(9) المقريزي، السلوك(ج42/2).

وعين فيه قارئ، كما بنى مكتب للأيتام و درس فيه المذهب الحنفي[1]، وفي عام (800هـ/1398م) تهدمت منارة المسجد، فأعيد بنائها، وفي عام(817هـ/1415م) جدد بناء مئذنة جامع الأزهر، بأمر من السلطان المؤيد أبو النصر شيخ، حيث هدمت وأعيدت بحجر منحوت، وجددت تحتها بوابة جديدة وكتب عليها اسم السلطان حيث استمر ترميمها سنة كاملة[2] ،وفي عام (823هـ/1420م) أمر السلطان أبو النصر شيخ بهدم الجامع المجاور له وتوسيعه[3]،وفي عام (828هـ/1425م) بني صهريج بصحن الجامع الأزهر[4].

لقد كان الشيخ أحمد بن محمد الأنصاري المصري شهاب الدين(ت739هـ/1339م) يعقد فيه الدروس[5]، وفي عام (788هـ/1386م) درس الشيخ فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر، فيه علم القراءات[6]، وكان الشيخ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان (ت 804هـ/1402م) يُدرس رواد المسجد القران وكيفية قراءته، حيث كان ضريراً، ووصف ابن حجر في استفادة الناس من علمه "وقرأ عليه خلق كثير، وقد حدث عنه خلق كثير في حياته، وانتفع به من لا يحصى عددهم في القراءة وانتهت إليه الرياسة في هذا الفن ... وأرخه المقريزي والبغدادي"[7].

فكان الجامع الأزهر بمثابة معهد تعليمي بحيث تعقد حلقات علمية للنقاش والدراسة، بحيث يدرس فيه العلوم الشرعية والعربية والعقلية، كالفقه والحديث والتفسير والنحو والفرائض والحساب، وتعقد فيه مجالس الوعظ وحلقات الذكر.

كان الشيخ محمد بن أحمد بن خليل يدرس بالجامع الأزهر،حيث قسم كتاب التنبيه والمنهاج فكان يقارن بينهما[8]، وكذلك كانت تعقد جلسات وحلقات لسماع الحديث الشريف النبوي[9]، حيث يتم قراءة الكتب كالحاوي، فيستغرق قراءته في المسجد ثمانية أيام[10]، وكذلك كتاب البخاري،حيث يتم قراءته وختمه ثم الدعاء بنية رفع الوباء[11]، وكانت تعقد حلقات لقراءة

---

(1) المقريزي، المواعظ(ج56/4).

(2) ابن حجر،إنباء(ج151/7).

(3) ابن حجر،إنباء(ج386/7)؛المقريزي، المواعظ(ج57/4).

(4) المقريزي،المواعظ (ج57/4).

(5) ابن حجر،إنباء(ج87/3).

(6)المصدر السابق(ج216/2).

(7)المصدر السابق (37/5).

(8)المصدر السابق (ج140/7).

(9)المصدر السابق (ج183/3).

(10)المصدر السابق (ج108/5).

(11)المصدر السابق (ج91/2).

القرآن الكريم ودراسته وتلقينه للطلاب[1]، فكان المقرئ يقرئ الناس القرآن بالروايات السبع[2]، وقد وصف المقريزي المسجد بقوله" فلا يزال الجامع عامراً.... فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره"[3].

كان ينفق على المسجد من الأوقاف،ومن أهل الخير من الشيوخ[4]، وفي عام (761هـ/1360م) أوقف الأمير سعد الدين الجمدار أوقافاً على المسجد[5]، وكان المسجد ملجأ للفقراء[6]، فيلجأ إليه الفقراء من مغاربة وفلسطينيين ومصريين وزيالعة، حيث كان لكل طائفة رواق يعرف بهم"، فكان الأغنياء يتصدقون بأموالهم وبالذهب والفضة على المسجد؛ وذلك إعانةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى،وكان يوزع عليهم أصناف من الأطعمة والخبز والحلويات[7]، وفي(792هـ/1390م) أصدر السلطان الظاهر برقوق، مرسوم بأن من مات من الذين يسكنون المسجد، وترك ثروة، وليس له وارث، فإنها تحول إلى من يسكن بالمسجد، ونقش ذلك على باب المسجد الكبير [8].

ومن الأمثلة على ازدهار الجامع الأزهر طوال عصر المماليك، لجوء كثير من الناس في عصر المماليك على المبيت بالجامع الأزهر طلباً للبركة خصوصا في الصيف وشهر رمضان، واستمر ذلك حتى(818هـ/1416م) عندما تولى سودون القاضي نظر الجامع الأزهر، وكان بلغه أنه حدث بالجامع من الفساد بمبيت الناس فيه مالا يعبر عنه، فأمر بعدم المبيت فيه[9]، كذلك عند حدوث فيضان النيل أو مجاعة أو انتشار وباء في البلاد فيجتمع فيه الناس للصلاة[10] ، والدعوة إلى الله عند غلاء أسعار الغلال[11] والوعظ[12].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج34/5).

(2)المصدر السابق (ج37/5).

(3)ابن حجر، إنباء(ج52/1)؛ الخطط(ج57/4).

(4) ابن حجر،إنباء(ج87/3).

(5) المقريزي، المواعظ(ج56/4).

(6) ابن حجر،إنباء(ج440/7).

(7)ابن حجر، إنباء(ج52/1)؛المقريزي، الخطط(ج57/4).

(8) المقريزي، المواعظ(56/4).

(9) ابن حجر،إنباء(ج191/7)؛المقريزي،الخطط(ج57/4).

(10) ابن حجر،إنباء (ج8/1).

(11)المصدر السابق (ج292/3).

(12)المصدر السابق (ج252/7).

أما المساجد في الشام فمنها:

انتشرت المساجد في الشام في العصر المملوكي، وذلك يرجع لاهتمام الإدارة المملوكية، وإقبال طلاب العلم وعامة الناس عليها.

المسجد الأقصى

دفعت المكانة الدينية الكبيرة التي يحتلها المسجد الأقصى عند المسلمين إلى اهتمام سلاطين المماليك، حيث كان السلطان بنفسه يعين خطيب المسجد الأقصى[1].

ووجه السلطان عنايته بالمسجد الأقصى، مما أنعش الحركة فيه، في المجال الديني والعلمي والثقافي حيث زخر بالعلماء، فزار السلطان مؤيد شيخ المحمودي المسجد الأقصى عام (829هـ/1426م) حيث جلس بعد الصلاة وذلك لحضور دروس العلم، فكانت تعقد فيه المجالس العلمية، وفيها يقرأ كتب الحديث بحضرته، فحضر قراءة كتاب البخاري، وكذلك كانت تنظم المدائح[2].

كانت تعقد مجالس الوعظ بالمسجد، وذلك بهدف نشر التوعية الدينية بين الناس، فكان للسلطان دور مهم في تشجيع ومدح الوعاظ في المسجد الأقصى[3]، ومن أشهر الوعاظ الشيخ عبد الرحيم بن علي الحموي(ت848هـ)، حيث ولي الخطابة بالمسجد الأقصى[4]، ومن العلماء الذين تولوا مهنة الخطابة بالمسجد الأقصى القاضي شهاب الدين الباعوني الشافعي(ت816هـ)[5]، والشيخ محمد بن محمد الدمشقي(ت799هـ)[6]، كذلك برهان الدين بن جماعة[7].

دفع الاهتمام بالمساجد إلى تنشيط المجالس العلمية، فتوافد طلبة العلم؛ لتلقي العلوم على يد كبار العلماء الذين يدرسون بالمسجد الأقصى. فذكر ابن حجر منهم ، المعلم تقي الدين

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج42/4).

(2)المصدر السابق (ج265/7).

(3)المصدر السابق(ج265/7).

(4)المصدر السابق(ج229/9).

(5)المصدر السابق (ج143/5).

(6)المصدر السابق (ج361/3).

(7)المصدر السابق (ج361/3).

إسماعيل القلقشندى، فكان يجتمع عنده الطلبة في المسجد لتعلم علوم الفقه، ومن طلبته عبد الرحمن بن سعادة بن إبراهيم الحسباني [1]

ومن علماء القدس عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل،القلقشندى ثم القدسي، فكان يبحث في مجال الحديث النبوي، وكتب الطباق بخطه، وصنف ونظم، وكان فاضلاً نبيهاً، وكان يرتحل طلباً للعلم وسماع الأحاديث النبوية على يد كبار علماء الحديث في القدس ودمشق ونابلس وغيرها من البلاد (ت826هـ)[2].

ومن الأمثلة على ازدهار الحركة العلمية فيه، فقد ضم المسجد عدداً كبيراً من والمدارس والزوايا والأربطة كما بنيت مصاطب لجلوس لطلبة العلم[3].

كانت مكانة المسجد الأقصى الاجتماعية مميزة،حيث كان المسجد مكاناً مناسباً ليتصدق به على فقراء المسلمين، ففرق السلطان الأموال على الفقراء في المسجد[4]، وكان المسجد الأقصى محل اجتماع القضاة والحكم والفصل في الخصومات وإزالة المظالم[5]. فغدا المسجد الأقصى مكاناً يؤمه طلبة العلم والعلماء وعامة الناس نتيجة للمكانة الدينية المميزة للمسجد الأقصى.

- **المسجد الأموي:**

يقال عنه جامع دمشق أو جامع بني أمية والجامع الأموي والجامع المعمور[6]، وقد استعاد مجده في عهد المماليك حيث أقيمت به الجمعة بعد تعطلها بسبب تيمورلنك[7] [8]، واهتم نائب

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج171/1).

(2)المصدر السابق(ج8/ 30-29).

(3) الحنبلي، الأنس الجليل(ج205/2-294)؛ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج180/4)؛العسلي،معاهد العلم(ص39-40).

(4) ابن حجر،إنباء(ج265/7).

(5)المصدر السابق (ج143/5).

(6)المصدر السابق (ج285/2).

(7)هو تيمور بن أيتمش قنلغ بن زنكي بن سنبيا، الطاغية تيمور كوركان، (728 - 807هـ /1328 - 1405م) الطاغية الْكُبْرَى الْأَعْرَج، ولد بقرية تسمى خواجا أبغار، كان قائدًا عسكريًا قام بحملات توسعية شرسة أدّت إلى مقتل العديد من المدنيين وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها، ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (ج4/ 103)؛الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ج1/ 173).

(8)ابن حجر،إنباء (ج208/4).

الشام بإعمار المسجد[1]، فكان الناس يلازمون الجامع نهاراً و ليلاً، وكانت توقد المصابيح المسجد في الليل [2]، ويتعاونون الناس في تنظيف المسجد[3].

كما ارتحل إليه الكثير من العلماء و من أشهر العلماء الوافدين إلى الجامع الشيخ محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان، الموصلي ، فقد تصدر الجامع الأموي، واستفاد منه طلبة العلم بثقافته الواسعة[4] .

انتشرت الحلقات التي يدرس فيها القرآن بحيث يجتمع المعلم ويستند إلي سارية من سواري المسجد مع طلابه على شكل حلقة،ويقوم المعلم بتلقين القرآن للطلاب لحفظه وقراءته قراءة صحيحة[5]، ومثال ذلك كان أحمد بن عبد الله بن علي الحديثي يقرئ الطلاب بالمسجد القرآن[6]، و كذلك وكيل بيت المال بدمشق تقي الدين أبو بكر الآمدي الفقاعي فكان يلقن القرآن بالجامع الأموي، حيث كان يشتري مملوكاً بعد مملوك فيعلمه القرآن والكتابة ثم يبيعهم فيربح فيهم كثيراً، حيث أنه قدم منهم واحداً لبرقوق فأعجب به؛ فولاه وكالة بيت المال[7]، ومن المقرئين محمد بن علي بن رستم الخراساني ثم الدمشقي[8]،كما كان المقرئ أحمد بن راشد بن طرخان، يجلس الطلبة حوله في حلقة ويدرس العلوم الشرعية والقرآن[9]، ومن المقرئين بالجامع الشيخ صدفة بن سلامة بن حسين الجيدوري، حيث أقرأ القراءات والأدب، وكانت له مؤلفات في القراءات[10].

ازدهر تدريس العلوم الدينية والعربية في الجامع كالنحو[11]،والخط[12]، فكان الشيخ عمر بن عبد الله العلبي ينقطع بالجامع الأموي، ويدرس الأولاد في القرآن وفي الفقه ويشرح لهم[13]، كما

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج146/5).

(2) ابن حجر،إنباء(ج240/4)؛ العمري، مسالك الأبصار(ج293/8).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر(ج15/5).

(4)المصدر السابق (ج68/1).

(5) ابن حجر،إنباء (ج105/1)؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1)

(6) ابن حجر،إنباء (ج105/1).

(7)المصدر السابق (ج6/2).

(8)المصدر السابق (ج309/2).

(9)المصدر السابق (ج254/4).

(10)المصدر السابق (ج457/7).

(11) العمري، مسالك الابصار(ج195/7).

(12) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1).

(13) ابن حجر،إنباء (309/4).

وكذلك الشيخ علي بن حسين ابن زكنون ، فكان يجتمع الطلبة حوله بعد صلاة الجمعة بالجامع ويقرؤون ويتدارسون كتب الحديث النبوي[1]، فكانوا يقرءون كتب الحديث على كراسي مرتفعة[2].

ازدهر المسجد بحلقات الوعظ، فكان الشيخ علي بن محمد بن علي بن عباس يعظ في حلقة[3]، ولقد اعتني بالطلبة الموهوبين، ومثال ذلك تولى الخطابة في الجامع الأموي الطالب علي بن عبد الوهاب بن علي السبكي، وعمره آنذاك عشر سنوات[4]، ولقد كان اهتمام بالمؤذنين، بحيث يعين رئيسا للمؤذنين، فكان محمد بن عبد الله المقدسي، قد تولي رئاسة المؤذنين بالجامع فتميز بالصوت الجهوري[5]، وكان المؤذن أحمد بن خضر الدمشقي ، أحد مشاهير المؤذنين بالجامع الأموي[6].

فكان للمساجد في مصر وبلاد الشام دوراً مهما في ازدهار الحركة العلمية في العصر المملوكي، فأصبحت تحمل رسالة الدين والعلم معاً، فأدى ذلك إلى انتشار العلوم والثقافة بين عامة الناس.

ثانياً:البيمارستانات:

"البيمارستان" كلمة فارسية تتكون من كلمتين "بيمار" أي مريض "ستان" أي محل و مكان أي دار المرضى، و يقول الجوهري: المارستان بيت المرضى، وكان المراد بالمارستان مكان معالجة كافة الأمراض' ثم أقتصر بعدئذٍ على المكان المخصص لرعاية المجانين[7].

اعتنى سلاطين المماليك بالمرضى، وحرصوا على زيارتهم، وسؤالهم عن أحوالهم[8]، و أدت عناية السلاطين بأمر المرضى والشؤون الصحية إلى اهتمامهم بمهنة الطب، فحرصوا على اختيار الطبيب وتعيينه من قبل السلطان؛ حرصاًعلى صحة الناس وسلامتهم[9]،فقد عين السلطان الملك الظاهر الطبيب محمد بن إبراهيم بن يعقوب(ت790هـ/1388م)في المارستان المنصوري

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج319/8).
(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(ج314/1).
(3) ابن حجر،إنباء (ج301/4).
(4)المصدر السابق (ج121/1).
(5)المصدر السابق (ج36/8).
(6)المصدر السابق (ج105/1).
(7) الصحاح(ج978/3)؛المقريزي، المواعظ(ج266/4)؛عيسى،تاريخ البيمارستانات(ص4).
(8) ابن حجر،إنباء (ج134/2).
(9)المصدر السابق (ج351/7).

وقرر له راتب شهري[1]، وإذا كان الطبيب بارعا في الطب، ترتفع منزلته عند السلطان، كالطبيب محمد بن محمد بن قطب الدين، كانت مكانته عظيمة عند الأشرف[2]، ويكون له مع السلطان مجلس خاص لا يحضر فيه أحد، فكان الطبيب فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي، وقد عالج السلطان برقوق، فأعجب به السلطان،فاختصه بمجلس خاص، وعينه في رئاسة الطب[3].

فزيارة السلاطين للمرضى في البيمارستانات، وللتأكد من مدى تلقيهم الرعاية والخدمات الصحية التي تقدم للمرضى، والاطلاع على سير العمل الصحي؛ فذلك يدل على أهمية الطب و ازدهاره في العصر المملوكي.

كان السلطان شديد المراقبة للأطباء،فكان الطبيب الذي يخطأ يتم عقابه وعزله، حيث قتل السلطان طبيبين، بسبب وصفهم العلاج بالخطأ[4]، وهناك من الأطباء غير ماهرين في العلاج، فيشاع صيتهم بين الناس بذلك، مثال ذلك الطبيب محمد بن عبد الله[5]، والطبيب عمر بن منصور[6]،وحتى يكون الأطباء تحت السيطرة والمراقبة؛ فيتولى مهمة رئاسة الطب طبيبين، فقدعين السلطان برقوق الطبيب صدر الدين بديع بن نفيس شريكاً لعلاء الدين بن صغير في رئاسة الطب بالقاهرة[7]، أو يكون بمثابة مشرف عام على الأطباء، حيث عين رئيساً على الأطباء في مصر والشام مثل الطبيب إِبْرَاهِيم بن الرشيد بن أبي الْوَحْش(ت707هـ/1308م)[8].

مراقبة عمل الأطباء من قبل المسئولين والسلاطين؛ ذلك دليل على الاهتمام بالمرضى، والحرص عليهم لتجنب وقوعهم في الأخطاء الطبية.

كانت البيمارستانات عبارة عن مراكز لتدريس العلوم الطبية إلى جانب تقديم الرعاية الصحية، ويدرس فيها رئيس الأطباء، حيث يلقي الدروس على الطلبة ويعلمهم المهنة[9]،مثل

---

(1)ابن حجر،إنباء (305/2).

(2)المصدر السابق (ج38/2).

(3)المصدر السابق (ج137/7).

(4)المصدر السابق (ج11/9).

(5)المصدر السابق (ج93/7).

(6)المصدر السابق (ج242/8).

(7)المصدر السابق (ج12/2).

(8)المقريزي، السلوك (ج427/2).

(9)ابن حجر،إنباء (ج228/3–229)؛المقريزي، المواعظ(ج253/4)؛عيسى،تاريخ البيمارستانات(ص87)؛ طرخان، ابراهيم، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة(ص318).

مارستان المنصور، فكان الأطباء إلى جانب عنايتهم بالمرضى، فيدرسون الطب في بناء مجاور للبيمارستان[1]، ومن الأطباء الذين عملوا في التدريس بالبيمارستان المنصوري محمد بن أبي محمد[2].

اتصف الطبيب في العصر المملوكي بمصر والشام بمواصفات، ومثال ذلك أنه كان رئيس الأطباء ماهراً بالطب وله معرفة بالأدوية، والعقاقير وما فيها من نفع وضرّ للإنسان،فكان لديه علم بالأمراض والعلل وطرق العلاج[3]، كذلك يكون مثقفاً يعرف باللغات، فكان فتح الله بن مستعصم في رئاسة الطب ووصف بالذكاء وفصيحاً بالعربية والفارسية والتركية[4].

يتعلم الطلاب طب الأعشاب في البيمارستانات،فلقد تعلم الطبيب محمد الزيلعي، عن ابن القماح فأصبح ماهراً في معرفة الأعشاب[5]، وكان يلحق بالبيمارستانات مكتبات توجد فيها كتب من مختلف العلوم[6]،وقال المقريزي عن مكتبة بيمارستان الطولوني:" وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات"[7].

أما أسلوب العلاج المتبع،عندما يأتي المريض للعلاج كانت تنزع ثيابه و يضع كل حاجاته عند أمين المارستان، ويلبس ثياباً أخرى[8]،كما ويحاور الطبيب المريض ويسأله عن سبب مرضه، وما يجده من آلام ثم يقوم بفحصه[9]، ويأخذ الطبيب معلومات عن عمر المريض وبلده والفصل الذي حدث فيه المرض[10]، ثم يصف له العلاج والأدوية المناسبة[11]، ويركز الطبيب أن يكون

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج307/7).

(2)المصدر السابق (ج144/1).

(3) القلقشندي، صبح الأعشى(ج89/11).

(4) ابن حجر،إنباء (ج94/4).

(5)المصدر السابق (343/3).

(6)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج101/4).

(7) المقريزي، المواعظ (ج291/2).

(8) عيسى، تاريخ البيمارستانات (ص70).

(9) ابن حجر،إنباء (ج187/3).

(10) القلقشندي،صبح الأعشى(ج377/11).

(11)ابن حجر،إنباء (ج153/8).

العلاج من الغذاء[1]، وفي النهاية يعطي الطبيب توجيهات للمريض[2]، ومن النصائح التي تصدر عن الطبيب فيما يتعلق بالغذاء،بأن لا يأكل إلا بالميزان[3].

كان في العصر المملوكي أطباء متخصصين بالباطنة والعيون والجراحة والكحالين والمجبرين، ويشرف عليهم رئيس الأطباء ويعطيهم الإذن بمزاولة مهنة الطب[4]، ومن الأمراض المنتشرة مرض المغص ثم يتطور إلى القولنج[5]، فيوصف لهذا المرض الطبيب الأدوية والحقن[6]، ويوصف للمريض أيضاً دواء بالأعشاب، فعندما مرض السلطان، فوصف له بعسل

النحل[7]، وكان هناك قسم للمجانين فيها، وهو مختص لإيواء أصحاب الأمراض العقلية والعصبية، فيتم تقديم لهم الرعاية النفسية في البيمارستانات[8].

كان الغني يدفع ثمن الدواء، أما الفقراء فيصرف لهم الدواء بسعر رمزي بسيط، فكان الطبيب محمود بن أبي بكر الوائلي يصرف الدواء للقادرين بأربعين ألفاً، بينما للمحتاجين بفلس[9]، أما الطبيب علي بن أحمد بن الأمير بيبرس الحاجب، كان مشهوراً بالمهارة في العلاج، وكان يعالج بمائة وعشرة أرطال[10].

فبذلك أصبح للبيمارستانات دورٌ اجتماعي وعلمي تخدم المجتمع المحلي و تقدم مساعدات لأبناء المجتمع المملوكي حيث ساهمت بالارتقاء بالمستوى الصحي.

تعد البيمارستانات من المؤسسات التي حظيت باهتمام سلاطين المماليك،ومن أمثلتها:

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج312/5)؛ القلقشندي،صبح الأعشى(ج377/11).

(2) ابن حجر،إنباء (ج187/3).

(3)المصدر السابق (ج312/5).

(4) المقريزي، المواعظ(ج269/4)؛القلقشندي، صبح الأعشى(ج439/5).

(5)القولنج مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثقل والريح (ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص150)؛الفيروز أبادي،القاموس المحيط(ص259).

(6) ابن حجر،إنباء (ج153/8).

(7)ابن حجر،إنباء (26/4).

(8)المصدر السابق (ج222/7).

(9)المصدر السابق (ج187/3).

(10)المصدر السابق (ج67/4).

1. البيمارستان المنصوري

أنشأه الملك المنصور عام (683هـ/ 1284م)، ويوجد بين القصرين في القاهرة[1]، وعين فيه العلماء والقضاة والأئمة والحكماء والمساعدين والصيادلة والأدوية لعلاج الأمراض الحسية والعصبية والعقلية، كما جعل لمن يتعافى كسوة، ولمن مات جهز له كفن ودفن[2]، وكان السلطان يتفقد أحواله ويعود المرضى(837هـ)[3] ، وكان المارستان فيه قسم للنساء وقسم للرجال، وبه قاعات، وفيها أسِرة للمرضى وللمصابين بالرمد والمبرودين وقاعة للنساء، وصيدلية ومطبخ، وبه مجلس للأطباء، بحيث يلقي رئيس الأطباء الدرس على الأطباء[4] .

لقد ازدهر البيمارستان المنصوري في وقته، لذلك كان محط وفود الأطباء من كافة البلاد الإسلامية، حيث يأتون لممارسة هذه المهنة، التي ازدهرت فيه، ولقد قدم الطبيب محمد بن إبراهيم بن يعقوب من صفد وذلك للعمل في البيمارستان المنصوري[5]، وكذلك الطبيب محمد بن أبي محمد الشافعي، قدم من تبريز[6]،واستقر بالقاهرة للعمل في التدريس بالبيمارستان المنصوري[7]، وقدم أبو بكر محمد بن عمر الهمذاني من تبريز، إلى القاهرة، بأمر من السلطان[8].

ومن الأطباء المصريين المشهورين الذين عملوا به، مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن ساعد السنجاري وَتقدم فِي معرفَة الطِّبّ، فَكَان المريض يَأْتِي إِلَيه فبمجرد مَا تَنَاوَلهُ للدواء يبرأ، وكذلك مهر فِي معرفَة الْجَوَاهِر والعقاقير، حَتَّى رتب بالمارستان وأمر النَّاظر بِأَن لَا يَشْتَرِي شَيْئا إِلَّا بعد عرضه عَلَيْهِ، وكان يركب الترياق في كل سنة بالبيمارستان، وَمن تصانيفه في مجال الطب كتاب (غنية

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج134/2)؛المقريزي، المواعظ(ج268/4).

(2) النويري، نهاية الأرب(ج107/31).

(3)المقريزي ، السلوك(ج321/3)؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج37/15).

(4) المقريزي،المواعظ(ج269/4)؛النويري، نهاية الأرب،(ج71/31).

(5) ابن حجر،إنباء الغمر بأبناء العمر(305/2).

(6) تقع في خراسان من عمل أذربيجان، وهي من أكبر امدن الإيرانية وتقع في الشمال الغربي لإيران،الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص130)؛ شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية الإسلامية(ص261) .

(7)ابن حجر،إنباء الغمر (ج144/1).

(8)المصدر السابق (ج350/7).

اللبيب عِنْد غيبَة الطَّبِيب) توفي عام (749هـ/1349م)[1]، أما الطبيب أَحْمد بن يُوسُف بن أبي البركات الصفدي، كان طبيب السلطان الناصر(ت737هـ/1337م)[2]، كما كان ناظراً للمارستان، كذلك تولى الشيخ ولي الدين السفطي نظر المارستان المنصوري، وقد لبس خلعة[3] .

2. البيمارستان النوري:

أنشأه السلطان نور الدين محمود عام(549هـ/1154م)، يقع بالقرب من الجامع الكبير بدمشق[4]،وقد ذكر في خطط الشام" ظل المستشفى النوري عامراً إلى سنة (1317هـ/1900م)"[5]، واشترط فيه أن يكون مقصوراً على الفقراء والمساكين، وفي حالة عدموجود الأدوية إلا فيه، فلا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء إليه مستوصفاً فلا يمنع من شرابه[6].

كما كان بالبيمارستان قاعة واسعة جعلها نور الدين للاجتماعات التي يجلس فيها كبير الأطباء؛ وذلك لمناقشة الحالات المرضية مع معاونيه[7]، ولقد عمل بالمستشفى العديد من العلماء، والذين أسهموا في تأليف الكتب الطبية التي تفيد طلبة العلم في معالجة المرضى[8]، فلقد أنشأ بها مكتبتين كبيرتين تحوي فيهما كتب كثيرة في صدر الديوان[9].

لقد كان البيمارستان النوري بمثابة جامعة للطب، إذ كان طلبة العلم يتلقون العلوم عن طريق أساتذتهم، فخصص في البيمارستانات مكان لتدريس الطب، يقوم بهذه المهمة رئيس

---

(1) ابن حجر،الدرر الكامنة(ج3/5)؛ الصفدي،أعيان العصر وأعوان النصر(ج230/4)؛الشوكاني،البدر الطالع(ج79/2).

(2) ابن حجر،الدرر الكامنة(ج404/1)؛ ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج279/2).

(3) ابن حجر،إنباء (ج234/9).

(4) ابن أبي اصيبعة،عيون الإنباء(ص628)؛عيسى، تاريخ البيمارستانات(ص4).

(5)الكرد،خطط الشام(ج159/6).

(6) أبو شامة،الروضتين في أخبارالدولتين النورية والصلاحية(ج46/1)؛عيسى،تاريخ البيمارستانات(ص206).

(7)الصفدي،الوافي بالوفيات(ج459/1).

(8) ابن سينا،القانون في الطب(ج352/6).

(9)الصفدي،الوافي بالوفيات (ج459/1).

الطب[1]، فكان يتم دراسة وقراءة الكتب على الطلاب، حيث يستفيدوامنها في معالجة المرضى، ككتب الجراحة و الصناعة الطبية [2].

كان الاهتمام كبيراً بصحة المريض في المارستان، فيقدم للمرضى الطعام والشراب المناسب، فعندمازارخليل بن شاهين الظاهري البيمارستان النوري في دمشق عام (831هـ/1428م) قال: " دخلت دمشق وكان بصحبتي رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة، وكان قصد الحج في تلك السنة، فلما دخل البيمارستان المذكور ونظر ما فيه من المآكل والتحف واللطائف التي لا تحصى، قصد اختبار رجال البيمارستان المذكور فتضاعف تمارضه وأقام به ثلاثة أيام، ورئيس الطب يتردد إليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه المتنوعة"[3].

وكان للبيمارستان ناظر يشرف على إدارته وهي من الوظائف الديوانية العظيمة، حيث قال القلقشندي" هي من أجل الوظائف وأعلاها"[4]، وأشار ابن حجر تولي هذه مهمة إلى أحمد بن علي بن يحيى بن تميم الحسيني الدمشقي(ت803هـ/1401م)[5] .

---

(1)الصفدي،الوافي بالوفيات (ج459/1).

(2) القانون في الطب(ج353/6).

(3) زبدة كشف المماليك(ص45).

(4) صبح الأعشى(ج40/4).

(5) ابن حجر،إنباء الغمر(257/4).

المبحث الثالث:

المراكز الصوفية (الخوانق والزوايا والأربطة)

كان انتشار التصوف في مصر وبلاد الشام من المميزات التي اتصفت بها الحياة الدينية؛ مما ساعد على تعدد المراكز الصوفية، كالخوانق والربط والزوايا؛ فأصبحت مركزاً لتوافد العلماء من كافة أنحاء بلاد المسلمين، كذلك انخراط الناس فيها لتلقي العلوم[1]؛ وذلك بسبب غزو المغول لإيران، مما سبب في هجرة كثير من الصوفية إلى أقطار العالم الاسلامي وخصوصا مصر والشام؛ فأدى ذلك إلى زيادة بناء المراكز الصوفية، ولا سيما في القرن الثامن الهجري[2].

أولاً: الخوانق:

الخانقاه هي كلمة فارسية، وتعني البيت الذي يأوي فيه الصوفية للعبادة والتصوف[3]،وهو عبارة عن مكان يختلي فيها أهل الزهد والتصوف مع شيوخهم للعلم والعبادة من ذكر وتسبيح وتأمل واعتكاف[4].

وتتكون الخوانق من حمام وفيها الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم، ومطبخ، وخزانة بها السكّر والأشربة والأدوية، وبها الطبائعيّ والجرائحيّ والكحال، و حارس يحافظ على الأمن فيها[5]، وعلى الرغم من أن الخوانق صوفية المنشأ إلا أنها تعد من المراكز الثقافية والعلمية المهمة، التي يتم فيها إلقاء دروس الحديث، حيث يتدارسون كتب الحديث، كصحيح البخاري[6]،وجامع الترمذي[7]، والفقه، وتفسير القرآن وكتب الصوفية واللغة العربية[8]، ويتخرج منها الكثير من العلماء،وهي لا تختلف عن غيرها من المراكز التعليمية الأخرى، حيث وجدت الخوانق إلى جانب المدارس، فمعظم المدارس فيها جزء للخانقاه[9].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (264/4).

(2)الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية(ص56).

(3) المقريزي،المواعظ والاعتبار (ج280/4).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (152/4)؛المقريز،المواعظ والاعتبار (ج280/4).

(5) المقريزي، الخطط(ج294/4-296).

(6) ابن حجر،إنباء (ج223/1)، (ج126/1).

(7)المصدر السابق (ج290/1).

(8)المصدر السابق (ج141/3).

(9) المقريزي، المواعظ(ج240/4) ؛مبارك،الخطط التوفيقية(ج69/2).

لاقت الخوانق اهتماما من الدولة المملوكية، حيث أنفقوا عليها الكثير، من حيث تعميرها وترميمها، وكان للعاملين بالإدارة المملوكية دور في إنشائها، فقد ساهم نائب حماة الإسعردي في بناء خانقاه على شط نهر فويق[1] لعبد الرحمن بن يوسف بن سحلول الحلبي، حيث كان مقرباًعنده[2]،كما خصص لسكانها من الطلبة وشيوخهم مرتبات ومواد تموينية، ولقد أقيمت الاحتفالات عند الفراغ من بنائها، فكانت تمد الأسمطة العظيمة، ويحضر السلطان والأمراء وشيوخ الخوانق لافتتاحها، حيث أشار المقريزي بأنه خصص لكل صوفيّ في اليوم من لحم الضأن السليج رطل قد طبخ في طعم شهيّ، ومن الخبز النقيّ أربعة أرطال ويصرف له في كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة[3].

كانت الخوانق مهمة حيث لا يسند مشيختها وتدريسها إلا للمتميزين من العلماء، لذلك كان السلطان في بعض الأحيان يعين شيخ الخانقاه، وأطلق عليه لقب شيخ الشيوخ رفعة لهم[4]، و كانت الخانقاه مأوى للعلماء فقد ولي العالمشهاب الدين أحمد بن علي العرياني المحدث خانقاه الطويل، فصنف كتاب(لغات مسلم وشرح الإلمام)[5].

كان شيخ الخانقاه له مكانة رفيعة، حيث يكون عارفاً بالعلوم الشرعية ومتعلماً، حيث كانوا ممن يهتمون بالعلوم فكانت مشيخة القوصونية يترأسها علي بن عبد الرحمن الهوريني، وكان قد حفظ كتباً منهاالشفاء والمقامات والإلمام وعرضها[6] .

يجب أن يتصف شيخ الخانقاه بالتقوى والصلاح والزهد[7]، وقد يتولى مشيخة الخانقاه بالإضافة إلى التدريس في المدارس[8]، كذلك يشرف على جميع الأمور التي تتعلق بالخانقاه، فشيخ سعيد السعداء أحمد بن محمد الأنصاري،أنفق بمالاًلمن يسكن الخانقاه، وعمر أوقافها وأنشأ بها مأذنة وبالغ في ضبط أحوالها، وكان لا يأخذ لها معلوما[9]، وقد يورث الشيخ مشيخة الخانقاه لابنه

---

(1) هو نهر يخترق مدينة حلب في سوريا،الادريسي، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ج2/ 648).

(2) ابن حجر،إنباء(ج8/2)؛ المقريزي، الخطط(ج294/4).

(3) الخطط(ج294/4).

(4) ابن حجر،إنباء(ج294/4).

(5)المصدر السابق (ج202/1).

(6)المصدر السابق (ج265/3).

(7) ابن حجر،إنباء(ج141/3)؛القلقشندي،صبح الأعشى(ج102/12).

(8) ابن حجر،إنباء(ج249/4).

(9)المصدر السابق (ج87/3).

من بعده[1]، كما ويوجد نائب لشيخ الخانقاه، ينوب عن الشيخ في حالة غيابه[2]، وإذا أهمل النائب شؤون الخانقاه وشكوه الناس، فيتم عزله من السلطان وتعيين شيخ آخر بدلا منه[3].

لقد كان للخوانق طاقم إداري مكون من شيخ وإمام[4]،ومؤذن[5]، وناظر ومدرسو المذاهب وخازن للكتب والصيرفي[6]، كما يوجد خادم للخانقاه، يقوم على خدمة وتلبية ما يحتاجه من نزلاء الخانقاه من طلبة العلم وغيرهم[7]، كذلك كانوا يدفنون الأموات في الخانقاه أو بالقرب منها[8].

مما سبق نستنتج بأن الخوانق، كانت معهد ديني وتعليمي، يكثر فيه طلاب العلم، يتعلمون بها العلوم المختلفة، ويشجعهم على ذلك رعاية السلاطين لها وإمدادهم بما يحتاجونه من طعام.

ونتيجة لاهتمام سلاطين المماليك بهذه المراكز، فقد تعددت وانتشرت بمصر وبلاد الشام، ومنها:

- **الخانقاه النجيبية:**

سميت النجيبية البرانية وخانقاه القصر؛ لكونها بحارة منشأها وهو النجيبي جمال الدين أقوش الصالحي، وتولى مشيختها علاء الدين علي بن مجاهد المجدلي(ت794هـ/1392م)،فكان فقيهاًحيثرحل إلى الشام ومصر، وقال ابن الكثير عنها "قد كانت أوقافهما تحت الحوطة إلى الآن"[9].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج290/1).

(2)المصدر السابق (ج269/1).

(3)المصدر السابق (ج269/1).

(4)المصدر السابق (ج99/3).

(5) السخاوي،الضوء اللامع(ج200/3).

(6) ابن حجر،إنباء الغمر(ج49/8).

(7)المصدر السابق (ج126/1).

(8)المصدر السابق (ج129/3).

(9) ابن حجر،إنباء(ج137/3)؛ابن كثير،البداية والنهاية(ج280/13)؛ابن عماد،شذرات الذهب(ج334/6)؛النعيمي،الدارس(358/1-359).

- **الخانقاه الكججانية:**

أنشأت في دمشق عام(761هـ/1360م)، بناها الأمير مجاهد الدين إبراهيم الكججاني كانت تقع بين الخانقاه الطواويسية وبين المدرسة العزية في منطقة الشرف الأعلى[1].

- **الخانقاه الباسطية**

يعود بنائها إلى سنة(836هـ/1433م)، أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل، فكان ناظر للجيش[2]،وتوجد بالجسر البيض غربي مدرسة الأسعردية[3]، تولي مشيختها قاضي القضاة الباعوني،وقد اندثرت[4].

- **الخانقاه السميساطية**

نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد السلمي الحبشي من أكابر الرؤساء بدمشق (ت453هـ/1061م)[5]،كان بها خادم وهو شرف الدين[6]، وكان شيخ الخانقاه يمارس وظيفته إضافة إلى التدريس بمدرسة أخرى[7]،وقد يثور أهل الخانقاه على شيخهم، حيث ثار الناس في الخانقاه على علي بن عبد القادر المراغي الصوفي واتهموه بالاعتزال[8]، وكان إمام الخانقاه شيخ متعلم،حيث كان جلال الدين أسعد بن محمد من محمود الشيرازي يكتب بالتفسير والحديث[9]، وكان بها مكتبة تحوي كتب متنوعة من كافة العلوم، فلقد أوقف صَلَاحِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ كتبه على الخانقاه[10]،كما أوقف الشيخ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْمُظَفَّرِ كتبه من أدب ونحو وعلوم دينية، وبلغت

---

(1) النعيمي، الدارس(ج132/2)؛الذهبي،العبر في أخبار من غبر(ج188/4).

(2) ابن حجر،إنباء(ج331/8)؛النعيمي،الدارس(ج111/2).

(3) بدران،منادمة الأطلال ومسامرة الخيال(ص273)؛النعيمي،الدارس(ج111/2).

(4) بدران،منادمة الأطلال ومسامرة الخيال(ص273)؛الكرد، خطط الشام (ج6/ 131).

(5) النعيمي، الدارس(ج118/2).

(6) ابن حجر،إنباء(ج246/6).

(7)المصدر السابق (ج172/6).

(8)المصدر السابق (ج239/2).

(9)المصدر السابق (ج246/4).

(10) ابن الكثير،البداية والنهاية(ج600/18).

خمسين مجلداً[1]، وكان يعين شيخها بتوقيع من الخليفة،وقد تولى مشيختها كبار المتصوفين كما ذكر ابن حجر، حيث تولها الشيخ محمود بن عبد الله الانطالي سنة (786هـ/1385م)[2]،وفي سنة(809هـ/1407م)تولها الشيخ شهاب الدين ابن حجي[3]، ثم تولى مشيختها شمس الدين ابن الأخنائي[4]، وفي سنة(811هـ/1409م) تولى مشيختها شرف الدين التباني[5]، وفي سنة(815هـ/1413م) تولى مشيختها الباعوني[6].

- **الخانقاه الفخرية**

أنشأها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله في سنة (730هـ/1330م)، فكانت هذه الخانقاه أيضاً مدرسة استمر التدريس فيها عدة قرون،وتضم الخانقاه الفخرية مسجداً للصلاة، وأماكن للسكن وتسكن فيها عائلة أبي سعود، وكان بها مكتبة تضم مخطوطات وكتب قيمة، غير أنها تبعثرت، بسبب اقتسامها بين عائلة سعود[7].

- **خانقاه سرياقوس**

أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون عام(723هـ/1323م)، فنتيجة لاهتمام السلطان بها؛ رغب الناس في السكن حول هذه الخانقاه وبنو الدور والحوانيت والخانات، حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس، وتزايد الناس للسكن حولها للتنعم بالامتيازات التي كانت بها، وفيها عدّة حمّامات، حتى أصبحت بلدة عامرة،وفيها سوق عظيم،لا تفرض الضرائب عليه وذلك احتراماً لمكان الخانقاه، ويجتمع فيها الطلبة لسماع الحديث النبوي، وذلك بحضور السلطان، وفيها تهيأ للصوفي كل أسباب الراحة ليتفرغ للعبادة والعلم،وإذا قصر الشيخ بحقهم فقد يشكوه للقاضي

(1)ابن الكثير،البداية والنهاية (ج156/18).

(2) ابن حجر،إنباء(ج183/2)

(3) ابن حجر،إنباء(ج149/5).

(4)المصدر السابق (ج7/6).

(5)المصدر السابق (ج172/6).

(6)المصدر السابق (ج61/7).

(7) العليمي،الأنس الجليل(ج34/2)؛ الكرد،خطط الشام (6/ 148)؛بكيرات وآخرون، درسات في التراث الثقافي لمدينة القدس(ص307).

أوللسلطان، وإذا ثبت إهماله فيعزله السلطان، ولقد بقيت في تقديم خدماتها حتى عام (806هـ/1404م)[1].

- **خانقاه بكتمر**

أنشأها الأمير بكتمر الساقي عام(726هـ/1326م)، تقع في القرافة بمصر، وأوّل من استقرّ في مشيختها الشمسيّ شمس الدين الروميّ،وذكر ابن حجر بأن عمر المسعودي تولى مشيختها حتى عام(755هـ/1354م)، وتلقى الشيخ راتب في كل شهر مائة درهم، أما راتب الإمامة فيها، فكان خمسين درهما، ولرواد الخانقاه من الصوفيين فكان لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما، كذلك يتم إكرام لمن بها منصوفية وقرّاء، فقد قرر لهم الطعام والخبز في كل يوم، والدراهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر،وكان بها كتباً، حتى يستفيد منها الطلاب والشيوخ ومرجع لهم، وبنى بجانبها حمّاماً، كذلك أنشأ بها بستاناً، وبها سوق كبير فتكاثر السكان حولها، وتنافس الناس في مشيختها، وعندما ضعف الاقتصاد بالخانقاه هاجر الناس من حولها[2].

- **خانقاه قوصون**

توجد في شماليّ القرافة، أنشأها الأمير سيف الدين قوصون، بنيت عام(736هـ/1336م)، وقرّر في مشيختها الشيخ محمود بن أبي القاسم أحمد الأصفهانيّ، وتلقى راتب من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وكل ما يحتاجه، وقرّر بها جماعة كثيرة من الصوفية، ورتب لهم الطعام واللحم والخبز في كل يوم، وفي الشهر يتقاضوا دراهم، ويتم توزيع الحلوى والزيت والصابون،واستمرت على حالها حتى سنة(806هـ/1404م)[3]، وكان شيخ الخانقاه يتميز بسعة علمه، فقد كان الشيخ علي بن عبد الرحمن الهوريني، حفظ كتباً منها الشفاء والمقامات والإلمام وعرضها[4] .

- **خانقاه الجيبغا المظفري**

توجد خارج باب النصر، أنشأها الأمير سيف الدين الجيبغا المظفريّ، وكان بها مجموعة من الفقراء يقيمون بها، وفيها شيخ يقوم بتدريسهم والإشراف على أمور حياتهم،ويتم توزيع عليهم

---

(1) الخطط(ج294/4)؛ابن حجر،إنباء(ج49/8)،(ج120/3).

(2) المقريزي، الخطط(ج296/4)؛ابن حجر،إنباء(ج88/1).

(3) المقريزي، الخطط(ج298/4)؛السيوطي،حسن المحاضرة(ج266/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج596/8).

(4) ابن حجر،إنباء(ج88/1).

الطعام والخبز، و بجانبها حوض ماء لشرب الدواب والناس، وكتّاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الأيتام كتاب الله تعالى، ويقول المقريزي "وهي الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان"[1].

ومن الواضح أن هذه المراكز كان لها دوراً مهماً في الحياة العلمية حيث يدرس فيها الفقه والحديث والقراءات وما إلى ذلك من العلوم الشرعية، فكانت مركز ثقافي بما حوته من كتب وعلوم ومكتبات، وتصدرها علماء ومشايخ وصفوا بأنهم صفوة زمانهم؛ وبالتالي ساهمت في نشر الفكر والثقافة، إلى جانب الدين.

ونلاحظ أن الخوانق، أصبحت عامرة بالناس، فهي محل جذب لهم، لمايجدوه من تشجيع وتمويلمن قبل السلطة المملوكية الحاكمة، وكذلك نتيجة لدعم عامة المجتمع المملوكي لها؛ باعتبارها مراكز دينية.

ثانياً: الزوايا

هي الركن من البيت أو المسجد[2]، وكان أصلها مسجداً صغيراً، ثم تطورت وأصبحت دار للصوفية وهو مكان يطلق على المكان الذي يأوي المنقطعين للعلم والزهاد والذكر[3]، حيث بنيت الكثير من الزوايا بالقرب من المساجد،أو قد تكون في ركن من المسجد،أو ملجأيلجأ إليها الصوفي ويسكن أولاده بها[4]، وملجأ للهاربين من السجن[5]،كما قد تكون مقر للفقراء والعجم والغرباء[6]، وهى أصغر من الخانقاة، ولكن تضم أنشطة تعليمية وطقوساً صوفية[7].

انتشرت الزوايا في العصر المملوكي كنوع من منشآت التصوف، وكانت الزوايا تُعرف بأسماء شيوخها، ومثال ذلك الزاوية التي أنشأها الشيخ محمد الشهير، حيث كانت له زاوية بقنطرة الموسكي[8]، و كذلك الزاوية التي بناها الشيخ عبد الله بن عمر بن مبارك[9]، وقد يقيمها له

---

(1) المقريزي،الخطط(ج292/4).

(2) الفيروزآبادي، المحيط(ص1667).

(3) ابن حجر،إنباء(ج147/4)؛المقريزي، الخطط(ج182/1)؛ابن شداد،الأعلاق(ص43).

(4) ابن حجر،إنباء(ج241/5).

(5)المصدر السابق (ج53/2).

(6) المقريزي،الخطط(ج312/4)؛العليمي،الأنس الجليل(ج48/2).

(7) ابن حجر،إنباء(ج147/4).

(8)المصدر السابق (ج130/3).

(9)المصدر السابق (ج241/5).

السلطان أو الأمير المملوكي، فبنى الملك الناصر محمد بن قلاون زاوية برسم الشيخين الأخوين محمد وأحمد المعروفين بالطراطرية[1].

كانت الزوايا عبارة عن مؤسسة تعليمية اجتماعية يقودها الشيخ، حيث يتولى الشيخ مهمة الاهتمام برواد الزاوية، من حيث تعليم الطلبة العلوم، كالفقه والعلوم الشرعية من تفسير القرآن[2] وحديث[3] وقراءات وأدب، بالإضافة إلى الإحسان إلى الطلبة،وتهيئة الطعام لهم وللمسافرين،وأشار ابن حجر إلى أن الشيخ إبراهيم بن موسى الأبناسي[4]، اتخذ لنفسه زاوية في القاهرة فأقام بها، حيث درس الطلاب الفقه وأحسن إليهم ووزع عليهم الطعام، وسعى لهم في الأرزاق حتى كان أكثر الطلبة بالقاهرة من تلامذته[5]،كما أقام بها مكتبة أوقف بها الكثير من الكتب القيمة[6]، وقد قال عنه ابن حجر "سمعت منه كثيرا وقرأت عليه في الفقه "[7].

كانت تقام في الزوايا المجالس العلمية الطويلة، حيث يتم فيها دراسة العلوم الدينية من قراءة كتب الحديث،و تفسير القرآن وما يرتبط بها من علوم عقلية ونقلية[8]،والتباحث والنقاشات العلمية في الزاوية، فكان الشيخ موسى العبدوسي، عالماً عابداً صالحاً على طريقة السلف، و يعقد في زاويته في القدس حلقات العلم ويدرس الطلبة، وكانت له أسئلة مفيدة واعتراضات واستنباطات في العلوم[9].

---

(1) المقريزي،الخطط(ج310/4).

(2) ابن حجر ،إنباء(ج20/9).

(3)المصدر السابق (ج241/5).

(4) هوإبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي الفقيه الشافعي، ولد عام (725هـ/1325م) وتوفي عام (802هـ/1400م)، ابن حجر ، إنباء(ج144/4)؛ المجمع المؤسس(ج244/1)؛ ابن العماد، شذرات(ج12/7).

(5) ابن حجر ،إنباء الغمر (146/4)؛السخاوي، الضوءاللامع(ج173/1)؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج179/1).

(6) السخاوي، الضوء اللامع(ج173/1).

(7) إنباء الغمر (146/4).

(8) ابن حجر ،إنباء(ج241/5)؛ بدران، أحمد، منادمة(ص299)؛جيده، أحمد: المدارس ونظام التعليم في الشام في العصر المملوكي(ص67).

(9) ابن حجر ،إنباء(ج189/3).

ولأهمية ما تقوم به الزاوية من تعليم للطلاب، فقد أصبح يطلق على الزاوية اسم مدرسة، كالمدرسة الأمينية في القدس[1]، ولقد كانت الدولة تعتني بشيوخ الزوايا وتلبي طلباتهم وكلما يحتاجونه[2]،وكان مايسمىبنقيب للزاوية ومهمته العمل على خدمة الزاوية[3].

اهتم السلطان الظاهر برقوق بدعم الزوايا، فكان يأمر بأن يفرق في الزوايا اللحوم وخبز، ويوزع في كل سنة مائة ألف درهم فضة على نحو عشرين زاوية، ويفرق في كل سنة على أهل العلم والصلاح الأموال، ما بين الألف درهم الواحد إلى المائة دينار، وكان يفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، وكان يفرق في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحاً على أهل الخير وأرباب البيوت[4].

مماسبق نستنتج أنه كان لسلاطين المماليك دوراً مهماً في تدعيم الزوايا والإبقاء عليها، من خلال دعمها مادياً ومعنوياً؛ فذلك أدى إلى تشجيع العلماء وعامة الناس للوفود عليها، لتعليم الناس أمور دينهم وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية.

ومن مظاهر اهتمام الإدارة المملوكية بشيوخ الزوايا، تعينهم في مناصب عليا في الدولة، كوظيفة القضاء،أو مشيخة المدراس، وعند وفاة شيخ الزاوية تنظم الأشعار والرثاء حزنا على موته، فعندما توفي الشيخ إبراهيم بن موسى الأبناسي رثاه الشيخ زين الدين العراقي[5].

كذلك كان الملوك يتفقدون الشيخ من حين لأخر، فكان الملوك يزورون حمد بن أحمد التركستاني الأصل،في زاويته ببيت المقدس[6]، وكان سلاطين المماليك يسمعون وينفذون طلبات الشيخ العالم عبد الرحمن ابن أبي بكر الصوفي[7]، وقد كان يعقد السلطان الاجتماعات مع الشيوخ ويستشيرهم في بعض قضايا البلد، فمثلا كالقضاء فإذا أشكل عليه الحكم على شخص أدين بقضية معينة، فيرجع إليهم للأخذ بآرائهم[8].

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج375/2)؛العسلي،معاهد العلم(ص235).

(2) ابن حجر،إنباء(ج403/7).

(3)المصدر السابق (29/9).

(4)ابن تغري بردي، المنهل الصافي(ج338/3).

(5) ابن حجر،إنباء الغمر(146/4-147).

(6) ابن حجر،إنباء(ج240/2)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج520/8).

(7) ابن مفلح،المقصد الأرشد(ج84/2).

(8) ابن حجر،إنباء(ج76/8).

كانت الدولة المملوكية توفر لشيوخ الزوايا أسباب الراحة، حيث يتفرغون للعبادة والعلم، حتى أن بعضهم قد يعرض عليه وظائف حكومية فيرفضها،حيث أن موسى بن أحمد العبدوسي، كان عالماً عابداً صالحاً، فعين للقضاء فامتنع وعكف على التدريس في الزاوية[1].

كانت الزوايا غالباً مؤسسات شخصية، تسمى الزوايا بأسماء شيوخها، مثل الزاوية المحمدية في القدس، حيث تنسب لواقفها محمد بك زكريا الناصر[2]، كذلك زاوية الشيخ إسماعيل الأنبابي[3]، كان مقيماً بزاويته بناحية منبابة عَلَى شاطئ النيل تجاه بولاق[4]،وتوجد في القرافة زاوية عبد الله بن عبد الله الجبرتي[5]، ويدفن الشيخ بزاويته، كالشيخ علي بن عبد الله المغربل، مات بزاويته التي بالقرب من المقس[6]، أو تعرف باسم الوافدين إليها كزاوية المغاربة، حيث يسكنها المغاربة[7]، أو الهنود،حيث نزلت بها طائفة من الهنود[8]، كما يوجد شروط لانضمام إلى الزاوية، ألا يكون مبتدعا ولا شريرا[9].

ومن الزوايا التي توجد بمصر:

فقد تعددت الزوايا في الشام في العصر المملوكي، بحيث انتشر عدد المتصوفيين، وتوافد عليها عامة الناس وطلاب العلم.

- **زاوية الطراطرية**

بناها الملك الناصر محمد بن قلاون سنة(740هـ/1340م) برسم الشيخين الأخوين محمد وأحمد المعروفين بالطراطرية، وكانا من أهل الخير والصلاح[10].

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج189/3).

(2) العليمي،أنس الجليل(ج43/2).

(3) ابن حجر ،إنباء(ج53/2).

(4)ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج430/2).

(5)ابن حجر ،إنباء الغمر (ج284/1).

(6) المصدر السابق (ج41/3).

(7) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس(ج159/2).

(8) العليمي،الأنس الجليل(ج48/2).

(9) النعيمي،الدارس(ج159/2).

(10) المقريزي، الخطط(ج310/4).

- **زاوية الست زينب خارج باب النصر**

وكان ينقطع فيها الشيخ أحمد السويداوي، وكان يقرأ الطلاب فيها وممن قرأ عليه ابن حجر حيث قال:"قرأت عليه الكثير ونعم الشيخ كان"[1].

- **زاوية الشيخ عبد الله بن مبارك**

توجد بالأبارين بالقرب من الجامع الأزهر، حيث بناها الشيخ عبد الله بن مبارك، وكان يعقد بها المجالس العلمية، ويتم فيها سماع الحديث، فكان صبوراً على طلابه،وكان يصغي للطالب أثناء التسميع،وقد أشار ابن حجر:" قرأت عليه مسند أحمد في مدة يسيرة في مجالس طوال، وكان لا يضجر"[2].

- **زاوية السدّار**

بناها الفقير المعتقد عليّ بن السدّار في سنة(770-773هـ)(1369-1372م)،ويحكي عنه عجائب في المكاشفات وغيرها، ودفن بزاويته بخوخة أيدغمش توفي عام (773هـ/1372م)[3].

ومن الأمثلة على الزوايا بالشام:

- **الزاوية الداودية**

توجد بسفح جبل قاسيون في دمشق، أنشأها الشيخ الصالح العالم عبد الرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن داود القادري الصوفي الصالحي، فكانت له مكانة عالية عند حكام الدولة المملوكية في مصر والشام، وكان يساعدالمظلومين و يتردد إليه نائب الشام وأعيانها، وكان مشاركاً في علوم، وله عدة مصنفات منها (الكنز الأكبر) توفي ودفن بزاويته[4].

- **الزاوية البسطامية**

توجد في القدس بحارة المشارقة، واقفها الشيخ عبد الله البسطامي، فكان يتلمذ الطلاب في الزاوية، كانت الزاوية موجودة قبل سنة(770هـ/1369م)[5]، وكان متصوفاً يلبس الخرقة وأتباعه[6]، يتعانى المجاهدات وأنواع الرياضات والخلوات بزاويته[7].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(27/5).

(2)المصدر السابق (ج241/5).

(3) ابن حجر،إنباء(ج215/1)؛المقريزي،الخطط(ج316/4).

(4) النعيمي،الدارس(ج158/2)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج62/4)؛ابن العماد، شذرات الذهب(ج225/8).

(5) ابن حجر،إنباء(ج236/5)؛العليمي،الأنس الجليل(ج48/2)؛ خطط الشام(ج150/6).

(6) ابن حجر،إنباء(ج236/5)؛العليمي،الأنس الجليل(ج48/2)؛ خطط الشام(ج150/6).

(7) ابن حجر،إنباء(ج130/3).

- **الزاوية القرمية**

توجد في القدس،وصاحبها الشيخ محمد بن أحمد التركستاني (ت788هـ/1386م)، أقام بالقدس، وبنيت له زاوية حيث أوقفها له الْأَمِير نَاصِر الدّين مُحَمَّد بن عَلَاء الدّين، وكان يقيم في الخلوة أربعين يوماً لا يخرج إلا يوم الجمعة وعرف بكثرة العبادة، وكان الملوك يزورونه وله خلوات ومجاهدات[1]، ويذكر عنه كرامات كثيرة وخوارق مع سعة العلم، وقد روى أحاديث،وَحمل جنَازَته الْعلمَاء والمشايخ والصلحاء، وَدفن بزاويته[2].

- **الزاوية الغسولية**

توجد بسفح قاسيون في دمشق أنشأها شيخ الفقراء أبو عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي(ت737هـ/1337م)، وكان صوفياً محدثاً وقد روى عن إبراهيم بن خليل حضورا وعن العماد ابن عبد الهادي وابن عبد الدايم وجماعة وله زاوية ومريدون (ت737هـ/1337م)[3].

- **الزاوية الوفائية**

توجد في القدس بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية، وكانت تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم، ثم عرفت ببني أبي الوفا لسكنهم بها[4]،نسبة إلى الشيخ تقي الدين أبو بكر بن الشيخ تاج لدين أبي الوفا محمد الحسيني، ولقد كان رئيس الفقراء بالقدس،ويكرم الضيوف والوافدين إلى الزاوية، وكثير التودد إلى الطلاب[5].

ثالثاً:الأربطة

هي الحصن الحربي الذي يقام في الثغور للرباط لمواجهة العدو، ثم تحول من مفهومه الجهادي إلى العبادة والانقطاع إلى العلم والعبادة وهو البيت الذي يسكنه الصوفي[6].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج240/2)؛العليمي، الأنس الجليل(ج161/2).

(2)ابن حجر،إنباء الغمر (ج241/2)؛العليمي، الأنس الجليل(ج161/2).

(3) ابن حجر،الدرر (ج115/5)؛الذهبي، العبر في خبر من غبر (ج108/4)؛النعيمي،الدارس(ج160/2)؛ بدران، منادمة(ج308/1).

(4) العليمي،الأنس الجليل(ج37/2).

(5) العليمي،الأنس الجليل(ج158/2)؛السخاوي،الضوء اللامع(ج196/7).

(6) المقريزي،المواعظ(ج302/4)؛ النقر،محمد، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي(ص191).

كان الرباط يؤدي مهام حربية و اجتماعية، حيث يضم الجنود الذين يرابطون لحماية الحدود و كذلك يحوي كبار السن. ومثال على ذلك فقد قرر السلطان بيبرس الجاشنكير [1] في الرباط كما ذكر المقريزي "مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت"[2].

ثم أصبح الرباط مركز علمي اجتماعي، يحضره الفقهاء والشيوخ والقراء[3]،ورواة الحديث[4]، حيث تعقد فيه حلقات العلم[5]،وتصنف الكتب[6]، وينظمون الأشعار، وبه مكتبة تحتوي على كتب لتفيد رواد الرباط[7]، ويضم أيضا الفقراء والنساء الأرامل والمطلقات[8]، وكان يستقبل الصدقات لمساعدة الفقراء[9]،ويتعاون الفقهاء والناس بالمساعدة لبناء الأربطة[10].

اهتم سلاطين المماليك بإنشاء الربط، وتبعهم فيذلك الأمراء وحتى بعض السيدات الصالحات، ووجدت أربطة للرجال وأخرى للنساء،**قد أحصى المقريزي بالقاهرة 12 رباطا منها:**

- **رباط البغدادية**

بنت الست تذكارابنة الملك الظاهر بيبرس رباط للشيخة الصالحة،زينب بنت أبي البركات البغدادية، بجوار خانقاه بيبرس(سنة(684هـ/1285م) فكانت صالحة، وقد عرف برواق البغدادية، فأنزلتها به وكانت به شيخة تعظ النساء وتفقهن، وتودع فيه النساء اللاتي طلّقن أو هجرن حتى يتزوّجن أو يرجعن إلى أزواجهنّ صيانة لهنّ،وبه خادمة فتؤدّب من خرج عن الطريق[11].

---

(1) هو بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر(ت709هـ/1310م): من سلاطين المماليك بمصر والشام، شركسي الأصل، كان من مماليك المنصور قلاوون، ونسبته إليه، إلى أن صار من كبار الأمراء في دولة الأشرف خليل بن قلاوون،ثم تولى السلطنة (سنة 708 هـ/1309م) ولقب بالمظفر، كانت مدة سلطته 10 أشهر و24يوماً،الزركلي الأعلام للزركلي (2/ 79).

(2) المقريزي،المواعظ(ج285/4)؛ النقر،محمد، تاريخ بيت المقدس (ص192).

(3) المقريزي،المواعظ(302/4).

(4)المصدر السابق (ج730/4).

(5) ابن حجر،إنباء(ج29/1).

(6) المقريزي،الخطط(ج303/4).

(7)المقريزي،الخطط (ج305/4).

(8) ابن حجر،إنباء(ج189/3).

(9) ابن حجر،إنباء(ج172/8)؛المقريزي،السلوك(ج100/6).

(10) ابن حجر،إنباء(ج11/8).

(11) ابن حجر،إنباء(ج189/3)؛المقريزي، الخطط(ج304/4)؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة(266/9).

- **رباط الآثار**

يطلّ على نهر النيل، بناه تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد، ومات قبل تكملته، ووصّى من يكمل عمارته و أن يوقف عليه، وسمي بذلك لأنّ فيه قطعة خشب وحديد يقال أن ذلك من أثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1]، اشتراها الصاحب تاج الدين، وأصبحت موروثة، ووضعها في الرباط حيث يتبرّك الناس بها،وفيه يتضرعون إلى الله للاستسقاء[2]،ويعقد الناس فيه الاجتماعات،وفي عهد الملك الأشرف شعبان بن محمد بن قلاوون، عين مدرساً لتدريس الطلاب الفقه على المذهب الشافعي، وفي كل شهر يوزع عليهم من أموال الوقف، وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض؛ لعمل الجسر المتصل بالرباط، ولهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله[3]، وفي سنة(791هـ/ 1389م) عندما تقلد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق منصبه الجديد، توجه هو والقضاة ونائب السلطنة إلى رباط الآثار النّبوية وقرءوا به صحيح البخاريّ، ودعوا الله تعالى للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر وإخماد الفتنة بين الفريقين[4]، وقد اهتم السلطان الأشرف برسباي به حيث زاره، وتفقد من به من الفقراء والخدام،وأمر بتوسيع ذلك الرباط وترميمه[5].

كان يوجد شيخ للرباط، و يتصف بالدين وحب الخير،وقد يرث المشيخة[6]، ويكون الشيخ متعلماً[7]، ويعين في وظائف عليا في الدولة المملوكية،كشعبان بن داود،فقد عين في حسبة مصر[8].

- **رباط أبي منصور**

يوجد بقرافة مصر، نسبة إلى الشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور الصوفي المالكي، كان يعمل بالوزارة، فسلك طريق التصوف،وصنف بزاويته كتاب الرسالة، كما

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج82/8)؛المقريزي،الخطط(ج305/4)؛الحنبلي،شذرات الذهب(ج28/8).
(2) ابن حجر،إنباء(ج134/5)؛ المقريزي،الخطط(ج305/4).
(3) المقريزي،الخطط(ج305/4).
(4)ابن تغري بردي،النجوم(272/11).
(5) ابن حجر،إنباء(ج386/7)؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة(ج99/14).
(6) ابن حجر،إنباء(ج180/9).
(7)المصدر السابق (ج281/7).
(8)المصدر السابق (ج331/3).

روى الحديث وشارك بالفقه وتوفي عام(682هـ/1284م)[1]،وذكر ابن حجر رباط السدرة ويوجد في مصر وشيخه خضر،ولقد كان يدرس فيه كتب الحديث[2].

أما الأربطة في الشام:

- **الرباط المارديني:** يوجد بباب حطة في القدس، وقفه منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وشرطه أن يكون للوافدين من ماردين، كان تاريخ وقفه عام (763هـ/1362م)[3].
- **الرباط الزمني:**يوجد بباب المتوضأ في القدس، واقفه الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن وكان بناؤه في سنة(881هـ)[4].

كما أنشأ الملك المنصور قلاوون عدد من الأربطة في مدينة الخليل منها **الرباط المنصوري**[5]، **ورباط الطواشي والمكي**[6].

- **رباط ستيتة زوجة تنكز**:يوجد في دمشق، بني الرباط مقابل المدرسة النورية، ولما توفيت عام (730هـ)، ودفنت في التربة التي أمرت بإنشائها، كما وأمرت ببناء رباط للنساء، وأطلق عليه رباط الغمري، ومسجد ومكتب للأيتام وفيها صدقات وبر وصلاة وقراء[7].

أما في حلب فقد ذكر ابن شداد مجموعة من الربط منها رباط أنشْأه الأمير سيف الدين عليّ بن عَلَم الدين سليمان بن جندر بالرَحْبة الكبيرة،ورباط يُعرَفبالخدّام، رباط قريب من مدرسة النِفّريّ يُعرَف بإقامة عبد الولي البعلبكّيّ[8].

مما سبق نستنتج أن المراكز الصوفية كانت المكان بمثابة منهل للعلوم، ولنشر الدين الإسلامي، فساهمت في الحفاظ على الدين وإنعاش الحياة الفكرية والثقافية في المجتمع المملوكي.

---

(1) المقريزي،الخطط(ج303/4).

(2) ابن حجر، إنباء(ج29/1).

(3) العليمي،الأنس الجليل(ج42/2)؛الكرد،خطط الشام(ج149/6).

(4) العليمي،الأنس الجليل(ج36/2)؛الكرد،خطط الشام(ج148/6).

(5) العليمي،الأنس الجليل(ج89/2).

(6)العليمي، الأنس (ج79/2).

(7) ابن كثير،البداية والنهاية(ج151/14)؛النعيمي،الدارس(ج211/2)؛الصفدي،أعيان العصر وأعيان النصر(ج341/1).

(8) الأعلاق الخطيرة(ص31).

كماتبين لنا أن المراكز العلمية ملجأ للعباد وعابري السبيل والزائرين، حيث نجد المعلم والشيخ وطلاب العلم والعُباد والزهاد والمرتادين والمنقطعين المأوى، سواء أخذ المركز اسم مدرسة أو مسجد أو مارستان أو كُتاب أو الترب.

الفصل الثالث:

النتاجات العلمية للحركة العلمية في مصر وبلاد الشام من خلال كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر

المبحث الأول:

(العلوم الدينية)

ازدهرت العلوم الدينية في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، بحيث انبثقت منها فروع متنوعة، فأصبحت تدرسلطلاب العلم، فلقد كانت الإدارة المملوكية تهتم بنشر العلوم الدينية،فتمثل ذلك من خلال بناء المراكز الدينية ودور القرآن ودور الحديث، وتشجيع العلماء و المدرسين وطلبة العلم على دراستها، والمكانة العظيمة التي حظي بها العلماء بهذا المجال من احترام من السلطة المملوكية وعامة الناس؛ فهذا جعل إقبال طلاب العلم عليها كبيرا، فلا تجد طبياً أو مهندساً أو.. إلا وقد اهتم بهذه العلوم الدينية، وانتمى إلى مذهب معين،كذلك حرص عامة الناس على تعلمها، وارتفاع الوازع الديني عند الناس؛ فهذا دفع الكثيرين منهم على الإقبال على تعلم دينهم وخدمته بدراسة العلوم الدينية.

ومن أبرز العلوم الدينية التي انتشرت في العصر المملوكي:

أولاً: علوم القرآن الكريم:

ومن تلك العلوم:

1. علم القراءات

هو العلم بكيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريقة أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله[1]، وتطور هذا العلم بسبب دخول الفرس في الإسلام، وتأثر ذلك باللكنة الأعجمية، لذلك اهتموا بضبط القراءات القرآنية[2].

اهتم العلماء وطلبة العلم في مصر وبلاد الشام بعلم القراءات، فانتشرت في المساجد[3]، والمدارس والترب[4]، فيبدأ تعليم القرآن للطالب منذ الصغر[5]، فإذا أتم الطالب دراسة القراءات السبع وإتقانها؛ يصبح مقرئاً مشهوراً،ويرتقي لمنصب رئاسة القراء في بلده[6]، فيتسابق الطلاب والناس للقراءة عليه[7] .

---

(1)النويري، شرح الطيبة (ج3/1)؛القاضي، محمد، البدور الزاهرة(ص4).

(2) النويري، شرح الطيبة (ج3/1).

(3) ابن حجر،إنباء (ج319/8).

(4) المصدر السابق (ج30/2).

(5) المصدر السابق (ج319/8).

(6)ابن حجر،إنباء (ج36/5-37).

(7) المصدر السابق (ج90/1).

وحتى يصل الطالب لدرجة عالية من الإتقان؛ فقد يرتحل من أجل تعلم قراءة القرآن من عدة شيوخ[1]، وكان يتميز المقرئ بثقافته الواسعة، ومعرفته بأصناف مختلفة من العلوم[2].

كان الإقبال على تعلم وتعليم الطلاب القرآن بالروايات كبيراً، حيث توافد عامة الناس و العاملين في الإدارة المملوكية لتعلمه[3]، ومنهم من يترك وظيفته الحكومية؛ وذلك ليتفرغ لتعليم الناس قراءة القرآن بالروايات؛ مما أدى إلى صدارته وشهرته، فكان من يجيد القراءة بالروايات يتم إجازته[4]، وإذا كان القارئ، فقير فإنه يعفى من دفع الرسوم، ويتم تعليمه مجاناً[5]؛ فهذا أدى إلى كثرة القراء، و البحاث في هذا المجال.

تناول علماء مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، القصيدة الشاطبية في القراءات السبع بالتقليد والشرح، فمن الذين قلدوها العالم سريجا بن محمد الملطي(ت788 هـ/1386م) ، سَمَّاهَا نِهَايَة الْجمع فِي الْقرَاءَات السَّبع بلغت ألفاً ومائتي بَيت وَزِيَادَة [6]، **ومن أشهر من اهتم بعلم القراءات:**

- إِبْرَاهِيم بن عمر بن إِبْرَاهِيم الشيخ برهَان الدّين الجعبري أَبُو إِسْحَاق (640 / 732 هـ) (1242/ 1332 م) رحل إلى مدينة الخليل عليه السلام وَكَانَ فَقِيها عالم بالقراءات لَهُ التصانيف المفيدة فِي القراءات منها شرح الشاطبية المسمى (كنز المعاني شرح حرز الأماني) في التجويد، منه وَشرح والرائية، وصنف نزهة البررة فِي القراءات الْعشْرَة[7].

- عبد القادر بن سبع ، اهتم بعلم القراءات، وتولى مهنة التدريس، وألف في مجال علم القراءات كتاب مختصراً في الأحكام ، وكان قد تولي قضاء بعلبك[8] .

- علي بن عبد الله بن عوض المالكي، كان شيخ القراءات بالشيخونية[9].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج126/1-127).

(2)المصدر السابق (ج57/8).

(3)المصدر السابق (ج90/1).

(4)المصدر السابق (ج104/1-105).

(5)المصدر السابق (ج36/8).

(6) ابن حجر،إنباء (ج234/2)؛ الدرر الكامنة(ج265/2).

(7) ابن حجر،الدرر (ج55/1)؛ ابن قاضي شهبة(ج243/2-244)؛ السبكي، طبقات(ج398/9-399)؛ الزركلي، أعلام(ج55/1-56).

(8) ابن حجر،إنباء (ج371/2).

(9)المصدر السابق (ج306/3).

- أحمد بن الحسين الدمشقي، برع في علم القراءات، حتى كتب اسمه في الإجازة، فأجاز له أشهر شيوخ عصره، تولى القضاء، ولكنه استقال من منصبه،لكي يعلم الطلاب والناس،قراءة القرآن بالروايات، فاستمر بذلك حتى مات[1] .
- محمد بن أحمد الدمشقي، أخذ القراءات عن شهاب الدين سبط ابن السلعوس، ثم رحل فأخذ عن ابن السراج وعلي أبي العباس المرادي وعن أبي حيان وغيرهم ، وتصدى للإقراء، فتوافد عليه طلاب العلم وعامة الناس لتعلم قراءة القرآن، وكان يحفظ كثيراً من الشواذ ، وربما قرأ ببعضها في الصلاة فأنكر ذلك عليه، وعني بكتب الطباق[2].
- عمر بن الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان، المصري، أخذ القراءات عن والده وتصدر للإقراء، فاستفاد منه طلاب العلم[3].
- نور الدين، علي بن لؤلؤ، كان عالماً عاملاً متورعاً، فكان يقرأ بالجامع الأزهر وغيره ، فانتفع به الناس وطلاب العلم، وله مقدمة في العربية[4].
- محمد بن علي بن رستم الخراساني ثم الدمشقي، قرأ على ابن اللبان وتصدر للإقراء بالجامع الأموي[5] .
- حسن سبط زيادة ووزيرة وتاج الدين بن دقيق العيد وجماعة، خرج له عنهم أبو زرعة بن العراقي مشيخة، وهو آخر من حدث عن سبط زيادة، وتصدر للإقراء،فانتفع به الناس ودرس للمحدثين بالشيخونية ودرس القراءات بجامع ابن طولون،وقد أشار ابن حجر بأن قرأ عليه شيخنا العراقي بعض القراءات وشرح الشاطبية ونظم غاية الإحسان لشيخه أبي حيان أرجوزة ووقف عليها شيخه وقرظها وسميه الشيخ تقي الدين الواسطي المقري[6] .
- محمد بن مسعود المقرئ المالكي، تلى بالسبع قراءات على التقي الصائغ ، وكان متصدياً للإقراء واشتهربذلك، حتى أن القاضي محب الدين ناظر الجيش كان يقرأ عليه[7] .

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج104/1-105).
(2)المصدر السابق (ج126/1-127).
(3)المصدر السابق (ج132/8).
(4)المصدر السابق (ج57/8).
(5)المصدر السابق (ج309/2).
(6)ابن حجر،إنباء (ج317/1).
(7)المصدر السابق (ج90/1).

- عبد الوهاب بن يوسف محمود بن عبيد بن السلار بختيار الدمشقي، كان يتولى منصب رئاسة الإقراء بدمشق، عني بالعلم وأخذ عن النقي الصالح وجماعة، وكانت لديه معرفة بالفرائض والعربية و الفقه ، وصنف في القراءات مؤلفات مفيدة[1].

- شمس الدِّين الجزرى مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن على بن يُوسُف الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي ولد بِدِمَشْق سنة (751هـ/1351م) وَتوفى بشيراز سنة (833هـ/1430م) تولى عدة مناصب منها قضاء الشافعية بدمشق، وتدريس الصلاحية ببيت المقدس، والإقراء بتربة أم الصالح نجم الدين الأيوبي، وحضر الأعيان،دروسه فأثنوا عليه[2]، من تصانيفه جمع القراءات على السبعة والعشرة والاثني عشرة، أصول القراءات، و النشر في القراءات العشر، والعقد الثمين فِي أَلْغَاز الْقُرْآن الْمُبين،وغَايَة المهرة فِي الزِّيَادَة على القراءات الْعشْرَة،و كِفَايَة الألمعى فِي تَفْسِير آيَة يَا ارْض ابلعي، مُخْتَار النَّصِيحَة بالأدلة الصَّحِيحَة فِي المواعظ، و مُقَدّمَة الجزرية فِي التجويد،الْمُقدمَة فِيمَا على القارئ أن يُعلمهُ، النِّهَايَة فِي طَبَقَات الْقُرَّاء كبرى، و هِدَايَة المهرة فِي ذكر الأئمة الْعشْرَة المشتهرة وَغير ذَلِك[3].

- شهاب الدين أحمد بن صلاح بن عثمان بن علي (ت840هـ/1437م) من أشهر العلماء الذين تميزوا بعلم القراءات في الشام، فاهتم بعلوم القران منذ صغره فحفظ القرآن وكتباً في الفقه كالعمدة، فكان فصيحاً و قراءته سريعة، وتلقى تعليمه على يد أشهر علماء عصره كالشيخ زين الدين العراقي والغماري، والشيخ سراج الدين البلقيني، فتولى عدة مناصب منها التدريس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ومشيخة سعيد السعداء بالقاهرة، وبالعادلية فِي الْكَشَّاف وبالغزالية وبدار الحَدِيث الأشرفية وعدة وظائف إدارية[4] .

- شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الغزي الحلبي(ت826هـ/1423م).ولد سنة (738هـ/1338م) بغزة ، تعلم علم القراءات فبرع فيه، فلذلك اشتغل بالتلاوة والإقراء، فأقبل عليه طلاب العلم للاستفادة من علمه، وأعفى الطلاب الفقراء من دفع رسوم التعليم[5] .

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج92/2).

(2)المصدر السابق (ج3/ 75-287)،(ج30/2).

(3) الجزري، غاية النهاية(ج247/2)؛ البغدادي، هدية العارفين(ج187/2-188)؛ السيوطي، طبقات الحفاظ(ص549)؛ الغزي، ديوان الاسلام(ج114/2-115).

(4) ابن حجر ، إنباء (ج8- 432-434)؛السخاوي ، الضوء (ج 186/2 – 187)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 234/7)؛ العليمي الانس (ج 113/2).

(5) ابن حجر،إنباء(ج8/ 36)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 176/7).

- عز الدين محمد بن خليل بن هلال الحاضري الحلبي (ت824هـ/1421م) . رحل إلى دمشق وعاش بها، فحفظ نحو خمسة عشر كتاباً في عدة علوم منها القرآن، ثم انتقل إلى القاهرة لطلب العلم فجمع الْقرَاءَات السَّبع على الشَّمْس الْعَسْقَلَانِي وَأذن لَهُ فِي الإقراء بها، وكان إماماً بالقراءة وقد ولي قضاء بلده، واحتل مكانة مميزة عند السلطان المؤيد، فكان يكرمه حيث منحه قطعة أرض[1].

- شمس الدين محمد بن اسماعيل بن يوسف الحلبي (ت814هـ/ 1412م) اشتهر بقراءة القرآن، وبرع بذلك، وتميز بنسخ المصاحف، ومن كتاباته مصحف على الرسم العثماني، وخمسمائة نسخة بالبردي غالبها مخمس وكتب لبيان اصطلاحه فيها بالرسم العثماني[2] .

- شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد أبي الرضا الحلبي(ت791هـ/1389م)، قدم حلب فتولى التدريس ثم تولى القضاء بها، وكان من العلماء المشهورين في علوم القراءات، من كتبه نظم سمّاه عقد البكر في نظم غريب الذكر و شرح العضد ونظم غريب القرآن و القواعد والإشارات في أصول القراءات و الناسخ والمنسوخ وله حلقة للإقراء بجامع حلب، قرأ عليه طلبة العلم فاستفادوا منه[3] .

- شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز المراحل (ت788هـ/1386م)، ولد بالقاهرة،قدم حلب فقرأ وتفقه، حتى أصبح متقناً في علم القراءات، فبعد أن تعلم و سمع الرائية [4]و الشاطبية، أصبح مقرئ مشهور فكان الطلبة يقرءون عليه، وكتب بالإجازة لمن يتقن قراءته، وكتب بخطه الكثير من الكتب ومنها كتاب المطلب[5].

---

(1) ابن حجر،انباء (ج446/7–447)؛ السخاوي،الضوء(ج 232/7–233)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 168/7).

(2) ابن حجر،إنباء (ج41/7–42)، السخاوي، الضوء (ج 143/7 – 144).

(3) ابن حجر،إنباء (358/2 –360)؛ الدرر (ج1/ 268–269)؛ البغدادي، المكنون(ج4/ 104)؛ المقريزي، السلوك (270/5)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج34/2)؛ الزركلي، الاعلام للزركلي(ج187/1)؛ نويهض، معجم المفسرين(ج53/1).

(4) الرائية : نسبة إلى مؤلفها أبومحمدالشاطبي القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمدالرعينيّ، وهي قصيدة تبحث في رسم المصحف وأخت القصيدة الشاطبية ، وشرحها برهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري (ت733هـ) ينظر: القونجي، صديق بن حسن، ابجد العلوم،(ص474).

(5) ابن حجر، إنباء (ج226/2– 227) ؛الدرر (ج203/1)؛ ابن الجزري، غاية النهاية (ج 69/1)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 300/6).

- أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخى(ت800هـ/1398م)، ولد بدمشق، اهتم بعلم القراءات، كان ملازماًبجامع الأقمر، وتعلم الفقه بدمشق على شيوخها، ثم انتقل إلى القاهرة، وتولى مشيخة الديار المصرية فِي علم القراءات والإسناد، وتولى وظائف منها التدريس والافتاء[1].

- نور الدين علي بن محمد بن القاصح المقرئ (ت 801هـ/1399م) ، نزيل القاهرة نظم قصيدة في القراءات، وكان يقرأ في جامع المارداني، لَهُ العديد من المؤلفات منها الأمالى المرضية فِي شرح القصيدة العلويةُ [2]، ومصطلح الإشارات فِي الْقرَاءَات السِّت الزَّائِدَة عَن السَّبع المروية عَن الثقات وَالْقَصِيدَة العلوية فِي الْقرَاءَات السَّبع المروية[3].
- فخر الدين عثمان المخزومي البلبيسي(ت804هـ/1402م).كان إمام الجامع الأزهر، أتقن قراءات القرءان السبعة،فتولى رئاسة القراء وكان ضريراً، أقبل عليه طلاب العلم، حيث كانوا يرتحلون من كل مكان لطلب العلم وللقراءة عنده[4].
- صلاح الدين خليل بن عثمان بن عبد الرحمن(ت801هـ/1399م)، أقرأ الناس القرآن بالقرافة، وكانت له مكانة مميزة عند الملك الظاهر فكان محل ثقة، لهُ مصنفات في علوم القرآن منها كتاب تحفة الإخوان فِيمَا تصح فِيهِ تِلَاوَة الْقُرْآن، وألف كراساً في التجويد[5].

2. علم التفسير:

عرفه السيوطي بأنه: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثاله[6] .

تعد مادة التفسير مادة أساسية ومهمة، فتدرس لطلاب العلم في المراكز العلمية المنتشرة في العهد المملوكي، حيث تدرس في المدارس، فقد درس الشيخ سراج الدين البلقيني مادة التفسير بالمدرسة المنصورية عام (733هـ/1333م)[7]، وكذلك الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الأموي،

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج398/3- 400)؛ الدرر االكامنة (ج10/1)؛ المجمع المؤسس(ج 79/1-82).
(2) ابن حجر،إنباء(ج71/4-72)؛ البغدادي، هدية العارفين(ج727/1)؛ الضوء اللامع(260/5) .
(3) السخاوي، الضوء اللامع (ج260/5).
(4) ابن حجر،إنباء(ج36/5-37)؛ المجمع المؤسس(ج173/3-174).
(5) ابن حجر،إنباء(ج58/4)؛ البغدادي، هدية العارفين(ج353/1)؛ الجزري، غاية النهاية (ج276/1).
(6) الإتقان في علوم القران(ج2264/6).
(7) ابن حجر،إنباء(ج23/1).

كـان مدرسـاً لمـادة التفسـير فـي مـدارس الشـام، ومـن كتـب التفسـير التـي درسـها تفسـير الكشـاف للزمخشري[1].

كما يتم شرح التفسير في المساجد، ومثال ذلك كان أستاذ التفسير شهاب الدين أحمد بن عمر الحموي كان يلازم الجلوسفيالجامع، فشرح وفسر كتاب العضد ونظم غريب القرآن[2]، وعندما يتفوق الشيخ بالتفسير فيصبح في رئاسة علم التفسير[3].

نال علماء التفسير مكانة عالية عند سلاطين الدولة المملوكية، فتقلدوا مناصب عليا في الدولة[4]، كما برز العديد من العلماء في مصر وبلاد الشام، فتناول البحاث مادة التفسير بالتأليف واختصار كتب التفسير[5].

ومن أشهر العلماء الذين تميزوا بعلم التفسير:

- يوسف بن عبد الله الماrديني الحنفي (ت822هـ/1419م) قدم القاهرة ووعظ الناس بالجامع الأزهر، فكان يفسر آيات القرآن في دروسه الوعظية[6].
- محمد بن علي بن أحمد اليونيني، ولد سنة(707هـ/1308م)، برع في عدة علوم، ومنها علم التفسير،فتميز ولخص كتاب تفسير ابن كثير في أربع مجلدات وانتفع به طلاب العلم[7] .
- محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي، درس مادة التفسير بمدرسة المنصورية[8].
- بدر الدين محمود بن محمد، لازم الشيخ عز الدين ابن جماعة وغيره من الأئمة، درس مادة التفسير في عدة مدارس منها المؤيدية والأيتمشية، فتميز بمحاضراته الجيدة، وحظي بمكانة عظيمة عند الملك فكان مقرب منه[9].

---

(1) ابن حجر ، انباء (ج 432/8)؛ السخاوي ، الضوء (ج 186/2-187)؛ العليمي،الأنس(ج 113/2)؛ خليفة، كشف (ج 698/1)؛ ابن العماد، شذرات(ج 234/7).

(2) ابن حجر، إنباء(ج358/2-161)، السخاوي، وجيز (ج 290/1)، ابن العماد، شذرات (ج314/6-316)، الطباخ،إعلام (ج102/5-103).

(3) ابن حجر،إنباء(ج46/1).

(4)المصدر السابق (ج485/7).

(5)المصدر السابق (ج99/3).

(6)المصدر السابق (ج252/7).

(7)ابن حجر،انباء (ج99/3).

(8)المصدر السابق (ج226/1).

(9)المصدر السابق (ج485/7).

- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثيرالدمشقي، ولد سنة(700هـ/1301م)، وصنف مصنفات كثيرة في التفسير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التفسير[1].

- تقي الدين عبد الرحمن بن محمد يوسف الحلبي (ت786ه/1385م) . تميز في التفسير فكتب فيه، وسمع على الدلاصي وغيره من الشيوخ ، وولي نظر الجيش[2] .

- شهاب الدين أبو الخير أحمد بن عمر بن محمد أبي الرضا، كان أستاذاًفي التفسير، فكان يحافظ على الجلوس في الجامع حيث شرح وفسر كتاب (العضد) ونظم غريب القرآن[3].

- شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الحسباني الدمشقي (ت815هـ/1413م). ولد سنة (749هـ/1349م) اشتهر بعلم التفسير، فدرس بدار الحديث الأشرفية ودرّس بمدراس الامينية والاقبالية، وخطب بجامع التوبة، وكان يفسر القران في حلقة بالجامع الأموي، و ألّف كتاب في التفسير كتاب (جامع التفاسير)[4].

- محب الدين محمد بن محمد بن محمود أبو الوليد بن شحنة (ت815هـ/1413م). تولي قضاء الحنفية بحلب ثم دمشق، كان مفسراً، فدرس بمدارس دمشق، كتب عدة كتب في مجال علم التفسير، ومن مؤلفاته كتاب شرح الكشاف للزمخشري في التفسير و كتاب تنوير المنار[5].

- محمد بن يعقوب بن أبي بكر الفيروز آبادي (ت817هـ/1415م).ولد سنة (729هـ/1329م) بكازرين (من أعمال شيراز) قدم الشام ثم أقام بالقدس، ثم مصر؛ فطلب العلوم الدينية، فألف عدة مؤلفات في علم التفسير فأصبحت مرجعاً مهماً لطلاب العلم، فمنها بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز في مجلدين، و الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم و تفسير الفاتحة في مجلد كبير، و تنوير المقياس على تفسير ابن

---

(1)المصدر السابق (ج45/1-46).

(2) ابن حجر،إنباء (ج171/2)؛المقريزي، السلوك (ج165/5)؛ ابن تغري بردي، المنهل(ج210/7).

(3) ابن حجر، إنباء ،(ج358/2-161)؛ ابن العماد ، شذرات (ج314/6-316).

(4) ابن حجر،إنباء (ج 78/7-80)؛ العيني،عقد الجمان (ج 157/1)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج 10/4-11)؛ البغدادي، هدية العارفين(ج120/1)؛ ابن تغري بردي، المنهل (ج1/ 242-252)؛ السخاوي ، الضوء (ج237/1-239)؛ الداوودي ، طبقات المفسرين (ج31/1-32).

(5) ابن حجر ، إنباء (ج 95/7-97)؛ البغدادي ، هدية (ج180/2)؛ كحالة ، معجم المؤلفين (ج295/11-296) .

عباس في أربعة أسفار ضخام وهو تفسير مهم، و كورة الخلاص في تفسير سورة الإخلاص و شرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف[1].

- شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني(ت816هـ/1414م). ولد بقرية باعونة[2] من قرى عجلون[3] سنة (751هـ/1351م)، ونشأ بدمشق وولي خطابة جامع بني أمية فيها، وولي القضاء بدمشق، ثم الخطابة ببيت المقدس، وتميز بقوة الذكاء والحفظ، وله ومن مصنفاته ألف كتابٍ في التفسير، ودرس مادة التفسير في المدارس، فاشتهر بمحاضرته المميزة، وكانت يتمتع بمكانة خاصة عند السلطان الظاهر[4].
- جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (ت824هـ/1421م). ولد بالقاهرة سنة (763هـ/1362م)، وتميز بقوة الحفظ، فحفظ القرآن وعدة كتب، ومهر بالتفسير فكانت له حلقة في المسجد فيعظ الناس كل يوم جمعة، اشتغل في مجال التدريس فدرس علم التَّفْسِير في المدرسة البرقوقية وجامع ابْن طولون و بمدارس الشريفية و الخشابية وغيرهما[5].
- تقي الدين الحصني أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن (ت829هـ/1426م) . قدم دمشق وسكن المدرسة البادرائية، أخذ عن الشيخ بدر الدين بن مكتوم والشيخ شرف الدين الشريشي،

---

(1) ابن حجر ، انباء (ج7/ 159– 164)؛ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية (ج 4/63–67)؛ هدية العارفين(ج180/2– 182).

(2)باعون قَرْيَة صَغِيرَة من قرى حوران بِالْقربِ من عجلون،سميت الْقرْيَة باعونة من أجل أَنه كَانَ موضعهَا دير لِلنَّصَارَى اسْم راهبة باعونة فَلَمَّا أزيل الدَّيْر وعملت الْقرْيَة مَكَانَهُ عرفت بِهِ، السخاوي، الضوء اللامع (ج2/ 232)– (1/ 26).

(3) عجلون: قلعة من جند الأردن مبنية على جبل عوف تشرف على الغور، بناها عز الدين أسامة بن منقذ أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة(580هـ/1185م) وكان مكانها ديربه راهب اسمه عجلون فسميت، القلقشندي، صبح الأعشى (ج4/ 109).

(4) ابن حجر،إنباء (ج 124/7 –127)؛ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج19/4– 21)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج124/14)؛ السخاوي، الضوء (ج 231/2–223).

(5) ، ابن حجر،إنباء (ج440/7–441)؛ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج 87/4–89)؛ السخاوي، الضوء (ج106/4– 313)؛ الداوودي، طبقات المفسرين (ج 282/1–283).

تميز في علم التفسير، فكان مدرس يدرس الطلبة بدمشق، ومن مصنفاته كتاب تأديب القوم و مجلد فسر فيه آيات متفرقة ومجلد في سير السالك وتنبيه السالك على مسار المسالك[1].

ثانيا: علم الحديث:

يقصد به كل ما اشتمل على أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته و صفاته ورواياته وضبطها و تحرير ألفاظها[2]

اهتم المماليك في مصر وبلاد الشام بعلم الحديث، ولاقى تشجيعاً من قبل السلطان فكانت تقرأ كتب الحديث على عامة الناس، ككتاب صحيح مسلم وبخاري، بحيث يتم وعظهم[3]،أو بحضرة السلطان[4].

كان عالم الحديث يحظى بتقدير واحترام من قبل السلطان، فكان السلطان أحياناً يزورهم في بيوتهم، وكان عالم الحديث يحضر مجلس السلطان، فهذا أدى إلى ازدهار علم الحديث في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، وقد توافد طلبة العلم من بقاع البلاد الإسلامية المختلفة إلى مصر وبلاد الشام لتعلم الحديث[5]، وعكف على دراسته شرائح مختلفة من المثقفين من الفقهاء و المؤرخين و الأطباء و الأدباء، وقد يجمع رجل الحديث بين علوم مختلفة، فيكون أديباً ومؤرخاً و عارفاً بالنحو واللغة[6]، وأنشأت دور الحديث برعاية سلاطين المماليك[7].

يعتمد علم الحديث على تحقيق معاني المتون وتحقيق الإسناد والعلل[8]،وجعلت مادة الحديث في العهد المملوكي مادة أساسية تدرس في المدارس على أيدي أشهر العلماء[9]، وأصبحت كتب الحديث محل اهتمام طلبة العلم والعلماء من حيث البحث والدراسة وتأليف الكتب المختلفة و

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج110/8 – 111)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات (ج 76/4–77)؛ الشوكاني، البدر (ج 166/1).

(2) السيوطي،تدريب الرواي(ج101/2)؛الجرجاني، التعريفات (ص12).

(3) ابن حجر،إنباء (ج165/5).

(4)المصدر السابق (ج45/8).

(5)المصدر السابق (ج259/3).

(6)المصدر السابق (ج292/8–293).

(7)المصدر السابق (ج76/3)

(8) القاسمي، محمد،قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث(ص76)؛ الحكمي، دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح(ص141).

(9) ابن حجر،إنباء (ج397/8–398).

شرحها بل واختصارها[1]، والجمع بينها[2]، و من العلماء الذين برزوا في مجال اختصار كتب الحديث، شمس الدين محمد بن أبي يعقوب القدسي: اختصر الاستيعاب وسماه الإصابة، وجمع مجاميع[3].

كان طلبة العلم يحفظون الحديث الشريف، ويسمعونه على شيوخهم، و يشترط العلماء على راوي الحديث بأن يكون مجاز من شيخه حتى يستطيع أن يرويه[4]. فمنح الإجازة لمن يروي الحديث النبوي، فهذا دليل على أهميته وحرصهم على أن راوية الحديث لاتؤخذ إلا من يجيدها.

حرصا على نشر كتب السنة والحديث، وليستفيد منها طلاب العلم؛ فقد تولى النساخ على نسخ كتب الحديث كالبخاري[5]، ومن الملاحظ بأن انتشار مهنة نسخ الكتب، كانت نتيجة، الإقبال على شراء كتب الحديث، ومن ثم حفظها وشرحها واختصارها، فهذا يدل على ازدهار العلوم الشرعية وحرص الناس على تعلم أحكام دينهم.

عكف طلاب العلم والعلماء على قراءة وشرح أمهات كتب الحديث الستة منها صحيح بخاري وصحيح مسلموسنن الترمذي وسنن ابن ماجة وسنن النسائي[6]؛ فلذلك تعددت مراكز تدريس الحديث، مثل دار الحديث الأشرفية[7]، ودار الحديث المقدسية[8]، ودار الحديث البهائية[9].

توافد طلاب العلم من أنحاء البلاد الإسلامية وخصوصاً من بلاد المغرب العربي، لتعلم الحديث[10]، فكان يدرس الحديث في المساجد على يد الشيوخ[11]،وكان شرط تولي مشيخة الحديث أن يكون أعلم أهل البلد في الحديث[12]؛فهذا أدى إلى تخريج جيل من العلماء، الذين أسهموا في

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج279/3).

(2)المصدر السابق (ج161/8).

(3)المصدر السابق (ج279/3).

(4)المصدر السابق (ج351/3).

(5)المصدر السابق (ج165/5).

(6)المصدر السابق (ج93/8) (ج5- 44).

(7)المصدر السابق (ج76/3).

(8)المصدر السابق (ج136/3).

(9)المصدر السابق (ج250/7).

(10)ابن حجر،إنباء (ج324/8).

(11)المصدر السابق (ج328/3).

(12)المصدر السابق (ج76/2).

تأليف الكتب، التي أفادت المجتمع المملوكي، بالتالي ازدهار علم الحديث و نشره في بلادهم ومثال ذلك:

فقد صنف شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن المراحل كتاب (المطلب)[1]، ولأبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، من مؤلفاته في علم الحديث: نظم الدرر السنية في السيرة الزكية، الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، منظومة تفسير غريب القرآن، ألفية في علوم الحديث، والمغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار ،الْمُهِمَّات فِي الأسماء للبهمة الْوَاقِعَة فِي متون الأحاديث والأسانيد،الْمُسْتَفَاد من مبهمات الْمَتْن والأسناد، كتاب مَا ضعف من أحاديث الصَّحِيحَيْنِ وَالْجَوَاب عَنهُ، شرح نظم الاقتراح لوالده فِي الحَدِيث، شرح تقريب الأسانيد لوالده، الْجَوَاهِر البهية شرح أربعين النووية، أربعين فِي الْجِهَاد بِدُونِ الإسناد[2].

– محمد بن يعقوب بن أبي بكر الشيرازي الفيروز أبادي، صنف للملك ناصر كتاباً سماه تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول، والإصعاد على رتبة الاجتهاد في أربعة أسفار، وشرع في شرح مطول على البخاري ملأه بغرائب المنقولات، وشرح في كتاب صحيح البخاري[3] .

كذلك ألف شمس الدين محمد بن عطا الله الهروي (ت829هـ/1426م) (المنعم بشرح الجامع الصحيح لمسلم) و (شرح مشارق الانوار) و (شرح الجامع الكبير) و (شرح مصابيح السنة للبغوي)[4].

وألف شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (الهداية في فنون الحديث) و(الأربعين في الحديث) و (تذكر العلماء في أصول الحديث) والأولوية في احاديث الأولية وَعقد اللآلئ فِي الْأَحَادِيث المسلسلة العوالي والمسند الأحمد فِيمَا يتَعَلَّق بِمُسْنَد أَحْمد والْقَصْد الأحمد فِي رجال مُسْنَد أَحْمد والمصعد الأحمد فِي ختم مُسْنَد أَحْمد[5].

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج226/2)؛ الدرر (ج 203/1-204)؛ ابن الجزري، النهاية(ج69/1)؛ ابن العماد، شذرات (ج 300/6).

(2)ابن حجر،إنباء (ج21/8)؛ الدرر(ج82/4)؛البغدادي، هدية العارفين(ج123/1)؛ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج 80/4-82)؛كحالة، معجم المؤلفين(ج204/5).

(3) ابن حجر،إنباء (ج159/7-164)،ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية (ج 63/4-66)؛ السخاوي ، الضوء(ج79/10-86) ؛ وجيز (ج 434/2).

(4) ابن حجر،إنباء (ج 113/8)؛ البغدادي،هدية العارفين(ج186/2)؛ كحالة، معجم(ج294/10) .

(5) ابن حجر،إنباء(ج317/4)؛ السخاوي، الضوء(ج257/9)؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ (ج549/1)؛ البغدادي، هدية(ج187/2)؛ابن العماد، شذرات(ج34/7).

علي بن حسين بن عروة أبو الحسن الدمشقي (ت837هـ/1434م) من تصانيفه الكوكب الدريّ في ترتيب مسند الإمام أحمد علي أبواب البخاري وشرحه في مائة وعشرين مجلداً[1].

ومن أشهر المحدثين في مصر وبلاد الشام:

- صدر الدين محمد بن علي بن منصور ناصر الدمشقي (ت876هـ/1472م)، ولد بدمشق سنة (707هـ/1308م)، كان إماماً عالماً، حيث أخذ علم الحديث من مجموعة من العلماء منهم البرهان بن عبد الحق وعلاء الدين القونوي، رحل إلى مصر وولي قضاء مصر سنة (783هـ/1382م)، وحدث بالقاهرة بصحيح البخاري، ودرّس في أماكن مختلفة منها المدرسة الصرغتمشية[2] وغيرها، فكانت محاضراته متميزة[3] .

- كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري نسبة إلى النويرة في القاهرة (ت786هـ/1385م). ولد سنة (722هـ/1322م) بمصر، رحل إلى دمشق لطلب العلم، فسمع الحديث من ابن النقيب والمزي وغيره من العلماء، وانتقل إلى مكةفتولى بها منصب القضاء والخطابة، وكان فقيهاً ومحدثاً ومدرساً، فكان يشرح كتاب مسلم للنووي[4].

- شمس الدين القرمي محمد بن أحمد بن عثمان التركستاني(ت787هـ/1385م). نزيل بيت المقدس، ولد عام (726هـ/1326م) بدمشق.قام بعدة رحلات، إلى الحجاز واليمن ثم أقام في القدس فبنيت له زاوية، وكان محدثاً كثير العبادة والزهد وكانمحل ثقة الملوك وعامة الناس، فكانوا يرحلون إليه للاستفادة من علمه، توفي ببيت المقدس[5].

- برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة (ت790هـ/1388م). ولد بمصر عام (725هـ/1325م). أكثر من سماع الحديث بمصر والشام، فرحل الى الشام

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج 527/3)؛ المقريزي،السلوك(ج273/7)؛السخاوي ، الضوء (ج 214/5)؛ وجيز (ج533/2)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج193/15)؛ ابن العماد ، شذرات(ج 222/7).

(2) تقع خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون، كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون، فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصريّ رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ في بناء المدرسة (756هـ/1355م)، ودرس فيها العلوم المتنوعة، المقريزي، الخطط والاعتبار(ج264/4)..

(3)ابن حجر،إنباء (ج 178/2–179)؛ ابن تغري بردي، النجوم (ج 302/11)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 293/6.)؛ بن شاهين، نيل الأمل(ج214/2).

(4) ابن حجر،إنباء(ج 174/2–176)؛ الدرر(ج55/5)؛ ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية (ج 163/3).

(5) ابن حجر،إنباء(ج 240/2–241)؛ الدرر(ج 65/5)؛ السخاوي، السلوك(ج193/5)؛ ابن العماد، شذرات (ج 303/6–304).

لطلب العلم وسماع الحديث، فلازم أشهر العلماء أمثال المزي والذهبي، كما ولي خطابة القدس حيث كان تدريسه رائع وإلقائه للدرس حسن درّس في مصر والقدس بمدرسة الصلاحية، وولي القضاء بمصر ثم بالشام[1] .

- شهاب الدين أبو الخير أحمد بن عمر الحموي. (ت791هـ/1389م). قدم حلب، و رحل الى دمشق فكان يحب علم الحديث فبرع فيه، وقرأ على أهلها وكان يحافظ على الجلوس في المسجد فيشرح الأحاديث النبوية مثل كتاب مسلم للنووي ومعالم السنن للخطابي، ويعظ الناس وينهى عن المنكر، ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل بها، ورجع إلى حلب فولي القضاء فيها[2].
- جمال الدين عبد الله بن ابراهيم بن خليل بن الشرايحي (ت820هـ/1418م). ولد سنة (748هـ/1348م) بدمشق سمع الحديث الشريف من علماء عصره،أخذ عن الشيخ جمال الدين بن بردش وغيره، فصار مشهوراً في معرفة الأجزاء والمرويات ورواتها والعالي[3] والنازل[4]، وحدث بصحيح مسلم بمصر والشام؛ فتولى تدريس الحديث بدار الحديث الاشرفية، ثم انتقل إلى مصر لطلب العلم الشرعي[5].
- شمس الدين محمد بن أحمد بن موسى العجلوني الدمشقي (ت831هـ/1428م). ولد سنة (757هـ/1356م) في دمشق، حفظ الفروع، وأفتى ودرس بعدة مدارس، شرح صحيح

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج2/292-294)؛ الدرر(ج 1/40-41)؛ابن تغري بردي، النجوم (314/11) ؛ ابن العماد ، شذرات (ج 311/6)؛ الطباخ، اعلام (ج 99/5).

(2) ابن حجر،إنباء ،(358/2-361)؛ الدرر(ج268/1-271)؛ المقريزي،السلوك (ج 270/5)؛ ابن العماد، شذرات (ج 314/6-316)؛ الطباخ،إعلام (ج 102/5-103) .

(3)هو الحديث الذي قلَّ عددُ رواته، مع سلامته من الضعف، فيقرب رجال سنده من الرسول، أو من إمام من أئمة الحديث ، بدر الدين، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص69).

(4) كثرة رجال السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الحكمي،شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون (ج13/ 27).

(5) ابن حجر،إنباء (ج286/7)؛ السخاوي،الضوء (ج 2/5-3)؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام(ج184/3)؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ (ج 547/1)؛ ابن العماد، شذرات(ج146/7).

البخاري في ستة مجلدات سَمَّاهُ التَّلْوِيح، وَاخْتصرَ شرح البُخَارِيّ لِابْنِ الملقن فِي أَربع مجلدات، والكرماني في ثلاثة مجلدات، ثم انتقل إلى مصر لطلب العلم وقد حدّث بها[1].

- شمس الدين أبو القاسم محمد بن علي بن عبد الله اليمني(776هـ/1375م) ، أقام بمصر لازم شيخ الشافعية العز الدين بن جماعة[2]، ولي منصب مشيخة القراءات بالشيخونية، كان مفتياً و يستحضر أشياء من فقه الشافعية من كتاب البيان، وكان يرويه بإسناد له، وصنف كتاباً من غريب الحديث وأسماء الرجال[3].
- تاج الدين محمد بن ناصر الدين بن محمد الكركي المقدسي (ت835هـ/1432م) . المعروف بابن الغرابيلي ولد في القاهرة سنة (796هـ/1394م) وكان محدثاً و حافظاً، ارتحل إلى القاهرة ودمشق؛ لطلب العلم والحديث، ولازم علماء بلاده كابن حجر العسقلاني وذلك للسماع والحديث، فأقبل على الحَدِيث وعرف العالي والنازل وَقيد الوفيات، وشرح مختصر الإلمام، كذلك حفظ عدة مختصرات كالكافية لابن الحاجب، والمختصر الأصلي والإلمام والألفية في الحديث [4].
- عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن رسلان (ت785هـ/1384مـ). ولد في بعلبك سنة(720هـ/1320مـ) . فكان محدثاً، رحل إلى دمشق؛ وذلك لطلب علم الحديث، فسمع صحيح مُسلم وَالشَّمَائِل لِلتِّرْمِذِي وجزء ابْن عَرَفَة، كما أخذ عن مشايخها، كتب الكثير منها النهاية في غريب الحديث لابن الأثير وطبقات الحفاظ للذهبي، وانتفع الرحالة من علمه، وأجاز الى عدد من طلبة العلم منهم ابن حجر العسقلاني[5] .

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج 160/8–161)؛ابن قاضي شهبه طبقات الشافعية (ج 99/4–100)؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام(ص76)؛ السخاوي، الضوء (ج 111/7).

(2) هو الحافظ الإمام قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدمشقي المولد ثم المصري الشافعي(694–767هـ)(1294–1366م)، ولي قضاء مصر عام (739هـ/1339م)، له العديد من المؤلفات منها تخريج أحاديث الرافعي، وسيرة كبرى وصغرى، والمناسك على مذاهب الأربعة، والمناسك الصغرى،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (ج7/ 301–302).

(3) ابن حجر،إنباء(ج140/1)؛ الدرر (ج324/5)؛ ابن العماد،شذرات(ج248/6–249).

(4) ابن حجر،إنباء(ج269/8–217) ؛ السخاوي، الضوء (ج 306/9–308)؛السيوطي، طبقات(ج550/1)؛ ابن العماد، شذرات (ج 215/7)؛ ابن الغزي، ديوان(ج 398/3)؛ كحالة، معجم (ج 296/11).

(5) ابن حجر،إنباء (144/2– 145)، السخاوي،الضوء(ج142/7)؛ ابن العماد، شذرات (ج 287/6)؛ كحالة، معجم (ج290/2).

- ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن التقي المقدسي (ت803هـ/1401مـ) سمع على الشُّيُوخ بالصالحية، كذلك سمع العالي والنازل وَخرج الحديث و ذكر الأسماء والعلل، رتّب المعجم الأوسط على الأبواب للإمام الطبراني (ت360هـ/971م) وصحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت354هـ/965مـ) وقال ابن حجر عنه " رافقني كثيرا وأفادني من الشيوخ والأجزاء ولم أر من يستحق أن يطلق عليه اسم الحافظ بالشام غيره "[1] .

- بدر الدين المنهاجي محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة (745هـ/1345م)، وسمع من مغلطاي وتخرج به في الحديث، وبرع بالفقه ورحل إلى دمشق فتفقه بها، وأقبل على التصنيف فكتب بخطه كثير من الكتب، ومن تصانيفه : تخريج أحاديث الرافعي في خمس مجلدات وخادم الرافعي في عشرين مجلدة ، وتنقيحه للبخاري في مجلدة ، وشرع في شرح كبير لخصه من شرح ابن الملقن، وزاد عليه معلومات كثيرة، وشرح جمع الجوامع في مجلدين وشرح المنهاج في عشرة، ومختصره في مجلدين و شرح الأربعين النووية ، ومجلد من شرح البخاري له مسودة ، ومن تذكرته أربع مجلدات والمعتبر في تخريج ابن الحاجب، والمختصر والكلام على علوم الحديث ، وله استدراك عائشة على الصحابة ، والفوائد المنثورة في الأحاديث المشهورة ، والديباج على المنهاج ، والفوائد على الحروف وعلى الأبواب، ومختصر الخادم وسماه تحرير الخادم وقيل لب الخادم ، وله على العمدة [2] .

- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، لازم الشيخ زين الدين العراقي وهو صغير فسمع معه من مجموعة من كبار المشايخ المصريين والشاميين، وكان يرافقه في رحلاته، وتخرج به في الحديث وقرأ عليه أكثر تصانيفه وكتب عنه جميع مجالس إملائه، وخرج زوائد الكتب الستة مسند أحمد والبزار وأبي يعلى ومعاجم الطبراني الثلاثة مفردات ثم جمعها في كتاب واحد محذوف الأسانيد وجمع ثقات ابن حبان فرتبها على حروف المعجم وكذا ثقات العجلي ورتب الحلية على الأبواب وصار كثير الاستحضار للمتون جداً لكثرة الممارسة وكان بالتدين يخدم الشيخ ويكتب الحديث ويوصفه ابن حجر بقوله " وكان سليم الفطرة كثير الخير كثير الاحتمال للأذى خصوصاً من جماعة الشيخ قرأت عليه الكثير قريناً للشيخ ومما قرأت عليه بانفراده نحو النصف من مجمع الزوائد له ونحو الربع من زوائد مسند أحمد ومسند جابر من مسند أحمد وغير ذلك وكان يودني

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج325/4-326)؛ السخاوي ، الضوء (ج 301/300/7)؛ وجيز (ج 358/1)؛ ابن العماد ، شذرات (ج36/7).

(2) ابن حجر،إنباء (ج138/3- 141).

كثيراً ويشهد لي بالتقدم في الفن جزاه الله عني خيراً وكنت قد تتبعت أوهامه في كتابه مجمع الزوائد فبلغني أن ذلك شق عليه فتركته رعايةً له؛ مات في شهر رمضان" [1] .

ونلاحظ مماسبق أن علم الحديث، كان له أهمية كبيرة في العصر المملوكي؛ لذلك تسابق العلماء على دراسته وتصنيف الأحاديث وشرحها وتأليف الكتب، والتي تفيد في نشر السنة النبوية والتي هي سبب في نهضة الأمة.

ثالثاً: علم الفقه:

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهية والإباحة وهي استخراج الأحكام من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة[2].

شهد علم الفقه نشاطاً واسعاً في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، فحظي باهتمام المؤسسة المملوكية، وتركز هذا النشاط في المدارس والجوامع والمراكز العلمية الأخرى، حيث دُرست المذاهب الأربعة في المراكز العلمية، فكان يدرس علم الفقه على المذاهب الأربعة الشافعي و الحنبلي والحنفي والمالكي، وكان المذهب الشافعي هو الأكثر شيوعاً، حيث يعتبر مادة رئيسية يتم تدريسها للطلبة[3]، وكان طلبة العلم يتسابقون في حفظ كتب الفقيه[4]، ويتناقشون في المسائل الفقهية مع الشيخ[5]، وكان الطالب يتنقل بين الشيوخ ليتلقى على أيديهم دروس الفقه، حتى يصبح ماهراً ويترقى، وعندها يتولى مناصب رفيعة كنيابة الحكم، و يتولى وظيفة القضاء في بلاده[6].

حفلت بلاد الشام ومصر بالتخصص بتدريس مذهب بعينه، كذلك انتشرت الحلقات الفقهية في المساجد[7]، وكان الشيخ يدرس الطلبة حسب مذهبه[8].

ارتفعت مكانة الفقيه في الدولة المملوكية، لذلك تقلد الفقيه مناصب عليا في الدولة[9]، وكان الفقيه في نفس الوقت يتولى الإفتاء، ويفيد الناس ويتميز بكثرة الاطلاع، ويعرف حل المشكلات،

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج256/5-260).

(2) المقدمة (ص255)؛العبر (ج368/1)؛ زادة، مفتاح (ج 183/2).

(3) ابن حجر،إنباء (ج239/1)؛الطراونة، الحياة الاجتماعية(ص72).

(4) ابن حجر،إنباء (ج25/2).

(5)المصدر السابق (ج243/8).

(6)المصدر السابق (ج267/8).

(7)المصدر السابق (ج22/1).

(8)المقريزي، المواعظ(ج56/4).

(9) ابن حجر،إنباء (ج160/8).

صحيح الفهم، سريع الإدراك[1]، كما يمتاز بمهارته بالعلوم الأخرى كالشعر وينظم القصائد والحديث[2]،ولكي يصبح الشخص فقيهاً، فيشترط بأن يجاز من قبل الشيوخ والعلماء[3].

ومما يدل على تقدم علم الفقه في مصر والشام إبان العصر المملوكي، فقد زارها العلماء والفقهاء، فكان طلاب العلم يتسابقون للاجتماع بهم ليحظوا بأكبر قدر من العلم[4]، كذلك أسهم مجموعة من العلماء في انجاز مادة ضخمة ساهمت في ازدهارعلم الفقه، مثل التأليف والتصنيف، واختصار الكتب الفقهية[5]، **ومن أشهر المذاهب الفقهية في مصر والشام:**

1. المذهب الحنفي:

اشتهر العديد من العلماء الذين تبنوا هذا المذهب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي فمن أبرزهم:

- جلال بن أحمد بن يوسف بن طوع رسلان الثيري (ت793هـ/1391م)، فبرع في العربية والفقه، حيث تفقه على علماء عصره، درس المذهب الحنفي في مدرسة الصرغتمشية والأمير ألجاي لجهية وغيرها، فاستفاد الطلبة من علمه، وتخرج منهم الفقهاء، وعرض عليه القضاء مراراً فرفض، من مصنفاته منهاج الشريعة في شرح منار الأنوار للنسفي في أصول الفقه، نظم في الفقه منظومة، وشرحها في أربع مجلدات، وعلق على البزودي ، واختصر شرح البخاري لمغلطاي، وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول، وعلق على المشارق والتلخيص، وصنف في منع تعدد الجمعة، وفي أن الإيمان يزيد وينقص[6].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج25/2).

(2)المصدر السابق (ج292/8).

(3)المصدر السابق (ج208/8).

(4)المصدر السابق (ج290/8).

(5)المصدر السابق (ج223/1).

(6) ابن حجر،إنباء (ج87/3-88)؛ المقريزي، السلوك(ج288/2)؛ **ابن تغري بردي**،المنهل(ج350/5)؛ الظاهري، نيل الأمل(ج304/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج328/6)؛ البغدادي، هدية(ج167/1-168)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج157/4).

- بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة الماريديني (ت837هـ/1434م) . ولد سنة (758هـ/1357م) كان فقيهاً، حيث كان يحفظ عدة مختصرات، وتولى مهنة التدريس في عدة مدارس، ومن مؤلفاته مختصر موضوعات ابن الجوزي[1] [2] .
- عز الدين محمد بن خليل بن هلال الحاضري (ت875هـ/1471م). ولد عام(747هـ/1347م). كان عالم بالفقه،فكان يحفظ الكتب من مختلف العلوم، وقد ولي القضاء بحلب، وكان قدره عالي عند السلطان، من مؤلفاته مكارم الاخلاق و شرح على التوضيح و شروح على الشذورو حاشية على المغني[3].
- محيي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر الله أبي الوفاء، أبو محمد القرشي(ت775هـ/1374م)، ولد عام(669هـ/1271م) فقد تخصص في دراسة الفقه، فتولى مهنة تدريسه وألف مؤلفات منها البستان في فضائل النعمان، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، والدرر المنفية في الرد على ابن أبي شيبة عن الإمام أبي حنيفة، كما شرح عدد من الكتب منها الهداية وسماه العناية وشرح معاني الآثار للطحاوي، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية وغير ذلك[4].
- شمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمن الزمردي (ت776هـ/1375م) كان فقيهاً، حيث درس بجامع ابن طولون المذهب الحنفي، تولي عدة مناصب منها قضاء العسكر وإفتاء دار العدل، ومن مؤلفاته في مجال الفقه الغمز على الكنز[5].

---

(1) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي(ت597هـ/1201م)، كان علاّمة عصره في الحديث و الوعظ. صنف العديد من الكتب في مختلف العلوم، منها " زاد المسير في علم التفسير " ، وفي الحديث الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، و" المنتظم " في التاريخ،ابن خلكان، وفيات الأعيان (3/ 140).

(2) ابن حجر،إنباء (ج320/8– 321)؛ ابن تغري بردي، المنهل (ج 208/1)؛ بن شاهين، نيل الأمل(ج340/4)؛ ابن العماد، شذرات(ج123/7) .

(3) ابن حجر،إنباء (ج 483/7)؛ السخاوي، الضوء (ج9/ 81)؛ ابن العماد، شذرات (ج 168/7)؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام (ج159/2)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج292/9) .

(4) ابن حجر،إنباء(ج86/1–87)؛ الدرر(ج191/3–192)؛ البغدادي، هدية(ج316/1)؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ(ص105)؛ بن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول(ج57/2–58 ابن العماد، شذرات(ج238/6).

(5) ابن حجر،إنباء(ج137/1–139)؛الدرر الكامنة(ج248/5– 249)؛السخاوي، وجيز(ج208/1)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج248/6).

- شرف الدين أحمد بن علي بن منصور الدمشقي(ت782هـ/1381م) ولي القضاء بدمشق ومصر ودرس الفقه، حيث كان عارفاً بالأصول والفروع واختصر المختار في الفقه وسماه التحرير ثم شرحه[1].
- أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي(ت786هـ/1385م) اشتغل بالعلم ورحل الى حلب، فقد درس بالمدرسة الساوجية، اهتم بالفقه والأصول فترأس الفقهاء بمصر، وكانت له مكانة عظيمة عند السلطان برقوق، وله عدة مصنفات منها العناية في شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، السراجية في الفرائض، وشرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة[2] .
- محب الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة (ت815هـ/1413م) . ولد في حلب سنة (749هـ/ 1349م) أفتى ودرس مذهب الحنفية بدمشق والقاهرة وحلب، كذلك ولي قضاء الحنفية بحلب ثم دمشق ثم بالقاهرة، ومن مؤلفاته أوضح الدليل والأبحاث فيما تحل به المطلقة بالثلاث و المناظر في علم الأوائل والأواخر ونظم ألف بيت في عشرة علوم منها الفقه والأصول والتفسير [3].

2. المذهب المالكي:

برز عدد من الفقهاء في بلاد الشام ومصر في العهد المملوكي ومن أشهرهم :

- أمين الدين محمد بن علي بن الحسن الأنفي (ت786هـ/1385م)، ولد سنة (713هـ/1314م) عني بالفقه والحديث، فسمع من الحجار والبندنيجي وأسماء بنت صفدي والمزي، ولي مشيخة الحديث بالناصرية ومشيخة الخانقاه النجمية، وأحبه الناس

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج21/2-22)؛ الدرر(ج260/1- 262)؛ البغدادي، هدية(ج60/1)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج273/6)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج24/2).

(2) ابن حجر،إنباء(ج179/2-181)؛ الدرر(ج1/6)؛المقريزي، السلوك(ج173/5)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج302/11-303)؛السخاوي، الضوء(ج81/9)؛ابن الغزي، ديوان(ج5/1)؛ ابن العماد، شذرات(ج293/6)؛ بن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول(ج219/2)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج298/11).

(3) ابن حجر،إنباء(ج144/1)؛ ابن تغري بردي، النجوم (ج 114/14)؛ المقريزي، السلوك(ج315/2)؛ الضوء (ج 3/10)؛البغدادي، هدية العارفين(ج41/2)؛ ابن العماد، شذرات (ج 113/7-114)؛ ابن الغزي، ديوان (ج 57/1)، كحالة، معجم المفسرين(ج619/2) .

فحرصوا على مجالسته، تولى قضاء المالكية في حلب أربع سنين، ثم رجع إلى دمشق فناب عن الماروني[1].

- شرف الدين يحيى بنعبد الله الرهوني(ت773هـ/1372م) من أئمة المالكية، درس المذهب المالكي بالشيخونية ودرس الحديث في مدرسة الصرغتمشية وأفتى، له عدة مؤلفات منها تاريخ حسن[2].

- ناصر الدين أحمد بن محمد الزبيري(801هـ/1399م) تفقه واشتغل ومهر في عدة علوم ولاسيما في العربية، ولي قضاء المالكية في الإسكندرية، له عدة مصنفات منها، شرح التسهيل وله تعليق على مختصر ابن الحاجب [3].

- شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدميري المالكي(ت843هـ/1440م) وكان من العلماء المشهورين، فكان يستحضر الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان وغيرها من العلوم، فصيحاً عارفاً بالشروط والأحكام، تولى في نيابة قضاء المالكية في القاهرة[4].

3. المذهب الشافعي:

انتمى عدد لا بأس به من الفقهاء على ذلك المذهب، أهمهم:

-ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت826هـ/1423م)، ولد سنة (762هـ/1361م) بمصر، رحل إلى الشام سمع من أشهر شيوخها، ولي قضاء الشافعية، درس بعدة أماكن منها المسجد الطولوني، وتولى مشيخة الجماليةله العديد من المؤلفات منها حاشية على الكشاف، وصنف النكت على المختصرات الثلاثة، فأقبل عليه الطلبة بالقراءة والنسخ[5].

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج 177/2-179)؛ الدرر(ج315/5-316)؛ المقريزي، السلوك (ج 379/2)؛ ابن العماد، شذرات (ج 292/6-293).

(2) ابن حجر، إنباء(ج36/1)؛ الدرر(ج189/6)؛ المقريزي، السلوك(ج278/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج394/8)؛ بن شاهين، نيل الأمل(ج40/2).

(3) ابن حجر،إنباء (ج46/4-48)؛ السخاوي، الضوء(ج89/2-90)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج10/13).

(4) ابن حجر،إنباء (ج78/9)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج242/7)؛ بن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول(ج52/5).

(5)ابن حجر،إنباء (ج21/8-22)؛ ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية (ج80/4-82)؛ السخاوي، الضوء(ج336/1-337)؛ابن فهد، لحظ(ص 184)؛ بن شاهين، نيل(ج137/4).

-نور الدين محمود بن أحمد بن محمد(ت750هـ/1350م).رحل إلى الشام ومصر لطلب العلم، فأخذ من شيوخها، فمهر في الفقه وأصوله وغير ذلك من العلوم، وتولي قضاء حماة ودرس وأفتى،وصنف الكثير من الكتب الفقهية منها: اختصر القوت للأذرعي وسماه لباب القوت، وله تكملة شرح المنهاج للسبكي، وله التحفة في المبهمات، واليواقيت المضية والمواقيت الشرعية، وهذب المطالع لابن قرقور في قدر ضعفه وانتهت إليه رئاسة المذهب بحماة[1].

-شمس الدين محمد بن شرف بن عادي الكلائي(ت777هـ/1376م) من فقهاء الشافعية، درس بالمدرسة القطبية، وصنف في الفقه كتباً منها القواعد الكبرى في الفرائض على المذاهب الأربعة، و المجموع في الفرائض[2] .

-سراج الدين عمر بن علي بن عبد الله الأنصاري الأندلسي ابن الملقن (ت804هـ/1402م)عالم وفقيه، درس وأفتى، صنف مصنفات بمختلف العلوم منها الفقه، فشرح المنهاج والتنبيه والحاوي، وكذلك خرج أحاديث الكتب الفقهية، وألف كتاب الكافي، وكانت مصنفاته محل إقبال طلاب العلم عليها[3].

-بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المنهاجي (ت794هـ/1392م). درس الفقه على يد الشيخ جمال الدين الأسنوي، ثم رحل إلى دمشق فتفقه بها، شرح الأربعين النووية، وأحكام المساجد وفتاوى جمعه وحواشي الروضة للبلقيني، ومن مصنفاته كتاب البحر في أصول الفقه في ثلاث مجلدات كذلك شرح كتاب منهاج الطالبين، ومختصر تحرير الخام والفتاوي الزركشية وحواشي الروضة وأحكام المساجد والديباج على المنهاج[4].

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج249/8)؛ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية(ج109/4)؛البغدادي، هدية العارفين(ج164/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب(ج210/7)؛ الشوكاني، البدر الطالع(ج294/2)؛ كحالة، معجم (ج148/12).

(2)إنباء(ج181/1)؛ الدرر الكامنة(ج195/5)؛البغدادي، هدية(ج169/2)؛الزركلي، الأعلام(ج157/6)؛ كحالة، معجم(ج66/10).

(3) ابن حجر،إنباء(ج41/5-43)؛ المجمع المؤسس(ج318/2)؛ السخاوي، الضوء(ج100/6)؛ابن الفهد،لحظ الألحاظ(129-130)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج43/4-47)؛ بن شاهين، نيل(ج70/3).

(4) ابن حجر،إنباء(ج138/3-141)؛ الدرر الكامنة(ج134/5)؛ البغدادي، هدية(ج174/2)؛ كحالة،معجم المفسرين(ج505/4).

-سراج الدين عمر بن رسلان ابن نصير البُلقيني (ت805هـ/1403م) أجاز له مجموعة من الشيوخ منهم ابن الجزري، حفظ المحرر بالفقه، فتميز بعلم الفقه، فدرس في المساجد، وتولى قضاء الشام، والإفتاء بمصر، وصنف العديد من الكتب في مجال الفقه منها كتاب الأم للشافعي والروضة وتصحيح اللباب و ألف الفوائد المحضة على الرفعي[1].

-كمال الدين محمد بن موسى الدميري أبو البقاء(ت808هـ/1406). أخذ الفقه من عدة شيوخ منهم الشيخ الجمال الأسنوي، فمهر في الفقه، ودرس في الأزهر وعدة أماكن وتولى الخطابة، ومن مؤلفاته منهاج الطالبين في فروع الفقه الشافعي في أربع مجلدات، وَكتب على ابْن ماجة شرحاً فِي نَحْو خمس مجلدات سَمَّاهُ الديباجة، وله كتاب الجوهر الفريد في علم التوحيد، كما نظم فِي الْفِقْه أرجوزة طَوِيلَة[2].

- شهاب الدين ابن الهائم أحمد بن محمد المصري ثم المقدسي(ت815هـ/1413م)، ولد سنة(756هـ/1355م) اشتغل بالقاهرة وتولى القضاء فيها،ثم انتقل إلى القدس فأفتى و درسفي الصالحية، ومن إنجازاته بمجال الفقه كتاب (الفصول فِي الْفَرَائِض) و(ترغيب الرائض فِي علم الْفَرَائِض) و(الجمل الوجيزة فِي الْفَرَائِض) و(النفحة المقدسية فِي اخْتِصَار الرحبية فِي الْفَرَائِض) و(الفصول المهمة فِي علم مَوَارِيث)[3].

- برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحيمبن جماعة المقدسي أبو اسحاق(ت790هـ/1388م)، كان فقيهاً وعالماً درس الفقه والعربية وغيرها وتولى التدريس بالصلاحية والخشابية،

---

(1) ابن حجر،إنباء(ج107/5-109)؛المجمع المؤسس(ج300/2)؛ المقريزي، السلوك(ج93/6)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج29/13-30)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج771/3).

(2) ابن حجر،إنباء (ج347/5-348)؛ المجمع المؤسس(ج339/3- 341)؛ السخاوي، الضوء اللامع(ج59/10-62)؛ابن العماد، شذرات(ج79/7-80)؛ البغدادي،هدية العارفين(ج178/2)؛ كحالة، معجم(ج66/12).

(3) ابن حجر،إنباء(ج81/7)؛ المجمع المؤسس(ج72/3)؛المقريزي، السلوك(ج346/6)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج157/2-158)، ابن تغري بردي، النجوم(121/14)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج17/4)؛ ابن فهد، لحظ(ص161-162).

كذلك تولى خطابة القدس، وتولى قضاء مصر ثم الشام، ومن مؤلفاته الفقهية (الفوائد القدسية والفرائد العطرية) و مجاميع مفيدة[1] .

- شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي(ت791هـ/1389م)، نزيل حلب ومفتي دار العدل ثم تولى قضاء حلب، اشتغل بالفقه، حتى أصبح عالماً بالفقه والأصول، ومن مصنفاته في الفقه مفاخرة بين السيف والقلم[2] .

- شهاب الدين أحمد بن صالح البقاعي الزهري (ت795هـ/1393م).ولد سنة (724هـ/1324م) اشتغل في تدريس الفقه بالمدرسة العادلية والقليجة والعصرونية و الشامية والبرانية، وولى الإفتاء بدار العدل وناب في الحكم، وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي بدمشق، حل المختصر في الأصول والتميز بالفقه، وقد صنف في الفقه شرح التنبيه في مجلدات[3] .

-محمد بن عبد البر أبو البقاء السبكي (ت777هـ/1376م)، درس المذهب الشَّافِعِي في المدارس، ثم ولي القضاء بمصر والشام، فكان يحفظ كتاب الروضة، وبرع في شتى العلوم مثل التفسير واللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير والكلام، كتب مختصر ابن الحاجب في الأصول[4].

-شمس الدين محمد بن أحمد الكفيري العجلوني الدمشقي(ت831هـ/1428م)، ولد سنة(757هـ/1356م)، عكف على حفظ الكتب الفقهية كالتنبيه، وقد تولى وظائف منها نيابة في الحكم والتدريس فكان متواضع مع الطلبة، وجمع شرحاً على البخارى، في ست مجلدات وكان قد لخص شرح ابن الملقن وشرح الكرماني ثم جمع بينهما، وألف كتاب عين النبيه في شرح التنبيه و زهر الرَّوْض ومعين النبيه على معرفَة التَّنْبِيه وصنف

(1) ابن حجر،إنباء (ج 2/292-294)؛ ابن قاضي شهبه، طبقات(ج140/3)؛ ابن تغري بردي،النجوم (ج 314/11)؛ السيوطي،طبقات(ص536)؛ ابن العماد، شذرات (ج 6/311-312)؛ البغدادي،هدية (ج 17/1)، كحالة ، معجم (ج 47/1).

(2) ابن حجر،انباء (ج 2/358-362)؛ ابن الفرات، تاريخ(ج130/9)؛ المقريزي،السلوك (ج 270/5-271)؛ ابن تغري بردي،النجوم(ج382/11)؛المنهل الصافي (ج2 / 40-43)؛ ابن العماد، شذرات(ج 314/6-315)؛ كحالة، معجم(ج34/2)؛الطباخ، إعلام (ج 102/5-103).

(3) ابن حجر،إنباء (ج 168/3-170)، الدرر(ج163/1-164)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج144/3-145)؛ ابن العماد، شذرات (ج 338/6) ؛ كحالة، معجم (ج 250/1)؛ بن شاهين،نيل الأمل(ج327/2).

(4)إنباء الغمر(ج183/1)؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(ج238/5)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج224/9).

التَّلْوِيح إِلَى معرفَة الْجَامِع الصَّحِيح منتخب الْمُخْتَار فِي أَحْكَام الْمُخْتَار فكان يركز اهتمامه على علم الفقه[1] .

–شهاب الدين أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي الشافعي(ت808هـ)، أحد أئمة الفقهاء الشافعية ، صنف العديد من الكتب المفيدة منها (أحكام المساجد) و(أحكام النكاح) و(حوادث الهجرة) و(الْقَوْل التَّام فِي أحكام الْمَأْمُوم والإمام)و(رفع الإلباس عَن وهم الوسواس) و (أحكامالأولى والظروف وَمَا فِيهَا من المظروف) و(أحكام الْحَيَوَان) و(آدَاب الطَّعَام)وغير ذلك من المؤلفات[2].

4. المذهب الحنبلي:

ومن أشهر الفقهاء في مصر والشام الذين تبنوا هذا المذهب:

- شرف الدين عبد الله بن محمد بن مفلح، المقدسي(ت834هـ/1431م)، واشتهر بحفظ الكتب الدينية وخصوصاً الفقهية منها كتاب المقنع في الفقه و مختصر ابن الحاجب في الأصول، وأفتى ودرس واشتغل وناظر العلماء وناب في القضاء، فكان عالماً بالفقه وأستاذاً في الأصول، وتولى منصب رئاسة الحنابلة[3] .

- شمس الدين محمد بن عبد القادر بن عثمان (ت797هـ/1395م) ولد عام (727هـ/1327م) من علماء مدينة نابلس بفلسطين، برع في مختلف العلوم، فلذلك لقب بالجنة، وتميز في مجال الفقه على المذهب الحنبلي، ووصفه ابن الجزري بقوله:" انتهت إليه مشيخة العلم والقراءة، وصنف في الفقه مختصر العزلة واختصر طبقات الحنابلة وكتاب تصحيح الخلاف[4] .

- شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المرداوي (ت787هـ/1385م) ولد بمردا وقدم دمشق لتعلم علم الفقه فتميز فيه، حيث كان إماماً في علم الفرائض والفقه؛ فولي قضاء

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج160/8–161)؛ السخاوي، الضوء(ج112/7)؛ ابن العماد، شذرات(ج196/7)؛ كحالة، معجم المؤلفين(ج23/9–24).

(2) ابن حجر،إنباء (ج313/5–315)؛ البغدادي، هدية(ج119/1)؛ ابن العماد، شذرات(ج73/7).

(3) ابن حجر،إنباء (ج240/8– 241)؛ ابن تغري بردي،المنهل الصافي(ج116/7– 117)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج66/5–67)؛ كحالة، معجم المفسرين(ج324/1)؛ ابن مفلح ،المقصد الأرشد (ج60/2–61).

(4) ابن حجر،إنباء (ج272/3–273)؛ غاية(ج173/2–174)؛ ابن تغري بردي، المنهل(ج324/7–325)؛ المقريزي، السلوك(ج316/5)؛السخاوي ، الضوء (ج42/8)؛ ابن العماد، شذرات(ج349/6).

حماه، وتولى مهنة التدريس، فأفاد طلاب العلم؛ فحرصوا على ملازمته ومنهم علاء الدين بن مغلى[1] .

- شمس الدين بن محمد بن عبدالله بن أحمد المحب الصامت المقدسي (ت789هـ/1387م)، ولد سنة(713هـ/1314م) ، برع في مختلف العلوم من حديث وفقه وخط وتاريخ، فدرس في عدة مدارس، كذلك كان مفتياًعلى المذهب الحنبلي، له مؤلفات عديدة منها وحواشي على تهذيب الكمال و ذيل على كتاب (المختار) لضياء الدين المقدسي[2] [3].
- أبو الحسن علي بن حسين بن عروة المشرفي الدمشقي المعروف ابن زعنون، كان عالماً عابداً، كانت له حلقة علمية في المسجد، فكان يعلم الاطفال قراءة القرآن، ومن مؤلفاته في الفقه ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري وشرح كتاب المغني للشيخ العالم موفق الدين المقدسي الحنبلي[4] .

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج 193/2)، الدرر (ج 179/1)؛ ابن فهد، لحظ الألحاظ(ص145)؛ السخاوي، وجيز (ج 274/1)؛ ابن العماد، شذرات (ج 295/6-296).

(2) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد، المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، كان مؤرخ و محدث الشام[569 - 643 هـ/ 1174- 1245م] ، بنى دار الحديث بقاسيون بدمشق وله عدة مؤلفات منها. فضائل القرآن و كتاب فضائل الشام، والأحاديث المختارة ، ابن العماد ، شذرات الذهب(ج5/ 224)؛ نويهض،عادل، معجم المفسرين (ج2/ 569).

(3) ابن حجر،إنباء (ج 270/2-271)؛ الدرر (ج 209/5-210)؛ ابن الجزري،غاية (ج 174/2-175)؛ ابن الغزي، ديوان(ص81).

(4) ابن حجر،إنباء (ج 319/8) ؛المقريزي، السلوك،(ج273/7)؛ ابن تغري بردي، النجوم(ج193/15)؛ بن شاهين، نيل الأمل(ج349/4)؛ ابن العماد، شذرات(ج 222/7-223) .

المبحث الثاني:
العلوم اللغوية

تعد علوم اللغة العربية من العلوم المهمة والتي يبحث فيها الطلبة والعلماء، فقد كانت اللغة الرسمية للدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام، فهي لغة الدين والحكم و السياسة و إدارة مؤسسات الدولة الرسمية، فاجتهد العاملين بالحكومة المملوكية على تعلمها ودراستها[1]، نالت هذه العلوم اهتماماً من قبل الإدارة المملوكية؛ وذلك للحفاظ على سلامة اللغة من تأثيرات اللغات الأخرى الفارسية وغيرها، وكونها وسيلة من وسائل دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية[2].

كانت العلوم العربية مادة مقررة لتدريسها في المدارس والكتاتيب[3] والمراكز الصوفية[4]، و المساجد، فتوزع عليهم الأموال من وقف الجامع مقابل حضورهم لتعلم هذه العلوم[5]، ولقد ارتبطت علوم اللغة العربية بالعلوم الدينية، لذلك نجد كثير من علماء الدين عكفوا على دراستها، فنجد عالم الحديث والتفسير والفقيه يتقن ويعكف على دراسة العربية والبحث فيها وتأليف الكتب[6] .

أولاً: علم اللغة:

ذكر ابن خلدون في تعريفه لعلم اللغة "هو عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان"[7].

فنتيجة لاختلاط العجم بالعرب، دخلت ألفاظ أعجمية إلى اللغة العربية، فلذلك نشط علماء اللغة العربية والنحاة لحفظ الموضوعات اللغوية وذلك بالكتاب والتدوين[8]، فشهد العصر المملوكي تأليف العديد من المعاجم اللغوية، مثل معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ/1312م)[9].

ازدهرت العلوم اللغوية في العصر المملوكي، فحرص المماليك على الحفاظ على اللغة العربية وتعلمها[10]، فتناول طلاب العلم كتب اللغة بالشرح والحفظ، ككتاب مجمع البحرين[11]،كذلك

---

(1) ابن حجر،إنباء (ج231/3).

(2)المصدر السابق (ج250/8).

(3)موسى،عمر، تاريخ الأدب في بلاد الشام (ص133).

(4)ابن حجر،إنباء (ج239/8).

(5)المصدر السابق (ج138/1).

(6)المصدر السابق (ج138/1).

(7)المقدمة(ص352).

(8)المصدر السابق (ص353).

(9) ابن حجر،الدرر الكامنة(ج15/6).

(10) ابن حجر،إنباء(ج314/8).

(11)المصدر السابق (ج247/7).

برزت مجموعة من المؤلفات في علم اللغة[1]، وقد ظهرت وظائف مرتبطة بالعلوم اللغوية منها كاتب الإنشاء[2]، و منصب وكالة بيت المال[3].

ومن أشهر ممن اهتم بالعلوم اللغوية بمصر والشام:

- ولي الدين عبدالله بن أبي البقاء محمد السبكي (ت785هـ/1384م) كان أديباً وشاعراً وألف ديواناً، له مشاركة جيدة في اللغة العربية، فتولى وظائف إدارية في عهد المماليك[4].
- شرف الدين علي بن عبد القادر المراغي الدمشقي (ت 788هـ/1386م) تميز في مختلف العلوم من العلوم العقلية كالطب والنجوم، كما اشتهر بتميزه في اللغة العربية، وقصده طلاب العلم للاستفادة من علمه[5].
- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد أبو الطاهر الفيروز أبادي، يعد من العلماء الذين اشتهروا بعلم اللغة، فكانت اللغة جل اهتمامه فمهر حتى فاق أقرانه، ومن مؤلفاته في اللغة القاموس المحيط و الْبلْغَة فِي تَارِيخ أَئِمَّة اللُّغَة و اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب، وكان يقول : لو كان يكمل لكان مائة مجلد والروض المسلوف فيما له اسمان إلى الوف و ترقيق الاسل في تصفيق العسل، وتحبير المؤشين فيما يقال بالسين والشين[6] [7].
- شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم (815هـ/1413م) تفوق في علم الفقه والعربية، رحل إلى القاهرة عدة مرات لطلب العلم، ثم رحل إلى القدس، وولي تدريس الصالحية، وألف في اللغة كتاب الضوابط والحسان فيما يقوّم اللسان[8].

---

(1) ابن حجر،انباء (ج81/7)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج17/4)؛ ابن تغري بردي،النجوم(ج 121/14)؛ الشوكاني، البدر(ج 117/1–118).

(2) ابن حجر،إنباء(ج202/1).

(3)المصدر السابق (ج252/1).

(4)المصدر السابق (ج147/2–148) .

(5) ابن حجر،إنباء (ج239/2)؛ السيوطي، بغية (ج 176/2)؛ ابن العماد، شذرات (ج 303/6).

(6) هو معجم جمع فيه المؤلف الكلمات التي تنطق بالسين والشين، دون أن يخل بمعناها، الفيروز أبادي، تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين(ص5).

(7) ابن حجر،إنباء (ج159/7–162)؛ السيوطي، بغية الوعاة(ج273/1–274).

(8) ابن حجر،إنباء (ج81/7)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات(ج17/4)؛ ابن تغري بردي، النجوم (ج 121/14)؛ الشوكاني، البدر(ج 117/1–118).

- نجم الدين عمر بن حجي بن موسى بن السعدي الحسباني الدمشقي (ت830هـ/1427م) حفظ كثيراً من المختصرات تعلم العربية، أخذ عن ابن الملقن والزركشي، وكان يلقي الدروس على طلابه ويحسن إليهم[1].
- شهاب الدين أحمد بن الفاضل الحسيني، ولي نيابة الحكم، ودرس في أماكن، منها في المنكوتمرية، انتفع به طلاب العلم في العربية وغيرها من العلوم[2].
- يعقوب بن جلال أحمد الرومي التباني الحنفي، برع في العربية والمعاني والبيان، وكان أول ما ولى التدريس والخطابة والإمامة بمدرسة الجائي[3].
- نور الدين علي بن لؤلؤ، كان عالماً عاملاً لا يأكل إلا من عمل يده ولم يتقلد وظيفة قط، وكان ملازماً للإقراء بالجامع الأزهر وغيره، وانتفع به الناس، وله مقدمة في العربية سهلة المأخذ[4] .
- محمد بن محمد بن عبد الله ابن مؤذن الزنجبيلية، اشتغل وهو صغير، فحفظ مجمع البحرين ، في اللغة والألفية وغيرها، وجلس للاشتغال بالجامع الأموي[5] .
- أحمد بن أبي أحمد الفراوي المالكي، اشتغل كثيراً وبرع في العربية وعلوم أخرى، وشغل الناس، وعين للقضاء فلم يتم ذلك[6] .
- شرف الدين شعبان بن علي بن إبراهيم المصري الحنفي، درس في العربية[7] .
- شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريري قدم إلى القاهرة، فاشتغل وأقرأ الناس في العربية ثم ولي قضاء طرابلس، ثم ولي قضاء المالكية في القاهرة[8].

---

(1)ابن حجر، إنباء(ج129/8-131)؛ابن العماد، شذرات (ج 193/7).

(2) ابن حجر،إنباء (ج228/9-229).

(3)المصدر السابق (ج61/8-62).

(4)المصدر السابق (ج57/8).

(5)المصدر السابق (ج247/7).

(6)المصدر السابق (ج283/7).

(7)المصدر السابق (ج280/4).

(8)المصدر السابق (ج255/4).

- عبد الله بن عبد الله العفيف المعروف بالأشرفي كان مملوكاً رومياً اشتراه أرغون الفاخوري ورباه، فتعلم الخط وحذق اللسان العربي وتعانى الخدم، ثم تنقلت به الأحوال حتى اتصل بالملك الأشرف[1].

ثانياً: النحو والصرف:

هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء[2]، وقد حظيت العلوم النحوية في العصر المملوكي باهتمامٍ خاص، فخصصت مادة النحو للدراسة في المدارس، كذلك استغلت المساجد لدراسة النحو؛ وذلك للإقبال الكبير للطلاب الذين يتعلمون النحو، كذلك خدمة لعلوم الدين[3]، وكان الطالب يقرأ الكتب النحوية على أشهر علماء النحو، فيطبق ما بها بإعرابه القرآن أمام أستاذه فإذا كان ماهراً فيجيزه الأستاذ [4]، وكان الطالب يحفظ الكتب النحوية المشهورة ، كألفية ابن مالك ويسمعها على أستاذه[5]، **ومن أبرز النحويين:**

- أحمد بن محمد بن محمد الأصبحي، أبو العباس العنابي النحوي، اشتغل في بلاده، ثم رحل إلى أبي حيان فلازمه واشتهر بصحبته وبرع في زمانه، ثم انتقل إلى دمشق، فذاع صيته، فأقبل عليه الناس لينتفعوا من علمه، وصنف كتباً منها شرح التسهيل، وشرح اللباب، قال ابن حبيب : عالم حاز أفنان الفنون الأدبية ، وفاضل ملك زمام العربية [6].
- أبو سعيد الثعلبي فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي، برع في العربية والأصول، وشارك في الفنون، وأقرأ ببلده وأفاد، وولي خطابة الجامع بغرناطة، أخذ عنه شيخنا بالإجازة قاسم بن علي المالقي، ورأيت له تصنيفا في الباء الموحدة[7].
- أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء المالكي الإسكندراني، اشتغل ومهر وفاق الأقران في العربية، وشرع في شرح التسهيل، وولي منصب القضاء، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب، وعاشر الناس بجميل فأحبوه[8].

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج313/8-314).
(2) السكاكي،يوسف بن محمد، مفتاح العلوم(ص75)؛الجرجاني، التعريفات(ص240).
(3)ابن حجر ،إنباء (ج230/5).
(4)المصدر السابق (ج232/3).
(5)المصدر السابق (ج247/7).
(6)المصدر السابق (ج107/1).
(7)المصدر السابق (ج77/2).
(8)المصدر السابق (ج46/4-47).

- جمال الدين عبد الله بن محمد القرافي، مهر في العربية، وأخذ عن الشيخ أبي الحسن الأندلسي، وعمل مقدمة لطيفة يتوصل بها إلى معرفة الإعراب بأسهل طريق، وانتفع به جماعة.
- إبراهيم بن محمد بن عثمان ابن إسحاق الدجوي، أخذ عن الشهاب بن المرحل وجمال الدين بن هشام وغيرهما في العربية فمهر وشغل فيها، وكان جل ما عنده حل الألفية الخلاصة، وكان يتكسب بالشهادة والعقود[1].
- عبد اللطيف بن أبي بكر نزيل زبيد كان عارفاً في العربية مشاركاً في الفقه، ونظم مقدمة ابن بابشاد في ألف بيت وشرح ملحة الإعراب وله تصنيف في النجوم، وكان يعمل عند السلطان الأشرف[2] .
- إبراهيم بن عبد الله الحكري برهان الدين المصري، ولي قضاء المدينة، وكان عارفاً بالعربية، وشرح الألفية[3] .
- محمد بن عبد الرحمن، شمس الدين بن الصائغ الحنفي النحوي، سمع الحديث من الحجار والدبوسي وغيرهما، وقد لازم أبا حيان، ومهر في العربية وغيرها، ودرس بجامع ابن طولون للحنفية، حسن النظم والنثر، كثير الاستحضار، ومن تصانيفه : شرح الألفية رأيته بخطه في مجلدين ، وشرح المشارق وقفت عليه بخطه في ست مجلدات وله فيه مباحث لطيفة، والتذكرة النحوية ، والمباني في المعاني ، والمنهج القويم في القرآن العظيم ، والثمر الجني في الأدب السني ، والغمز على الكنز ، والاستدراك على المغني لابن هشام[4].
- أبو بكر بن محمد الدمشقي الملقب بالقرع النحوي، أخذ عن ابن عبد المعطي وغيره وبرع في العربية[5] .
- علي بن سيف بن علي اللواتي الأصل الأبياري النحوي المصري نزيل دمشق، ولد بالقاهرة ونشأ بغزة يتيماً فقيراً فحفظ التنبيه، ثم دخل دمشق فعرضه على التاج السبكي فقرره في بعض المدارس واستمر في دمشق وأخذ عن العنابي وغيره ومهر في العربية، وفاق في حفظ اللغة وعني بالأصول، فقرأ مختصر ابن الحاجب دروساً على المشايخ، و جمع جزء في الرد على تعقبات أبي حبان لكلام ابن مالك[6] .

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج144/4).

(2)المصدر السابق (ج167/4-168).

(3)المصدر السابق (ج277/1).

(4)المصدر السابق (ج137/1-138).

(5)المصدر السابق (ج128/3).

(6)المصدر السابق (ج38/7-39).

- مسعود بن عمر بن محمود الأنطاكي شرف الدين النحوي نزيل دمشق، وأخذ عن الصفدي وابن كثير والعنابي والصدر بن منصور، وتقدم في العربية وفاق في حسن التعليم حتى كان يشارط عليه إلى أمد معلوم بمبلغ معلوم وكان يكتب حسنا وينظم جيدا[1] .
- شهاب الدين أحمد بن يهودا، الدمشقي الطرابلسي النحوي الحنفي، اهتم بتعلم العربية فتميز في علم النحو واشتهر به، وشرع في نظم التسهيل، فاستفاد طلاب العلم والناس منه[2].
- شمس الدين محمد الحموي النحوي المعروف بابن العيار، مهر في العربية، وأخذ عن ابن جابر وغيره، وكان حسن المحاضرة[3].
- شهاب الدين أحمد بن تقي الدين العلامة، اشتغل بمصر، وأخذ عن الشيخ عز الدين ابن جماعة وغيره، وفاق في العربية[4].
- العلامة النحوي جلال الدين أبو المحامد الشهير بالمرشدي، ورحل إلى القاهرة فسمع بها من بعض العلماء، ومهر في العربية، وقرأ الأصول والمعاني والفقه[5].
- علي بن محمود بن علي العطار الحراني، برع في النحو والفرائض، درس فاستفاد الناس من علمه، فتميز في علم النحو، بحيث أنه حفظ ربع ألفية العراقي في يوم واحد[6].
- زين الدين عمر بن أبي بكر، المغربي الأصل البصروي، قدم دمشق فاشتغل بالفقه والعربية والقراءات وفاق في النحو، وشغل الناس[7].
- عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي نزيل مصر، شرح الشاطبية ونظم غاية الإحسان لشيخه أبي حيان، أرجوزة ووقف عليها شيخه وقرظها، وسميه الشيخ تقي الدين الواسطي المقري [8].

---

(1)ابن حجر،إنباء (ج98/7).

(2) ابن حجر،إنباء (ج 284/7)؛ السيوطي، بغية (ج 401/1) ؛ ابن العماد ، شذرات(ج 145/7)؛ يعقوب، اميل، موسوعة علوم اللغة العربية(ج282/1).

(3)ابن حجر،إنباء (ج93/8).

(4)المصدر السابق (ج263/8).

(5)المصدر السابق (ج364/8-365).

(6)المصدر السابق (ج179/3).

(7)المصدر السابق (ج368/8).

(8)المصدر السابق (ج316/1-317).

- النحوي محمد بن محمد الزبيري العيزري الغزي، صنف تصانيف في عدة علوم، له مناقشة في جمع الجوامع، وشرحه، واختصر القوت للأذرعي وله تعليق على الشرح الكبير للرافعي ونظم في العربية أرجوزة سماها قضم الضرب في نظم كلام العرب(1).
- محمود بن أحمد بن محمد الفيومي، تنقل بين الشام ومصر طلبا للعلم، وقد ولي قضاء حماة، واختصر القوت للأذرعي وسماه لباب القوت، وله تكملة شرح المنهاج للسبكي، وشرح الكافية الشافية في العربية، وله منظومة في الخط وشرحها ، وهذب المطالع لابن قرقور في قدر ضعفه، كان مشاركاً في الأدب وغيره وحسن الخط، وبينه وبين الشيخ بدر الدين ابن قاضي أذرعات مكاتبات منظومة(2).
- يوسف بن الحسن بن محمد، فقد تميز وفاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم، وشرح الاهتمام مختصر الإلمام في ست مجلدات وألفية ابن مالك وفرائض المنهاج، وله قصيدة دالية نبوية، وله نظم حسن وشهرة ببلده وغيرها، مشيخة العلم بالبلاد الشمالية ورحل الناس إليه لطلب العلم والاستفادة من علمه(3) .
- سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاتي من أشهر العلماء في علم النحو والتصريف وغيرها من العلوم ومن تصانيفه النحوية الارشاد في النحو(4) .
- عز الدين محمد بن خليل بن هلال أبو البقاء الحاضري وَأخذ النَّحْو عَن أبي عبد الله وَأبي جَعْفَر الأندلسيين، فأصبح من علماء عصره في النحو والصرف، تنقل بين القاهرة ودمشق لطلب العلم ومن أهم تصانيفه في النحو شرح التوضيح لابن هشام، شرح الشذور و شرح مغني اللبيب والكتب الثلاثة لابن هشام الانصاري(5) .

---

(1)ابن حجر ،إنباء (ج5/346-347).

(2)المصدر السابق (ج8/249).

(3)المصدر السابق (ج6/50-52).

(4) ابن حجر ،إنباء (ج 2/-377- 379) ؛ السيوطي، بغية الوعاة (ج 2/285)؛الشوكاني، البدر الطالع(ج2/303-304)؛ كحالة، معجم المفسرين(ج2/670).

(5) ابن حجر ،إنباء(ج7/446-447)؛ السخاوي، الضوء (ج 7/232-233)؛ ابن العماد، شذرات (ج 7/168).

ثالثاً: علم البلاغة:

هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال[1]، ويتألف من علم المعاني والبيان والبديع، فعلم المعاني، هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال، أماعلم البيان فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وعلم البديع فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال[2].

ومن شروط البلاغة موافقة الكلام لمقتضى الحال، ويجب على المتكلم أن يوازن بين المعاني وأقدار المستمعين،وأن يمتاز بمتانة العبارة،ومن شروط البلاغة الطبع، وهو يعني الموهبة وعدم التكلف و البلاغة والفصاحة[3]. **ومن أشهر من برع في البلاغة :**

- أحمد بن علي بن أحمد، القلقشندي نزيل القاهرة، تفقه وتمهر وتعانى الأدب، وكتب في الإنشاء وناب في الحكم، وكان يستحضر الحاوي وكتب شيئا على جامع المختصرات، وصنف كتاباً حافلاً سماه صبح الأعشى في معرفة الإنشاء [4].
- صالح بن أحمد بن أبي السفاح الحلبي كان يتعانى الكتابة فباشر وكالة بيت المال[5].
- أحمد بن عبد الله العجمي الحنبلي، ومهر في العربية والأصول، وقرأ في علوم الحديث، ولازم الإقراء والاشتغال في الفنون[6] .
- سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله العجمي التفتازاني اشتهر بالمعاني والبيان والتفسير والكلام وغيرها من العلوم له مؤلفات منها شرح التلخيص وله شرح العضد، وشرح على المفتاح وشرح على التنقيح ، وحاشية على الكشاف[7] .
- شمس الدين بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الجزري ثم الدمشقي، علامة عصره ومن مؤلفاته بعلم البلاغة وفروعه حاشية على الإيضاح في المعاني والبيان للقزويني[8].

---

(1) علوم البلاغة(ص8).

(2)ابن خلدون، المقدمة(ص356)؛ الجرجاني، التعريفات(ص156).

(3) الجاحظ، البيان والتبين (ج18/1).

(4) ابن حجر،إنباء (ج330/7-331).

(5)المصدر السابق (ج252/1).

(6)المصدر السابق (ج18/6).

(7) ابن حجر،إنباء(ج 377/2- 379)؛السيوطي، بغية الوعاة (ج 285/2)؛الشوكاني، البدر الطالع(ج303/2-304).

(8) ابن حجر،إنباء (ج317/4-318)؛ السخاوي، الضوء (ج 255/9)؛ السيوطي، طبقات الحفاظ (ج 549/1)؛ ابن الغزي ، ديوان (ج 113/2-114).

- تقى الدين أبو بكر بن علي بن حجة الحموي الحنفي (ت837هـ/1434م) الأديب المشهور في بلاد الشام، ومن إنتاجه العلمي في علم البلاغة، صنف كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب، وكتاب كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام وهو من أبواب البديع[1].
- الشيخ العلامة جلال الدين التباني، فقد سمع صحيح البخاري على علاء الدين التركماني ، وتلمذ للشيخين جمال الدين ابن هشام وبهاء الدين ابن عقيل ، فبرع في العربية وصنف فيها[2].
- شمس الدين محمد بن جلال ابن التباني الحنفي، ومهر في العربية والمعاني وأفاد ودرس[3]، ولازم الشيخ علاء الدين البخاري لما قدم القاهرة، وكذلك الشيخ بدر الدين بن الدماميني ، وكان كثير الأدب فائقاً في معرفة العربية ملازماً للعبادة وقوراً ساكناً[4].
- العلامة النحوي جلال الدين أبو المحامد الشهير بالمرشدي، ولد في بمكة، وأسمع على النشاوري والأميوطي والشهاب بن ظهيرة وغيرهم ، ورحل إلى القاهرة، ومهر في العربية ، وقرأ الأصول والمعاني والفقه[5].

رابعاً: الشعر

يقصد به الكلام الموزون المقفى ومعناه أن تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية[6]،والشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي يستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به[7].

اهتم الشعراء بدواوين كبار الشعراء كأبو التمام، وقد تعددت أغراض الشعر في العهد المملوكي فنظموا أشعاراً في المدح، كالمدح النبوي[8]، ومدح الأمراء والعاملين في الدولة [9]، كذلك

---

(1) ابن حجر،انباء (ج 8/310-311)؛الشوكاني، البدر (ج 1/164-165) ابن حجة، تقى الدين أبو بكر علي الحموي ، خزانة الأدب وغاية الارب (ص16).
(2) ابن حجر،إنباء (ج3/88).
(3)المصدر السابق (ج7/201).
(4)المصدر السابق (ج7/369).
(5)المصدر السابق (ج8/364-365).
(6) ابن خلدون، المقدمة(ص366)؛ القنوجي،أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم(1/286).
(7) القنوجي، أبجد العلوم (ج1/296).
(8) ابن حجر، إنباء (ج6/50-52).
(9)المصدر السابق (ج1/202).

الشعر السياسي ويتحدث عن ظلم الحكام [1]، وهناك قصائد هدفها اجتماعي وتهذيب الأخلاق[2]، رثاء[3]، والهجاء والغزل[4]، والزهد والتصوف والحنين والغزل،وكذلك يصور الشعراء الحياة السياسية[5].

تميز الشعر في العهد المملوكي بالسهولة والابتعاد عن التصنع والتكلف،حيث تناول الشعراء الحياة العلمية وتغنوا بالنهضة الفكرية وأثنوا على منشئ المدارس والمعاهد[6]، كذلك ألفوا الشعر في قراءات القرآن[7].

نال الشعراء مكانة كبيرة في عهد سلاطين المماليك، حيث كان السلطان يكرمهم ويدعمهم مادياً[8]، كذلك يتم تعينهم في وظائف عليا في الدولة كديوان الإنشاء، مما أدى إلى انتشاره بشكل واسع فعكف طلاب العلم على سماع الشعر وحفظه[9]، كذلك انتشرت المناظرات الشعرية[10] .

ومن أشهر الشعراء في الدولة المملوكية بمصر والشام:

- عمر بن عبد الله سراج الدين الأسواني نزيل القاهرة ، اهتم بالآداب وتفوق في النظم، يقول : من يجعل لي خطراً على أي قصيدة شاء من شعر المتنبي حتى أنظم أجود منها، وكان قد دخل الشام وأخذ عن أدبائها ثم قدم القاهرة فاستوطنها، ويشهد ابن خلدون له بأنه أشعر أهل العصر بعد ابن خطيب داريا ، وكان للأسواني مشاركة في اللغة وقليل من العربية، وقد ذكر ابن حجر عنه "وقد حضر عندي في إملاء شرح البخاري، وأُملي على الطلبة من نظمه أبياتاً في معرفة أسواق العرب في الجاهلية وهي رجز، وسمعت من لفظه قصيدة

(1)ابن حجر، إنباء (ج232/3).

(2)المصدر السابق (ج137/1).

(3)المصدر السابق (ج109/5).

(4)المصدر السابق (ج250/1).

(5)المصدر السابق (ج43/2).

(6)ابن حجر، انباء(ج214/2)؛ جيده، أحمد: المدارس(ص57).

(7) ابن حجر، انباء (ج72/4).

(8) ابن حجر، انباء ، (ج160/7-163)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات (ج 63/4-66)؛ السخاوي، وجيز (ج 434/2) ؛ الداوودي ، طبقات (ج275/2-279).

(9) ابن حجر ، انباء (ج179/4-181).

(10)المصدر السابق (ج191/3).

مدح بها المؤيد لما تسلطن بعناية الأدمي فغض منه البارزي، وكان يجتدي بشعره ويقلد المانة من يسمعه منه"[1].

- علي بن محمد بن عبد الرحمن العبيي الحلبي، كان شاعراً ويسمع للشعر وينتقد ويعرف عيوب الشعر [2].
- بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي البشتكي (ت830هـ/1427م)، كان مشهوراً بالشعر على أنواعه وله ديوان شعر، ومطارحات مع أدباء عصره، ألف طبقات الشعراء، واختصر الإحاطة في مجلدين وسمى المختصر مختصر الإحاطة في أدباء غرناطة، ويتصف بكثرة النسخ[3].
- تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي، كان شاعراً مشهوراً ببلاد الشام، له كتابات شعرية في مدح أعيان عصره من القضاة وأمراء الدولة، كما كتب قصيدة بديعية وشرحها في ثلاث مجلدات، وألف قصيدة الثمرات الشهية في الفواكه الحموية و مجرى السوابق، قصائد في الخيل والسبق و تغريد الصادح وغيرها من القصائد [4].
- فخر الدين علي بن أحمد بن محمد بن حمزة المقدسي (ت791هـ/1389م)، كان يخطب في الجامع المظفري، فتميز في خطبه، وبرع في علم الأدب والشعر والنثر[5].
- عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة بن جمعة بن عبد الله المراغي ثم الحلبي ثم الدمشقي ثم المزي، وله شعر وسط [6].
- علي بن الحسين بن علي بن سلامةالدمشقي، كانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر الوسط، ودرس في دمشق، ومات سنة (829هـ/1426م)[7].
- علي بن محمد بن حجر العسقلاني ثم المصري الكناني، ومهر في الآداب، وقال الشعر فأجاد، وله عدة دواوين، منها ديوان الحرم مدائح نبوية ومكية في مجلدة، وكان موصوفاً

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج33/8).

(2) المصدر السابق (ج303/2).

(3)ابن حجر،إنباء(132/8-133)؛ الغزي، ديوان(ص19)؛ السخاوي، الضوء(ج164/7-165)؛ بن شاهين، نيل الأمل (ج215/4)؛ ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة(ص6)؛ ابن العماد ، شذرات (ج 195/7).

(4) ابن حجر،إنباء ،(ج310/8-311)؛ السخاوي، وجيز (ج 533/2) .

(5)ابن حجر،إنباء (ج 372/2)؛ ابن العماد، شذرات (ج 318/6) .

(6)ابن حجر،إنباء (ج217/1).

(7)المصدر السابق (ج236/7).

بالعقـل والمعرفـة والديانــة والأمانــة ومكــارم الأخــلاق ومحبــة الصــالحين والمبالغــة فــي تعظيمهم[1] .

- أسد الدين أبو بكر بن بهادر بن سنقر، كان كثير الهجاء وبلغ ديوانه مجلدات وكان شيعياً[2]

- شهاب الدين أحمد بن مخلوف (ت785هـ/1384م) اهتم بالأدب ونظم الشعر وهو صغير ورثى أم الأشراف، واشتغل بالعلم ، فكان يعرف القراءات، وأدب الأطفال[3]
- صدر الدين علي بن محمد الدمشقي المعروف بابن الآدمي (ت817هـ/1415م) تفقه وبرع وشارك في عدة فنون كان أديباً وفصيحاً و شاعراً، خطه مميز، وقد تولى عدة مناصب في الدولة المملوكية كالقضاء والحسبة[4] وكتابة السر[5].

- محمد بن محمد بن علي أخذ العربية عن أبي حيان وغيره، وكان عارفاً باللغة والعربية ، كثير المحفوظ للشعر لا سيما الشواهد، قوي المشاركة في فنون الأدب، تخرج به الفضلاء[6] .

- أبو بكر بن عثمان بن العجمي زين الدين الحلبي نزيل القاهرة، سمع الحديث ببلده واشتغل بالآداب فمهر فيها وطارح الصلاح الصفدي بقصيدة شهيرة أجابه عنها وهي في ألحان

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج174/1).

(2)المصدر السابق (ج245/1).

(3) ابن حجر،إنباء (ج 143/2)؛ الدرر (ج 397/1)؛ المقريزي،السلوك (ج 161/5)؛ ابن تغري بردي، النجوم (ج 297/11).

(4) هي وظيفة الأمر والنهي فيما يتصل بالمعايش والصنائع ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار والمكاييل والموازيين والمحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس، دهمان، محمد،معجم الألفاظ المملوكي(ص61)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج3/ 558).

(5) ابن حجر،إنباء (ج136/7)؛ ابن تغري بردي، النجوم (ج122/14)؛ ابن العماد، شذرات (ج131/7).

(6) ابن حجر،إنباء (ج179/4-181).

السواجع للصفدي، وولي التوقيع بالقاهرة[1] ، وكان يكتب خطاً حسناً وينظم شعراً وسطاً ونثره كذلك مع دين وخير ومحبة في العلم [2].

- حمد بن محمد بن علي بن حزب الله المغربي، له نظم وسط وصنف كتب منها كتاب سماه عرف الطيب في وصف الخطيب صنفه للبرهان[3].

خامساً: النثر:

وهو الكلام الأدبي السليم الذي لا يوزن كما يوزن الشعر ومنه السجع وهو الذي يلتزم فيه بقافية واحدة ومنه المرسل الذي لا يتقيد بقافية واحدة[4]ويستعمل في الخطب وفي الدعاء وفي ترغيب الجمهور وترهيبهم، ويوصف الحياة العامة للمجتمع، وقد تطور علم النثر في العصر المملوكي، فتم تعين المهرة في علم النثر في مؤسسات الدولة ككتاب الإنشاء والرسائل والخطابة، فكان الخطباء لهم مكانة خاصة عند السلاطين،**ومن أشهر العلماء بمجال النثر:**

- شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الناصري الباعوني (ت815هـ/1413م). كان خطيباً، حيث ولي خطابة القدس ثم دمشق، ألف في النثر والشعر [5].
- عز الدين علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر الموصلي، نزيل دمشق كان معتنياً بالآداب، وراسل الصلاح الصفدي ونظم على طريقة ابن نباتة، وكان ماهرا في النظم قاصراً في النثر، نظم البديعية واخترع التورية في كل بيت، وشرح هذه البديعية شرحاً حسناً وكان يشهد تحت الساعات، وله ديوان شعر[6].

---

(1) هوالتوقيع على حواشي القصص وظهورها، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كتّاب الدست ومن جرى مجراهم بما يعتمد في القضية التي رفعت القصّة بسببها، القلقشندي،التوقيع صبح الأعشى (ج1/ 83).

(2)ابن حجر،إنباء (ج191/3).

(3)المصدر السابق (ج244/2).

(4) ابن خلدون، المقدمة(ص366)؛ القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم(ج286/1).

(5) ابن حجر،إنباء (ج124/7–126)؛السخاوي،الضوء (231/2)؛ وجيز (427/2)؛ ابن العماد شذرات(118/7).

(6) ابن حجر، إنباء (ج268/2).

- تقي الدين ابن حجة الحموي ألف مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وذلك عندما نشب حريقٌ عظيم بدمشق وأدى إلى احتراق المئذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة وأدى إلى دمار كبير في البلاد[1].
- محمود بن محمد الحارثي الدمشقي موقع الدست بدمشق، كان كاتباً مجوداً ناظماً ناثراً، وعنوان شعره أن بعض الرؤساء أعطاه فرجية خضراء فأنشده[2] .

سادساً: الخط

نال الخط العربي اهتماما من قبل الدولة المملوكية فكان تعليم الخط منذ الصغر، وعقدت جلسات لتعليم الطلاب الخط، فكان كل معلم له طريقة لتعليم الخط[3]، اهتم الطلاب من الأطباء[4] والعلماء بالخط اهتماماً كبيراً، فمن يجيد الكتابة وخطه جيد، فيتم تعينه كاتب بمؤسسة من مؤسسات الدولة كالكاتب بمدرسة[5]، أو بكتاب الإنشاء [6]، أو في القضاء والمحاكم[7].

انتشرت كتابة الكتب بخطوط الطلاب كالمصاحف[8]، وكتابة كتاب البخاري وكتب التفسير[9]، وهناك بعض الطلاب من ينسخ لشيخه الكراريس، وقد ازدهرت مهنة الناسخ، ومن ينسخ الكتب يأخذ أجره مقابل نسخه للكتب[10]، ومثال ذلك نسخ آية الكرسي وسورة الإخلاص[11]. وهذا دليل على ازدهار وتقدم العلم وأنه مجتمع مثقف لذلك يقبل على شراء الكتب بمختلف أنواعها .

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج118/3).

(2)المصدر السابق (ج124/5).

(3)المصدر السابق (ج176/9).

(4)المصدر السابق (ج137/7).

(5)المصدر السابق (ج114/1).

(6) المصدر السابق (ج25/1).

(7)المصدر السابق (ج254/1).

(8)المصدر السابق (ج176/9).

(9)المصدر السابق (ج163/4-264).

(10)المصدر السابق (ج64/1).

(11)المصدر السابق (ج231/2-232).

ومن أشهر من اهتم بالخط في مصر والشام:

- أسعد بن محمد جلال الدين الشيرازي، كان يكتب الكتب بخطه، فقد كتب كتاب البخاري في مجلدين وأخرى في مجلد، وكتب الكشاف وتفسير البيضاوي وغير ذلك وولي في الآخر إمامة الخانقاه السميساطية[1].

- محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي، فقد تعاني الأدب ومهر فيه، ثم قدم ابن نباتة مصر فلازمه، وكتب عنه ديوان شعره، وصحب الشيخ بهاء الدين الكازروني مدة ونسخ له كثيراً، وتميز بكثرة النسخ حتى كان ينسخ في اليوم خمسة كراريس، فإذا تعب اضطجع على جنبه وكتب خمسة أخرى كما يكتب وهو جالس، وكتب ما لا يدخل تحت الحصر، وكتب للكازروني المذكور كثيراً من تصانيف ابن العربي، ثم رجع عن ذلك بعد موته وصار داعية إلى الخط على مقالة ابن العربي[2].
- أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عبد القاهر النصيبي ثم الحلبي، فكان محدثا، وكان من كتاب الإنشاء بحلب حسن الخط [3].
- شرف بن أمير السرائي ثم الماريديني الكاتب، تعانى الكتابة إلى أن أتقن الخط على الطريقتين ابن البواب وياقوت ، وتعلم منه أهل تلك البلاد[4] .
- زين الدين عبد الرحمن بن يوسف القاهري،ابن الصائغ(ت 845هـ/1442)، تعلم الخط المنسوب من الشيخ نور الدين الوسمي، فأتقن قلم النسخ حتى فاق فيه على شيخه، حيث كتب الخط على طريقة عدة أشخاص منهم ابن العفيف[5]، واستفاد فيها من الشيخ أبي علي الزفتاوي[6]، وطور أسلوباً خاصاً في الخط من طريقة ابن العفيف وغازي، فامتاز

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج4/163-264).

(2)المصدر السابق (ج8/132).

(3)المصدر السابق (ج1/25).

(4)المصدر السابق (ج8/157).

(5) هو محمد ابن الحسن الكاتب المعروف بابن العفيف، لقب بشيخ الكتاب بمصر(ت736هـ/1335م)، ويعد امام الخط الحسن الموزون، ويرجع إليه نسخ عدة مصاحف رائعة الخط، صالح، عبد العزيز حميد، تاريخ الخط العربي(ص351) .

(6) هو محمد بن أحمد المُكتب الزفتاوي(ت806هـ/1403م) صنف رسالة صغيرة في الخط مرسومة(منهاج الإصابة في معرفة الخطوط والكتابة) صالح، عبد العزيز حميد، تاريخ الخط العربي(ص351) .

أسلوبه بالجمال في حسن الخط ، ونسخ عدة مصاحف والكتب والقصائد، وقرر مُكتباً في عدة مدارس، ومن كتبه (تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب)[1] .

- محمد بن عبد الكريم بن هاشم الحلبي، فقد نسخ كثيراً من الكتب بالأجرة[2] .
- أحمد بن عبد الله المالقي الناسخ ، فكان حسن الخط كتب ثلاثمائة مصحف وعدة نسخ من صحيح البخاري وأرخه القاضي تقي الدين ابن قاضي شهبة[3] .
- شعبان بن محمد بن داود المصري، اشتغل في الخط المنسوب، فجاد خطه بملازمته للشيخ شمس الدين الزفتاوي، وصار رأس من كتب عليه وأجازه، فصار يكتب للناس[4].
- فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي التبريزي، وقدم مع أبيه إلى القاهرة، فتميز في الطب، وقرأ وتردد إلى مجالس العلم وتعلم الخط وباشر العلاج[5].
- إسماعيل بن عبد الله الناسخ المعروف بابن الزمكحل، كان أعجوبة دهره في كتبه قلم الغبار مع أنه لا يطمس واواً ولا ميماً، ويكتب آية الكرسي على أرزه وكذلك سورة الإخلاص، وكتب من المصاحف الحمائلية ما لايحصى[6] .
- أحمد بن محمد الطوخي الناسخ شهاب الدين كان جيد الخط حسن الضبط سريع الكتابة جدا يقال إنه كان يكتب بالمدة الواحدة عشرين سطرا وينسخ بالأجرة[7]
- شرف بن أمير ،السرائي ثم الماريني الكاتب المجود، اهتمبالكتابة إلى أن أتقن الخط على الطريقتين ابن البواب وياقوت، وتعلم منه أهل تلك البلاد، وقدم حلب[8] .

---

(1) ابن حجر ،إنباء (ج176/9)؛السخاوي،الضوء اللامع(ج161/4)؛ الزركلي، الأعلام(ج343/3).

(2)المصدر السابق (ج64/1).

(3)المصدر السابق (ج153/7).

(4)المصدر السابق (ج82/8).

(5)المصدر السابق (ج137/7).

(6)المصدر السابق (ج231/2-232).

(7)المصدر السابق (ج156/4-157).

(8) المصدر السابق (ج157/8-158).

- أبو بكر بن محمد الصرخدي الدمشقي، علم الناس الخط المنسوب[1]، واشتغل في الفقه والنحو، وعمل نقابة الحكم[2].
- أيبك بن عبد الله التركي، الكاتب المجود، كان مملوك طوغاي الجاشنكير الناصري فأعتقه، وتعاني الخط حتى فاق أقرانه، برع في الخط المنسوب، وقرر مُكتباً في مدرسة أم السلطان الأشرف بالتبانة[3] .
- محمد بن عمر ناصر الدين ابن أبي الطيب، فقد كان يكتب بخطه العمري العثماني[4] وقد ولي بوظائف في الإدارة المملوكية[5].

---

(1) هوالخط المنسوب وهو الخطّ الموزون، له نسبٌ قياسيّة خاصّة، وعدد أقلامها 24. وتمّ تشكيل 6 أنواع من الخطوط هي: الثلث، والرّيحان، والتّوقيع، والمحقَّق، والبديع، والرّقاع ويعد الوزير أبو علي محمّد بن مُقْلة(ت382هـ/939م) مخترع الخط المنسوب ،.القلقشندي،صبح الأعشى (ج6/ 185)؛ابن طولون،إنباء الأمراء بأنباء الوزراء (ص42).

(2)ابن حجر، إنباء (ج74/6).

(3)المصدر السابق (ج114/1).

(4) الخط العثماني ويطلق عليه الخط الديواني وانتشر في مصر والعراق والشام وتطور في الدواوين السلطانية وكتبت به الفرامانات والتواقيع الرسمية، الألوسى،عادل، الخط العربي نشأته وتطوره(ص51).

(5)ابن حجر، إنباء (329/4).

المبحث الثالث:

العلوم العقلية والطبيعية

هي العلوم التي تعتمد على التجربة وإقامة البراهين والأدلة العقلية وتشمل على أربعة علوم وهي علم المنطق وعلم النبات والعلم الإلهي وهو ما وراء الطبيعة من الروحانيات وعلم الناظر في المقادير، ويشتمل على أربعة علوم، وهي تشمل على علم الهندسة، وعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى وعلم الهيئة[1].

عرف ابن خلدون العلوم العقلية بأنها :"هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكر ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسالكها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر"[2]،وقد أُطلق عليها علوم الأوائل أو علوم العجم، حيث ازدهرت هذه العلوم، نتيجة تفاعل واحتكاك المسلمين بشعوب البلاد المفتوحة[3].

حظيت العلوم العقلية اهتمام المفكرين والعلماء في العصر المملوكي، والدليل على ذلك ماتركوه من مؤلفات وإنجازات متنوعة بهذه العلوم[4]،**وقد تنوعت العلوم العقلية في العصر المملوكي فمنها:**

أولاً: علم الرياضيات:

ازدهر علم الرياضيات في العصر المملوكي، حيث اشتمل على (الحساب والجبر والمثلثات)[5]، وقد قسم المسلمون الحساب العملي الى قسمين الأول الغباري ويحتاج استخدامه الى أدوات مثل الورق والقلم، أما الثاني الهوائي وهو الحساب الذهني[6].

وقد عرفه ابن خلدون"ومن فروع علم العدد صناعة الحساب، وهي صناعة عملية في حسبان الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع، وبالتضعيف، أي

---

(1) ابن خلدون،المقدمة(ص290).

(2) المقدمة ،(ص249).

(3) ابن أبي أصمعة، عيون الإنباء(ص654)؛ابن خلدون،المقدمة (ص292).

(4) ابن أبي أصمعة، عيون الإنباء(ص654)؛ابن خلدون،المقدمة (ص292)؛السخاوي، الضوء اللامع(ج157/2).

(5)ابن خلدون، المقدمة(ص290)؛ الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك ص(351).

(6)الحزوري، الحركة الفكرية(ص351).

يضاعف عدد بآحاد عدد آخر، وهذا هو الضرب، والتفريق أيضاً يكون في الأعداد، إما بالإفراد، مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح، أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية، تكون عدتها محصلة وهو القسمة..."[1]

اهتم المماليك بعلم الحساب، فكانت علوم الحساب تدرس للطلاب في المراكز العلمية[2]، وذلك لحاجة المجتمع لهذه العلوم، حيث يحسبون بداية الشهور[3]، والتعرف على القوانين والمسائل المتعلقة بالمواريث[4]، وحساب الفرائض حيث يحتاج العامل بها بأن يكون سريع الإدراك[5]؛ فارتبط علم الحساب بعلم الفرائض أو الوراثة، فأورد ابن حجر العديد من العلماء الذين جمعوا بين هذين العلمين منهم:

- شمس الدين محمد بن شرف،الشيخ الكلائي الفرضي(ت777هـ/1376م)،اشتغل في علم الفرائض والحساب فكان من أشهر العلماء في وقته، حيث كان مدرساً في المدرسة القبطية، وصنف العديد من التصانيف في الحساب والفرائض[6].
- أبوبكر يحيى بن عبدالله الغرناطي(ت806هـ/1404م)،كان إماماً في الفرائض والحساب، وصنف في الفرائض كتاب المفتاح، وولي القضاء ببلده[7].
- مجد الدين إسماعيل بن علي بن رستم(ت838هـ/1435م)، تعلم على يد أخيه حسين علم الفرائض والحساب فتفوق واشتهر به[8].

---

(1) المقدمة(ص294).

(2) المصدر السابق (ج181/1).

(3) ابن حجر، إنباء(ج295/8).

(4) المصدر السابق(ج276/2).

(5)المصدر السابق (ج295/8).

(6)ابن حجر،إنباء(181/1)؛العطري، جلال،حركة التأليف العلمي(ص101).

(7)ابن حجر، إنباء(ج194/5).

(8) المصدر السابق(ج360/8-361).

ومن أشهر العلماء في مصر والشام الذين اشتهروا بعلم الحساب:

1. مقبل بن عبد الله الصرغتمشي، تقدم في مختلف العلوم منها الفقه وصنف الكتب، ومهر في الحساب [1] .
2. خليل بن محمد الأقفهسي المصري المحدث، اشتغل بعلوم مختلفة منها الحساب والفرائض والأدب[2].
3. إسماعيل بن قلاوون بن السلطان الناصر، كان ذكياً فطناً عارفاً بالحساب والكتابة، أمره ابن عمه الأشرف شعبان بن حسين واختص به، تمتع بمكانة مميزة عند الملك الظاهر برقوق[3] .
4. علي بن حامد البويطي نور الدين الحاسب، برع في معرفة الأوضاع الميقاتية[4] .
5. علي بن عبد الصمد الحلاوي، انتهت إليه رئاسة الفرائض، عارفاً بالمعاني والبيان والحساب والهندسة، وكان يدرس بغير مطالعة[5] .
6. أحمد بن محمد المصري ثم المقدسي ابن الهائم الشافعي، برع في الفرائض والحساب [6]، فمارس مهنة التدريس في القدس، وأصبح في رئاسة الحساب والفرائض، وقد رحل إليه الطلاب من أماكن كثيرة ليستفيدوا من علمه[7]، وصنف في الحساب مؤلفات مهمة منهاالفصول المهمة فِي علم مَوَارِيث الْأمة والمعونة فِي صناعَة الْحساب الهوائي واختصره في كتاب الوسيلة، وَاختصر كتاب المعونة فسماه بالمبدع، كما ألف كتاب (اللمع المرشدة فِي صناعَة الْغُبَار) أي الحساب واختصره نَزهة النظار فِي صناعَة الْغُبَار، وله كتاب آخر اختصار لكتاب ألفه ابْن الْبَنَّا الْمُسَمّى بالحاوي وَشرح الياسمينية فِي الْجَبْر والمقابلة، وله عدة قصائد في الجبر منها (المنظومة اللامية فِي الْجَبْر)، وَأُخْرَى لامية من بَحر الطَّوِيل الْمُسَمَّاة بالمقنع وَشَرحهَا الْكَبِير الْمُسَمّى (بالممتع فِي شرح الْمقنع) والمختصر الْمُسَمّى (بالمشرع)[8].

---

(1)ابن حجر،إنباء (194/5).

(2)المصدر السابق (ج332/7).

(3)المصدر السابق (343/3).

(4)المصدر السابق (ج353/3).

(5)المصدر السابق (ج32/2).

(6) ابن حجر،إنباء الغمر (ج81/7)؛المعجم المفهرس (ج72/3).

(7) ابن حجر،إنباء الغمر (ج81/7)؛المعجم المفهرس (ج72/3).

(8) السخاوي، الضوء اللامع(ج157/2).

7. علاء الدين علي بن طيبغا الحلبي الموقت، اشتغل في الهيئة والحساب والجبر والمقابلة والأصلين، ومهر في ذلك واشتهر حتى صار موقت البلد، وكان يسكن جامع الطنبغا[1].

ثانياً: علم الهندسة:

عرّف ابن خلدون علم الهندسة: "هو النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة، كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية، مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين، ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة ولو خرجا إلى غير نهاية. ومثل أن كل خطين متقاطعين، فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان، ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة، ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع، وأمثال ذلك"[2]

كان السلطان المملوكي يهتم بالمهندسين ويقربهم منه[3]، ويقيم لهم الاحتفالات ابتهاجا بالانتهاء من البناء[4]، فهذا شجع طلاب العلم لتعلم علم الهندسة فكانوا يرحلون من أجل دراسة الهندسة[5].

وطبق المماليك النظريات الهندسية في فن البناء، فشيدوا الأبنية والمدارس والقصور والحمامات والطرق والجسور والقلاع والأسوار والأبراج والمساجد، وكان ناظر العمارة وهو المسئول إذا وجد خلل في البناء[6]، فكانت النقوش والزخارف والرخام واضحة في البناء[7]، وكما اهتموا ببناء الأعمدة[8]، وهذا يدل على تقدم حضارة المماليك في مصر والشام.

اهتم أمراء الدولة المملوكية، بالهندسة لما لها من أهمية في تخطيط للمدن، حيث أنه عند الانتهاء من عمارة قلعة دمشق على يد نوروز، حضر عنده شخص عجمي فقطع له آلة بطريق الهندسة بحيث يطلع الماء من النهر في دلوين يديرهما شخصان من نحاس فيجري الماء إلى

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر (ج91/3).

(2) المقدمة(ص295).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر (37/4).

(4) ابن حجر،إنباء الغمر (ج214/2-215)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة(ج243/11)؛المقريزي،السلوك(ج187/5).

(5) ابن حجر، إنباء الغمر (ج172/1).

(6)المصدر السابق (ج280/7).

(7)المصدر السابق (ج209/4)،(ج96/6).

(8)المصدر السابق (ج209/4)،(ج214/2).

الطارمة[1] بالقلعة بغير علاج بهيمة ولا حامل يصعد الدلو فيصب في الإناء الذي أعد له وينزل فيطلع الأخر[2].

ومن العلماء المهندسين الذين برعوا في علم الهندسة:

أحمد بن محمد الطولوني: كبير المهندسين، وكان بارع في الهندسة، وعظمت منزلته عند الملك الظاهر فقرره من الخاصكية ، ولبس بزي الجند ، ثم أمره عشرة وتزوج ابنته(ت801هـ/1399م)[3].

علاء الدين علي بن إبراهيم الدمشقي: ويعرف أيضاً بالمطعم الفلكي، تعلم علم الهيئة والحساب والهندسة، ورحل بسبب ذلك لمصر (ت777هـ/1376م)[4].

علي بن عبد الصمد الحلاوي: كان عارفاً بالمعاني والبيان والحساب والهندسة (782هـ/1381م)[5].

قاسم بن أحمد: برع في الحساب والهندسة والنجوم والطلسمات وعلم الحرف والطب، وكان مفرطاً في الذكاء(ت814هـ/1412م)[6].

حسين بن علي بن محمد بن داود:اشتغل بالعلم ومهر في الفرائض والحساب، واشتهر في معرفته الهيئة والهندسة (ت821هـ/1418م)[7] .

ثالثاً: علم الميقات:

هو علم تعرف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها، ومعرفة أوقات العبادات، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها [8].

---

(1) كلمة فارسية معربة وتعني "بيت من خشب كالقبة" الرازي، مختار الصحاح،(ص190).

(2)ابن حجر ،إنباء(ج77/7).

(3)ابن حجر، إنباء (37/4).

(4)المصدر السابق (ج172/1).

(5)المصدر السابق (ج32/2).

(6) المصدر السابق (ج41/7).

(7)المصدر السابق (ج331/7-332).

(8) القنوجي، أبجد العلوم(ج532/2).

ولهذا العلم دور كبير في الحياة اليومية والإدارية؛ لذلك عكف العلماء على مزاولته، فمن خلاله معرفة بداية الشهور والصيام، بحيث إن شاهد رجلان الهلال فيثبت بداية الشهر[1]، وكذلك معرفة أوقات الصلاة، فكان علماء الميقات من المؤذنين[2]، وكان لمهنة الميقات نقابة ويرأسها شخص ويطلق عليه رئاسة الميقات[3].

وقد حظي عالم الميقات بمكانة خاصة عند الملك، فكانت هناك اتصالات بينهم[4]، **ومن العلماء الذين برز دورهم في علم الميقات بمصر والشام:**

1. عبد الرحمن بن محمد الشريسي ، كان ماهراً في فن الميقات[5] .
2. محمد بن مقبل الصرغتمشي ، كان عارفاً بعلم الميقات[6].
3. أبو بكر بن أحمد بن أبي الفتح، وكان يعمل المواعيد ويجيد الخط[7]، كذلك محمد بن عثمان بن حسن بن علي الرقي، المؤذن، اهتم بعلم الميقات[8].
4. فخر الدين عثمان بن أحمد الرصدي، رئيس المؤذنين بجامع طولون، أخذ عن ناصر الدين بن سمعون، واشتهر بمعرفة الميقات [9] .
5. شمس الدين بن الجندي الخطائي المصري انتهت إليه الرياسة في حل التقاويم ومعرفة الميقات[10].
6. شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبرس، برع في العلوم الدينية، واعتنى بعلم الميقات ومهر فيه[11] .

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(ج140/4).

(2)المصدر السابق (ج245/6).

(3)المصدر السابق (ج31/6).

(4)المصدر السابق (ج71/4)(ج69/1).

(5)المصدر السابق (305/3).

(6) المصدر السابق (310/3).

(7)المصدر السابق (ج23/2).

(8)المصدر السابق (ج79/2-80).

(9)المصدر السابق (ج149/2).

(10)المصدر السابق (ج248/2).

(11)المصدر السابق (ج296/3).

7. علي بن أحمد بن عبد الله الإسكندراني الحاسب كان يتعانى علم الميقات فبرع في معرفة حل الزيج وكتابة التقاويم وأقبل على علم الكيمياء فأفنى عمره في أعمالها ما بين تصعيد وتقطير وغير ذلك ولم يصعد معه شيء [1] .
8. عبد الله بن خليل بن يوسف المارداني جمال الدين الحاسب انتهت إليه رياسة علم الميقات في زمانه، وكان عارفا بالهيئة وله مؤلفات وانتفع به أهل زمانه، ونشأ مع قراء الجوق وكان له صوت مطرب ثم مهر في الحساب وكان شيخ الخاصكي قد قدمه ونوه به [2] .
9. شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، وكان قد انتهت إليه رياسة الفن في مصر والشام،كان طيب النغمة[3]، مهتماً بالموسيقى، يجيد الأعمال ويتقنها، ولا ينشد غالباً إلا معربا، ومهر في علم الميقات، وكان ينظم نظماً وسطاً، ويعمل الألحان ويباشر عمله بالمسجد[4].
10. ناصر الدين محمد بن محمد الزفتاوي، كان عارفا بالميقات، وباشر الرئاسة في علم الميقات في بالجامع الأزهر وبجامع القلعة، واتصل بالأشراف شعبان وحظي بمكانة خاصة عنده [5] .
11. أحمد بن محمد الدهان رئيس المؤذنين بالجامع الأموي، كان شجي الصوت، عارفاً بالميقات، وقد عمر حتى صار أقدم المؤذنين عهداً وأعرفهم وأشجاهم صوتاً، وكان عنده خبرة بالأمور [6] .
12. شمس الدين الغزولي المصري الميقاتي، انتهت إليه الرياسة في علم الميقات في بلده[7].
13. عبد الرحمن بن محمد الشريسي زين الدين الميقاتي الرئيس، كان ماهراً في فنه [8] .
14. أحمد بن محمد البكتمري الميقاتي كان رئيس المؤذنين في البلاد[9] .

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج169/4).

(2) المصدر السابق (ج31/6).

(3)وهوالإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق،عمر،تمام حسان، اللغة العربية معناها مبناها(ص226).

(4)ابن حجر، إنباء (ج15/9).

(5)المصدر السابق (ج69/1).

(6)المصدر السابق (ج245/6).

(7)المصدر السابق (ج248/2).

(8)المصدر السابق (ج305/3).

(9)المصدر السابق (ج403/3).

15. علي بن محمد الميقاتي انتهت إليه الرياسة في عمل الزيج وكتابة التقاويم وقد ذاع صيته حتى اتصل بالملك الظاهر برقوق وقربه وصار شيخ الطرقية وكانت له معرفة بالرمل وغيره [1] .

16. أحمد بن غلام الله بن أحمد، الميقاتي اشتغل في فن النجوم وعرف كثيراً من الأحكام اشتهربحل الزيج ويكتب التقاويم [2] .

وقد استخدمت الساعات لتحديد الوقت بالعصر المملوكي، كما انتشرت صناعة الساعات[3]، فقد ذكر ابن حجر أن حسن بن علي البعلبكي الملاعقي كان يجيد صنعة الساعات ويصنع الأرباع[4].

رابعاً: علم المنطق والكلام:

يعرف علم المنطق بأنه هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات[5]، حيث يستنتج المطالب المجهولة من الأمور المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب، ويقف على تحقيق الحق في الكائنات نفياً وثبوتاً بمنتهى فكره[6]وكان الطلاب يتعلمون ويتباحثون في علم المنطق[7]، و يتميز عالم المنطق بقدرته على حل المشكلات، وقول الحق، والقدرة على النقاش وتوضيح المسائل العلمية[8].

ارتبط علم المنطق بالعلوم العربية، فكان عالم المنطق يتميز بفصاحة اللسان[9]، حيث أورد ابن خلدون في كتابه: " فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، وبعدت عن مناحي اللسان"[10].

---

(1)ابن حجر، إنباء (ج71/4).

(2)المصدر السابق (ج288/8).

(3)المصدر السابق (ج207/1).

(4)المصدر السابق (ج207/1).

(5) ابن خلدون،المقدمة(ص298).

(6)المصدر السابق (ص290).

(7) ابن حجر، إنباء الغمر (ج168/1-170).

(8)المصدر السابق (ج321/5).

(9)المصدر السابق (ج321/5).

(10) المقدمة(ص362).

ومن العلماء الذين نبغوا بعلم المنطق:

1. **عبد الله بن محمد بن أبي بكر العسقلاني ثم المكي:** طلب العلم صغيراً بمكة، ثم رجع إلى مصر فاستوطنها، وكان قد حفظ المحرر، ومهر في الفقه والعربية واللغة والحديث، وتميز بقول الحق وقوة المذاكرة كثير العلم، ولقد قرأ المنطق وحصل جامكية[1].
2. **الشيخ زاده العجمي:** الحنفي قدم من بلاده إلى حلب، ويتميز بالهدوء و يتكلم في العلم، كما له القدرة على حل المشكلات، وكان عالماً بالعربية والمنطق والكشاف وقد طارحه سراج الدين الفوي بأسئلة من العربية وغيرها نظما [2].
3. **محمد بن ناصر الدين محمد:** ولد بالقاهرة، ونقله أبوه إلى الكرك حيث عمل إمرتها ، ثم انتقل إلى القدس، فاشتغل وحفظ عدة مختصرات كالكافية لابن الحاجب والمختصر الأصلي والإلمام والألفية في الحديث، ولازم الشيخ عمر البلخي فبحث عليه في العضد والمعاني والمنطق، كما تخرج بنظام الدين قاضي العسكر وبابن الديري الكبير[3].

أما علم الكلام فهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة[4]. وقد ازدهر علم الكلام في العهد المملوكي، فظهرت المجالس العلمية تخللها النقاشات والمناظرات بين العلماء على المسائل ويكثر الجدل بينهم وذلك للوصول بالنهاية إلى الحقيقة، وتميز المتكلم بقدرته على الإقناع؛ فلذلك توافد طلبة العلم و عامة الناس للاجتماع به والاستفادة من علمه[5]

ومن الذين برعوا بعلم الكلام:

- **أحمد بن عبد الله ابن محمد العسقلاني الأصل المقدسي:** اشتغل بالقدس، وتميز بالذكاء، وتكلم الكلام على العامة، واجتمع عليه كثير من الناس، وأحبو مجلسه ثم قدم القاهرة، فكان يجتمع في مجلسه جمع كثير خصوصاً النساء ،كذلك وفد الطلبة للاستفادة من علمه[6]

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج168/1-170).

(2) المصدر السابق (ج321/5).

(3)ابن حجر، إنباء (ج270/8).

(4) ابن خلدون، المقدمة(ص264).

(5)ابن حجر، إنباء الغمر (ج161/9).

(6)المصدر السابق (ج161/9-162).

- **علاء الدينعلي بن موسى بن إبراهيم:** ، يعد من أشهر العلماء في عصره،فكان يجري مع علماء مصر مناظرات، فكان يعرف بالجدل، إماماً في المعقول، بارعاً في علوم كثيرة[1].

خامساً: علم الكيمياء:

علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة إليها وإفادتها خواصاً لم تكن لها، والاعتماد فيه عن أن الفلزات كلها مشتركة في النوعية، والاختلاف الظاهر بينها إنما هو باعتبار أمور عرضية يجوز انتقاله[2].

كان السلطان بنفسه يتفقد العاملين بهذا العلم، والناس يترددون على العاملين بهذه الصناعة[3]؛ فلذلك كثرت الكتابات بهذا المجال[4]، ويعتمد علم الكيمياء على الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية، فيرصد نتائج هذه التجارب؛ ثم يقوم الكيميائي بعملية الصناعات الكيمائية[5]، ولقد ارتبط علم الكيمياء بعلم الطب.

ولكن لم تدرس الكيمياء إلا بالقدر القليل، بسب قلة الفكرة العامة عنها بين الناس ولعدم ثقتهم بغاياتها ووسائلها، ويمكن القول بأن علم الكيمياء تعرض لمحاربة من أصحاب السلطة مما دفع العاملين فيها إلى التستر، وبعض العلماء وقفوا ضد الكيمياء وتعليمها مثل ابن خلدون حيث قال: "أنها ليست بصناعة طبيعية والذي يجب أن يعتقد في أمر الكيمياء، ..أنها من جنس آثار النفوس الروحانية،.... أو من نوع السحر"[6]، وابن تيمية الذي وضع كتابا " ابطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت ولو راجت"[7]، وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية وضع كتاب" بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً"[8].

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر (ج24/9).

(2) القنوجي،أبجد العلوم(ج456/2).

(3) ابن حجر،إنباء الغمر(336/3).

(4)المصدر السابق (55/1–56).

(5)المصدر السابق (55/1–56).

(6)المقدمة (ص328).

(7)الصفدي، أعيان العصر(ج246/1).

(8)الداوردي، طبقات المفسرين(ج96/2)؛ابن العماد، شذرات(ج170/6).

ومن أشهر العلماء بها:

1. **إبراهيم بن عبد الله الخلاطي الشريف:** فقد كان طبيباً متميزاً، وكان كيميائياً فاحترف صناعة اللازورد، حيث تكثر عنده آلات الكيمياء، وكان السلطان يتفقده، كذلك كان الناس يترددون إليه(ت799هـ/1397م)[1] .
2. **ناصـر الـدين الطنـاحي:** كـان إمـام السـلطان،اهتم بالكيميـاء،حتى أنـه أنفـق مـن مالـه فـي صـناعة الكيميـاء (ت809هـ/1407م)[2] ، كـذلك العـالم محمـد بـن علـي بـن عبـد الله الطيبرسي (ت800هـ/1398م)[3].
3. **محمد بن مبارك الآثاري:**اهتم بالمطالب والكيمياء (ت806هـ/1404م)[4] .
4. **محمد بن عبد الله الخضري المصري:**كان يعمل بالطباهتمبالطب والكيمياء والنارنجيات والنجوم(ت1406/808م)[5].
5. **علي بن إبراهيم بن سعد الأنصاري**(ت744هـ/1344م)**:**تميز في عدة علوم، حيث كتب بخطه كتب،ولا سيما كتب الكيمياء[6].

سادساً: علم الحيوان:

كان طلاب العلم في العصر المملوكي يتدارسون علوم الحيوان مثل كتاب الخيل[7]، وقد ازدهرت المؤلفات في علوم الحيوان مثل كتاب (حياة الحيوان) للدميري[8].

ومما يدلل على أهمية علم الحيوان، أن السلطان كان يعين رجل له خبره بالخيول للاعتناء بخيوله[9]، انتشرت الأمراض في الحيوانات والخيول؛ أدت إلى موت كثير من الخيول[10]؛ فلذلك ظهر الطب البيطري، حيث يتم معالجة الحيوانات من قبل أخصائيين، منهم:

---

(1)ابن حجر،إنباء الغمر (336/3).

(2)المصدر السابق (ج1/6).

(3)المصدر السابق (ج413/3).

(4)المصدر السابق (ج188/5).

(5)المصدر السابق (ج340/5).

(6) المصدر السابق (ج55/1-56).

(7)المصدر السابق (ج436/8).

(8) المصدر السابق(ج247/5-248).

(9)المصدر السابق (ج16/1).

(10)المصدر السابق (ج142/8).

1. **محمد ناصر الدين ابن البيطار**:اهتم بمختلف العلوم منها علم صناعة البيطرة[1] .
2. **محمد بن موسى الدميري ثم المصري:** لازم خدمة الشيخ بهاء الدين السبكي ومهر بمختلف العلوم منها علم الحيوان، فصنف عدة كتب، وكان يكتب كتبه بخطه، وصنف كتاب حياة الحيوان(ت808هـ/1406م)[2].
3. **زكي الدين أبو بكر بن عتوق بن أبي بكر السوهائي:** سمع على ناصر الدين محمد بن علي بن يوسف بن إدريس الحراوي [3]الطبردار[4] قطعة من كتاب (الخيل للدمياطي)[5].

مما سبق نستنتج بأن العصر المملوكي في بلاد الشام ومصر، تميز بنشاط علمي بمختلف العلوم من علوم دينية وعربية وعقلية، فحظيت هذه العلوم باهتمام العلماء، والدليل على ذلك ما ألفه العلماء من كتب علمية من مختلف العلوم،التي بقيت مرجعاً للعديد من البحاث والمثقفين، مما تركوا تراث وارث علمي ساهم في بناء الحضارة البشرية، وهذا يدحض قول بعض المستشرقين الذين يحاولون تشويه حضارتنا وتاريخنا.

ومثال ذلك ما أورده المستشرق الفرنسي جاستون، بأن العصر الملوكي" لم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة"،" وأن مدينة القاهرة لم تخرج المعاهد العلمية فيها شخصية عظيمة"، وأشار إلى أنه عدم وجود أي عمل فكري أصيل باستثناء مقدمة ابن خلدون[6].

وما وصفه المستشرق بروكلمان بقوله:" لقد أنتج السوريون والمصريون إنتاجاً خصباً في عهد المماليك..... ولكن هذا الإنتاج يكاد يكون خلواً من الأصالة والابداع بالكلية"[7].

---

(1) ابن حجر،إنباء الغمر(ج342/7).

(2)المصدر السابق (ج247/5-248).

(**3**) يعد من أشهر علماء الحديث، ولد بدمياط سنة(687هـ/1288م) وَسمع بإفادة، حيث رحل إليه طلاب العلم، مَات بِالْقَاهِرَةِ فِي رَجَب سنة (788هـ/1386م)، ابن حجر، الدرر(ج356/5)؛ ابن العماد، شذرات(ج271/6).

(**4**) هو لفظ فارسي، ويتألف من طبر وتعني الفأس ودار وتعني ممسك ومعناها ممسك الفأس، ويعني الشخص الذي يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه في المراكب وغيرها، دهمان، محمد، معجم الألفاظ المملوكي(ص106).

(5)ابن حجر، إنباء (ج436/8)؛ فضل الخيل هو كتاب ألفه الحافظ الدمياطي شرف الدين عبد المؤمن (ت705هـ/1306مـ) ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، جمع فيها صفة الخيل ومعرفتها وعلاج الحرون منها وألوانها ومحاسنها وما يمدح وما يذم منها، وأدويتها وأمراضها، وقد نشره وحققه محمد راغب الطباخ في حلب، 1349هـ/ 1930م وطبع في المطبعة العلمية، الدمياطي، فضل الخيل(ص15-17).

(6) القاهرة مدينة الفن والتجارة، مصطفى العبادي(ص107)

(7) تاريخ الشعوب الاسلامية(ص371).

في ضوء ذلك نستطيع أن نقرر أن العصر المملوكي وخصوصاً العصر الذي عاشه ابن حجر العسقلاني هو عصر نهضة فكرية وثقافية تخلله العديد من المؤلفات بكافة المجلات ولا سيما في مجال العلوم الدينية والتاريخية والأدب، وقد شهد المعرفة بكافة العلوم وعدم التخصص في مجال محدد، مما أدى إلى نمو الحركة الثقافية.

الخاتمة

الحمدلله الذي مكنني من إتمام الرسالة، فبعد أن استعراضنا لطبيعة وواقع الحياة العلمية في بلاد الشام ومصر في العصر المملوكي من خلال كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر توصلنا إلى العديد من النتائج والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث:

- يعد كتاب إنباء الغمر في أبناء العمر، مؤلف تراثي ومصدر تاريخي مهم، يشتمل على معلومات حضارية تصف المجتمع المملوكي من مختلف جوانب الحياة، ولا سيما العلمية منها.
- تعد كتب التراجم من المصادر التي لها أهمية كبيرة للمؤرخ، لما تشمله من سجل ضخم من سير علماء الأمة الذين ساهموا في صنع الحضارة والتاريخ؛ مما يسهل على الباحث الوصول إليهم.
- يعد الإمام ابن حجر العسقلاني من العلماء الموسوعيين الذين برزوا في عصر دولة المماليك، فكتب في مختلف العلوم من حديث وفقه وعربية وتاريخ.....؛ فأفاد بمؤلفاته وعلمه المجتمع المملوكي.
- أشار ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أنه كان للسلاطين دوراً كبيراً في دعم العلماء وطلاب العلم؛ مما كان لها الأثر البارز في نمو الحركة الفكرية وازدهارها.
- بين ابن حجر العسقلاني أن المرأة لعبت المرأة دوراً قيادياً مهماً في المجتمع المملوكي، وذكر العديد من المعلمات والعالمات في هذا العصر المهم فخرج منهن المعلمات، اللاتي تخرج على يديها العديد من العلماء وطلبة العلم من رجال ونساء.
- بين ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أنه كان للمرأة دورٌ مهمٌ في الحركة العلمية، فرحلت في شتى المناطق من أجل أن تتعلم، فكانت المحدثة والقارئة والواعظة والمغنية.
- أوضح ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ أن مصر وبلاد الشام كانتا مركز جذب للعديد من العلماء من كافة أنحاء البلاد الإسلامية، فكان له أثرٌ على تبادل الثقافات وازدهار الحركة الفكرية.

- أشار ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أنه كان لدُور العلم من (مساجد و بيمارستانات والمراكز الصوفية) أثراً في ازدهار الحركة العلمية وانتعاشها وتخريج العلماء ونشر الثقافة بين أبناء المجتمع المملوكي.
- أشار ابن حجر في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ إلى تنوع وتعدد المدارس في العصر المممملوكي، واختصاص كل مدرسة بتدريس علم محدد.
- أوضح ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بأن الكتاتيب كان لها دور مهم في تعليم أيتام المسلمين وغيرهم، فيتعلم الأطفال العلوم العربية والدينية، وكان يقدم الدعم العيني والمادي للكتاتيب؛ مماساهم في استمرار وجودها.
- وصف ابن حجر في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ المكتبات ، بأنها تشمل على آلاف المجلدات من كافة العلوم، كما أن العاملين بها كخازن المكتبة يعمل على الحفاظ عليها، ويقوم على خدمة طلاب العلم والعلماء.
- تطرق ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بانتشار المساجد في العصر المملوكي، وكانت بمثابة معهد تعليمي تعقد فيه حلقات علمية للنقاش والدراسة، ويدرس فيه العلوم الشرعية والعربية والنقلية.
- بين ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ بأن المساجد كانت مأهولة بالناس طيلة ساعات النهار وأطراف الليل، وذلك للانقطاع للعبادة والعلم.
- أشار ابن حجر في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ إلى انتشار التصوف، والدليل على ذلك تعدد المراكز الصوفية (كالخوانق والزوايا و الأربطة) فكانت بمثابة منهل

ذلك للعلوم ولنشر الدين.

- تطرق ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بأنه تركت المؤلفات الضخمة للعلماء في العصر المملوكي في شتى العلوم، أثراً تاريخياً، فأغنت المكتبة العربية، واستفاد منها البحاث والمؤرخين في مختلف العصور.
- وضح ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بروز العديد من العلماء الذين مهروا بكافة المجلات والتخصصات، وساهموا بعلمهم في صنع الحضارة، و تقدم المجتمع ، ونشر العلم بين أبناء المجتمع في العصر المملوكي.
-

ثانياً:التوصيات

في ضوء ما تم التوصل إليه من استنتاجات يوصي الباحث بما يلي:

1. ضرورة رجوع الباحثين لكتب التراجم ولا سيما كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر لاحتوائها على معلومات تاريخية تصف طبيعة المجتمع فيستفيد منها الباحث في بحثه عن تلك الحقبة التاريخية .
2. تفيد المؤرخ في الكشف عن الحقائق من خلال دراسة كثير من المواضيع المهمة في كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر والتي تفيد الباحثين، حيث يكشف عن الإنجازات الحضارية في مختلف الميادين المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والفكرية في الفترة التي عاشها المؤرخ.
3. عقد الندوات والمؤتمرات وبيان دور كتب التراجم مثل كتاب ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر في توضيح المعالم الحضارية والعلمية للحقبة التي عاشها المؤرخ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ/1233م).

الكامل في التاريخ تحيق(عمر عبد السلام تدمري)،.(ج10)،(ط1) ، بيروت/ لبنان: دار الكتاب العربي(1417هـ / 1997م).

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت560هـ/1165م)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.(ج2).(ط1)، بيروت/ لبنان: عالم الكتب(1409هـ/1989م).

الأصبهاني، أبو عبد الله، محمد بن (محمد صفي الدين) ابن (نفيس الدين حامد) بن أُلْه، عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني (ت 597هـ/1201م).

الفتح القسي في الفتح القدسي(1ج).(ط1) (د.م) دار المنار (1425 هـ - 2004 م).

الأصفهاني :حمزة بن الحسن (ت: 360 هـ)

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،(ج1). (د.ط).بيروت/ لبنان: دار مكتبة الحياة (1961م).

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1270م)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء.(ج1). (تحقيق د نزار رضا).(د.ط). بيروت/لبنان: دار مكتبة الحياة – بيروت(د.ت).

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي(930هـ).

بدائع الزهور في وقائع الدهور.(ج2).(ط1).(تحقيق محمد مصطفى).قيسادن: دار النشر فرانز شتاينر(1392هـ/1972).

الألوسي، عادل

الخط العربي نشأته وتطوره.(ط1)، القاهرة/ مصر: مكتبة الدار العربية للكتاب(2009م).

أمين، محمد محمد

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648- 923هـ) دراسة تاريخية وثائقية.(ط1). القاهرة/ مضر: دار النهضة العربية(1980م).

باشا، عمر موسى

الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك.(ط2). دمشق: المكتبة العباسية 1391/1972م.

بدران، العلامة عبد القادر أحمد بدران (ت1346هـ/ 1928مـ)

منادمة الأطلال ومسامرة الخيال(ج1).(تحقيق زهير الشاويش)(د.ط) بيروت:الناشر المكتب الإسلامي(1985م).

بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت 733هـ/1333م)

المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي .(ج1).(تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان).(ط2). دمشق/سوريا:دار الفكر، 1406م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1378م).

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (5ج).(د.ط) الرباط:أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.(1417هـ/1997م).

البعلي: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: 709هـ)
الكتاب: المطلع على ألفاظ المقنع.(ج1).(تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب)(ط1)
الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع(1423هـ - 2003 م).

بكيرات، ناجح وآخرون

دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس. (ط1). بيروت، لبنان: مركز الزيتونة للدراسات(2010م/1431هـ).

بروكلمان، كارل.

تاريخ الشعوب الاسلامية (ت نبيه فارس، منير البعلبكي).(ط5) بيروت: دار العلم للملايين(1968م).

البهيجي، إيناس

تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية.(مج1).(ط1).(د.ن). مركز الكتاب الاكاديمي.(2017م).

تقـي الـدين الفاسـي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت 832هـ/1429م).

ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد.(ج2).(تحقيق: كمال يوسف الحوت).(ط1). بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، (1410هـ/1990م).

العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين.(ج7).(تحقيق محمد عبد القادرعطا).(ط1)، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية(1998م).

الجـاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ/869م)

البيان والتبيين.(ج3). (د.ط). بيروت/لبنان: دار ومكتبة الهلال(1423هـ/2003م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ/1434م)

التعريفات.(ج1).تحقيق(جماعة من العلماء بإشراف الناشر).(ط1)..لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية (1403هـ /1983م).

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ/1430م)

غاية النهاية في طبقات القراء(ج3).(د.ط).(د.م) مكتبة ابن تيمية(د.ت).

ابـن جماعـة، الشيخ العالم بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد اللهالكناني(ت 733هـ/1333م).

تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِمِ والمُتَعَلِّم(ج1).(د.ط)(د.م) مكتبة مشكاة الإسلامية(د.ت).

جمال الدين، أمينة محمد:

النساء المحدثات في العصر المملوكي ودورهن في الحياة الأدبية والثقافية.(ط1).(د.م). دار الهداية للنشر والتوزيع(2003م/ 1423هـ).

الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .(تحقيق أحمد عبد الغفور عطار).(ط4).بيروت/ لبنان: دار العلم للملايين.(1407هـ – 1987 م).

جيده، أحمد خالد:

المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي.(ط1). لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع(2001م/1422هـ).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت 1067هـ/1657م).

سلم الوصول إلى طبقات الفحول(ج6). (تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط)(د.ط) تركيا/إستانبول: مكتبة إرسيكا، (2010 م).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(ج6).(د.ط) بغداد: مكتبة المثنى (1941م).

حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكَمِيِّ(1342-1377هـ)(1958-1924م).

دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح(د.ط).(د.ن).(د.ت).

ابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.(ت852هـ/1449م).

إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ(9ج). (ط2). (تحقيق محمد محمد أمين). بيروت: دار الكتب العلمية (1406هـ– 1986م).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(6ج).(ط2).(تحقيق محمد عبد المعيد ضان). صيدر اباد/ الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية (1392هـ/ 1972م)

تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (4ج). (تحقيق محمد علي النجار).(د.ط) بيروت– لبنان: المكتبة العربية(د.ت).

المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (تحقيق ،محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني).(ط1).بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة . بيروت (1418هـ – 1998م).

رفع الإصر عن قضاة مصر(1ج).(تحقيق علي محمد عمر)(ط1) القاهرة: مكتبة الخانجي،(1418 هـ – 1998 م).

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت837هـ/1434م)

خزانـة الأدب وغايـة الأرب .(ج2).(تحقيـق: عصـام شـقيو).(د.ط). بيـروت/ لبنـان: دار ومكتبـة الهلال ، دار البحار(2004م).

الحزوري، حسام الدين:

الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية.(د.ط). دمشق/ سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب(2010م).

الحكمي،حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت 1377هـ/1985م)

شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون.(د.ط).(د. ن).(د.ت).

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ/1229م).

معجم البلدان(7ج).(ط2). بيروت:دار صادر(1995م).

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت 900هـ)

الروض المعطار في خبر الأقطار.(ج1).(تحقيق: إحسان عباس).(ط2). بيروت/لبنان: مؤسسة ناصر للثقافة (1980 م).

الحنبلي، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المِبْرَد الحنبلي (ت 909هـ/ 1504م)

الجـوهر المنضـد فـي طبقـات متـأخري أصـحاب أحمـد.(ج1)(تحقيـق عبـد الـرحمن بـن سـليمان العثيمين).(ط1) . الرياض/ السعودية: مكتبة العبيكان (1421 هـ /2000 م).

ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1375م)

الإحاطة في أخبار غرناطة .(ج4).(ط1). ا بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية،(1424هـ).

بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/1406م)

ديـوان المبتـدأ والخبـر فـي تـاريخ العـرب والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي الشـأن الأكبـر.(ج1). (تحقيق خليل شحادة).(ط2). بيروت: دار الفكر(1408 هـ - 1988 م).

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ/889م)

سنن أبي داود .(ج7).(تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي)(ط1).(د.م) دار الرسالة العالمية (1430 هـ /2009 م).

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت945هـ)

طبقات المفسرين.(ج2). بيروت/لبنان: دار الكتب العلمية.

الدمياطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المصري الشافعي

فضل الخيل.(ج1).(تقديم محمد راغب الطباخ).(د.ط). حلب/ سوريا: مكتبة المطبعة العلمية عام(1930م).

دهمان،محمد أحمد

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي(ط1)، بيروت/ لبنان: دار الفكر المعاصر(1410هـ/1990م).

الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(ت748هـ/1348م).

العبر في خبر من غبر.(ج4). (تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول)(د.ط). بيروت/لبنان : دار الكتب العلمية .(د.ت).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام(تحقيق عمر عبد السلام تدمري) . (ط1).لبنان/بيروت: دار الكتاب العربي.(1407هـ /1987م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي

مختار الصحاح. (تحقيق،محمود خاطر) .(د.ط) بيروت/ لبنان:مكتبة لبنان ناشرون.(1415 – 1995م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ/1976م)،

الأعلام.(ط15).(د.م) دار العلم للملايين (2002م).

زناتي، أنور محمود

معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية.(ط1). عمان/ الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع(2010م).

الزيدي، مفيد:

موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي.(د.ط). عمان/ الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع2003م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771ه/1370م)

رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب. (ج4). (تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود).(ط1). لبنان / بيروت: عالم الكتب (1999م – 1419ه).

معيد النعم ومبيد النقم (ج1).(ط1).بيروت/ لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية. (1407 ه – 1986م).

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902ه/1497م).

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر(3ج)(تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد) .(ط1). بيروت – لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (1419 ه – 1999 م).

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.(6ج).(د.ط). بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة(د.ت).

وجيز الكلام في الذيل على دولالإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1995 .

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت 626ه/1037م)

مفتاح العلوم(ج1).(ط2) بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية، (1407 ه/1987م).

ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت 428ه/1037م)

–القانون في الطب.(ج3).(تحقيق محمد أمين الضناوي).(د.ط).(د.م).(د.ت)

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911ه/1506م).

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.(2ج). (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). (د.ط) لبنان، صيدا: المكتبة العصرية (د.ت).

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.(2ج).(تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم).(ط1). مصر دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه (1387 هـ / 1967 م).

ذيل طبقات الحفاظ للذهبي.(ج1).(تحقيق الشيخ زكريا عميرات).(د.ط).(د.م). دار الكتب العلمية(د.ت).

نظم العقيان في أعيان الأعيان (تحقيق فيليب حتي) (د.ط).بيروت/ لبنان: المكتبة العلمية (د.ت).

الإتقان في علوم القرآن .تحقيق(مركز الدراسات القرآنية).(ط1). السعودية: مجمع الملك فهد.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي.(ج2). (تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف) الرياض/السعودية : مكتبة الرياض الحديثة.

الشاعر، محمد فتحي

الشرقية في عصري سلاطين المماليك الأيوبيين والمماليك.(د.ط). القاهرة/ مصر: دار المعارف(1997م).

الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت204هـ)
الكتاب: مسند الإمام الشافعي (ج2)(د.ط) (ترجمة: محمد زاهد بن الحسن الكوثري)، بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية(1370 هـ / 1951 م).

أبو شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت665هـ/1267م)

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية.(ج5).(تحقيق إبراهيم الزيبق).(ط1).

بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة – بيروت.(1418 هـ/ 1997 م).

شامي، يحيى

موسوعة المدن العربية والإسلامية.(ط1). بيروت/ لبنان: دار الفكر العربي(1993م).

ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت920هـ/1515م)

نيل الأمل في ذيل الدول. (ج9).(تحقيق: عمر عبد السلام تدمري)(ط1). بيروت/ لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (1422هـ /2002 م).

ابن شاهين، غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهري(ت893هـ/1488م).

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. (د.ط).بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية(1997م).

ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي(ت684هـ/1286م)

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة.(د.ط). (د.م).(د.ن).(د.ت).

الشريف، محمد بن حسن بن عقيل الشريف.

المختار المصون من أعلامالقرون،(مج3).(ط1).دار الأندلس الخضراء(1415-1995م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت1250هـ/1835م).

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. (2ج) (د.ط). بيروت: دار المعرفة.(د.ت).

صالح، عبد العزيز حميد

تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة.(ج2).(د.ط) بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية (1971م).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ/1363م).

الوافي بالوفيات .(ج 29).(تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى).(د.ط).بيروت/لبنان: دار إحياء التراث – بيروت. (1420هـ- 2000م).

الطباخ ، محمد راغب .

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (صححه محمد كمال).(ج5).(ط2). حلب/ سوريا: دار القلم العربي (1989م) .

الطراونة، مبارك

الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة(784 – 922هـ/ 1382-1516م).(د.ط).(د.م)(2010م).

طرخان، إبراهيم:

مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة.(د.ط). القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية(د.ت).

ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي(ت953هـ/1547م).

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية(ق1).(تحقيق محمد دهمان).(ط2). دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية (1401هـ).

ابن طولون،شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (ت953هـ/1547م).

إنباء الأمراء بأنباء الوزراء. (ج1).(تحقيق مهنّا حمد المهنّا).(ط1)، بيروت/ لبنان : دار البشائر الإسلامية، (1418 هـ / 1998م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.(ط2). القاهرة/ مصر: دار النهضة العربية(1992م).

العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (ت1332هـ/1914م)

الدر المنثور في طبقات ربات الخدور(ج1). (ط1).مصر: المطبعة الكبرى الأميرية. (1312هـ/1895م).

عبود، مارون

أدب العرب: مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم.(د.ط).(د.م). دار المحرر الأدبي.(د.ت).

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ/1176م)

تاريخ دمشق (80ج).(تحقيق عمرو بن غرامة العمروي).(د.ط).(د.م) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.(1415 هـ /1995م).

العسلي، كامل جميل

معاهد العلم في بيت المقدس(ط1).عمان/ الأردن: جمعية عمال المطابع التعاونية(1981م).

العطار، حسني محمد العطار.

مدينة القدس والمسجد الأقصى ماض مجيد ومستقبل موعود . (1ج).(د.ط).(د.م).(د.ن).(د.ت).

العطاري، جلال:

حركة التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الأول. (ط1). عمان/ الأردن: دار الفكر ناشرون وموزعون(2010م).

العليمي، مجير الدين الحنبلي العليمي

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (ج2).(تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة) (د.ط) عمان : مكتبة دنديس (1420هـ /1999م).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت1089هـ/1679م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب (11ج).(تحقيق محمود الأرناؤوط).(ط1) .بيروت/ دمشق: دار ابن كثير، (1406 هـ /1986 م).

عمر،تمام حسان

اللغة العربية معناها ومبناها.(ج1).(ط5)، عالم الكتب(1427هـ/2006م).

العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت749هـ/1349م)

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(ج27).(ط1). الناشر:أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1423هـ.

عيسى، أَحمد عِيسى (ت1365هـ/1946م)

تاريخ البيمارستانات في الإسلام(ج1).(ط2).بيروت/ لبنان: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان.(1401 هـ – 1981 م).

العيني، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي الشهير ببدر الدين العينى (ت855هـ/1451م).

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج4).(تحقيق محمد محمد أمين).(د.ط). مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز تحقيق التراث) (1407هـ – 1987 م).

الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت 1167هـ/1754م)

ديوان الإسلام (ج4).(تحقيق سيد كسروي حسن).(د.ط).بيروت/لبنان: دار الكتب العلمية، (1411هـ /1990 م).

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت1351هـ/1933م)

نهر الذهب في تاريخ حلب.(ج3).(ط2). حلب/ سوريا: دار القلم (1419هـ/1988م)..

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ/1005م)

مأخـذ العلـم.(ج1).(تحقيـق محمـد بـن ناصـر العجمـي).(ط2).(دار البشـائر الإسـلامية) (1426 هـ – 2005 م).

ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت807هـ/1404م) .

تـاريخ ابـن الفـرات(تحقيـق قطسـنطين زريـق) (ج1).(د.ط). بيـروت/ لبنان:المطبعـة الأمركانية(1939م).

أعيان العصر وأعوان النصر.(ج5). (تحقيق علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، محمود سالم محمد).(ط1).بيروت/لبنان: دار الفكر المعاصر ، دمشق/ سوريا: دار الفكر (1418 هـ /1998م).

الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (ت277هـ/891م)

المعرفة والتاريخ (ج3).(تحقيق أكرم ضياء العمري).(ط2).بيروت/لبنان: مؤسسة الرسالة، بيروت (1401 هـ/1981م).

ابـن فهـد المكـي، أبـو الفضـل محمـد بـن محمـد بـن محمـد ابـن فهـد الهاشـمي المكي(ت885هـ/1480م).

لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ(م1)(ط1). (1419هـ/ 1998م) (د.م) دار الكتب العلمية.

الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ/1415م)

القـاموس المحـيط. (ج1). (تحقيـق: محمـد نعـيم العرقسُوسـي) . (ط8).بيـروت/ لبنـان: مؤسسـة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،(1426 هـ – 2005 م).

تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين تحقيق(محمد خير البقاعي)،(ط1)،دار قتيبة(1403هـ/1983م).

فييت ،جاستون:

القاهرة مدينة الفن والتجارة،(ت. مصطفى العبادي). بيروت، نيويورك: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر (1968م).

القاسـمي، محمـد: محمـد جمـال الـدين بـن محمـد سـعيد بـن قاسـم الحـلاق القاسـمي (ت1332هـ/1984م)

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث.(ج1).بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت851هـ/1448م)

طبقات الشافعية (ج4).(تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان). (ط1).بيروت: عالم الكتب (1407 هـ).

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت 1403هـ/1983م)

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب.(ج1).(د.ط). بيروت/ لبنان : دار الكتاب العربي.

ابن قُطلُوبغا،أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت 879هـ/1475م).

تاج التراجم.(ج1).(تحقيق محمد خير رمضان يوسف).(ط1)،دمشق/ سوريا: دار القلم (1413هـ /1992م).

القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي(ت821هـ/1418م)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا. (ج14). (تحقيق د.يوسف علي طويل)(ط1) دمشق: دار الفكر (1987م).

القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ/1890م)

أبجد العلوم.(ج1). (ط1).(د.م) : دار ابن حزم(1423 هـ– 2002 م).

الكتاني،أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي (ت1345هـ/1927م).

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.(ج1).(تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي).(ط6) الناشر: دار البشائر الإسلامية،(1421هـ/2000م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ/1373م)

البداية والنهاية.(ج21).(تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي)(ط1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (1424هـ / 2003م).

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت 1408هـ/1988م)

معجم المؤلفين.(13ج).(د.ط). بيروت: مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي بيروت. (د.ت).

أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام.(ج2).(د.ط) .بيروت: مؤسسة الرسالة(2008م).

كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (ت1372هـ/1953م)

خطط الشام.(ج6).(ط3).دمشق: مكتبة النوري،(1403 هـ / 1983 م).

أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت874هـ/1470م).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(16ج).(د.ط) مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب(د.ت).

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي(7ج) (تحقيق دكتور محمد محمد أمين). (د.ط) . (د.م). الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ت).

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.(ج2).(د.ط).تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد) مصر/ القاهرة: دار الكتب المصرية (د.ت).

ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي (ت637هـ/1240م)

تاريخ إربل .(ج2).(تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار)(د.ط)، العراق : وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر (1980م).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت845هـ/1442م)

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ج4).(تحقيق محمد عبد القادر عطا).(ط1).لبنان / بيروت: دار الكتب العلمية (1418هـ/ 1997م).

السلوك لمعرفة دول الملوك.(ج8)(تحقيق محمد عبد القادر عطا) .(ط1)لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية (1418هـ - 1997م).

ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت884هـ/1441م).

المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد.(ج3).(تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين).(ط1).الرياض/ السعودية: مكتبة الرشد – (1410هـ / 1990م).

ملكاوي، فتحي حسن

مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي.(ط1). عمان/ الأردن: مركز معرفة الإنسان للدراسات والابحاث والنشر والتوزيع(2018م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت711هـ/1312م).

لسان العرب.(ج15) .(ط3). بيروت/ لبنان: دار صادر – بيروت.(1414هـ/1994م).

النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت927هـ/1521م)

الدارس في تاريخ المدارس.(تحقيق إبراهيم شمس الدين).(ط1).(د.م): دار الكتب العلمية. (1410هـ / 1990م).

النقر، محمد:

بيت المقدس في العصر المملوكي.(ط1). عمان/ الأردن: دار البداية للنشر والتوزيع(2006م/1426هـ).

نويهض، عادل:

معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر». (2ج). (ط3) بيروت – لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. (1409 هـ - 1988 م).

النويري،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت733هـ/1333م)

نهاية الأرب في فنون الأدب.(ج33).(ط1).القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، (1423 هـ).

يعقوب، إميل

موسوعة علوم اللغة العربية.(ج10).(د.ط). بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية (2006م).